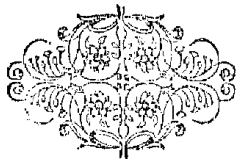

نتائج الاحوال فى الاقوال والافعال لدوحة الادب والبراعه
وربة القريحة السلسة المطواعه والدراية الراسخه
التى لما تقدمها ناسخه الرافلة فى حلل السرور
والحبور المصونة عائشة عصمت بنت
المرحوم اسمعيل باشا تيمور أدام
الله معاليها وبلغها
أمانيها آمين
م

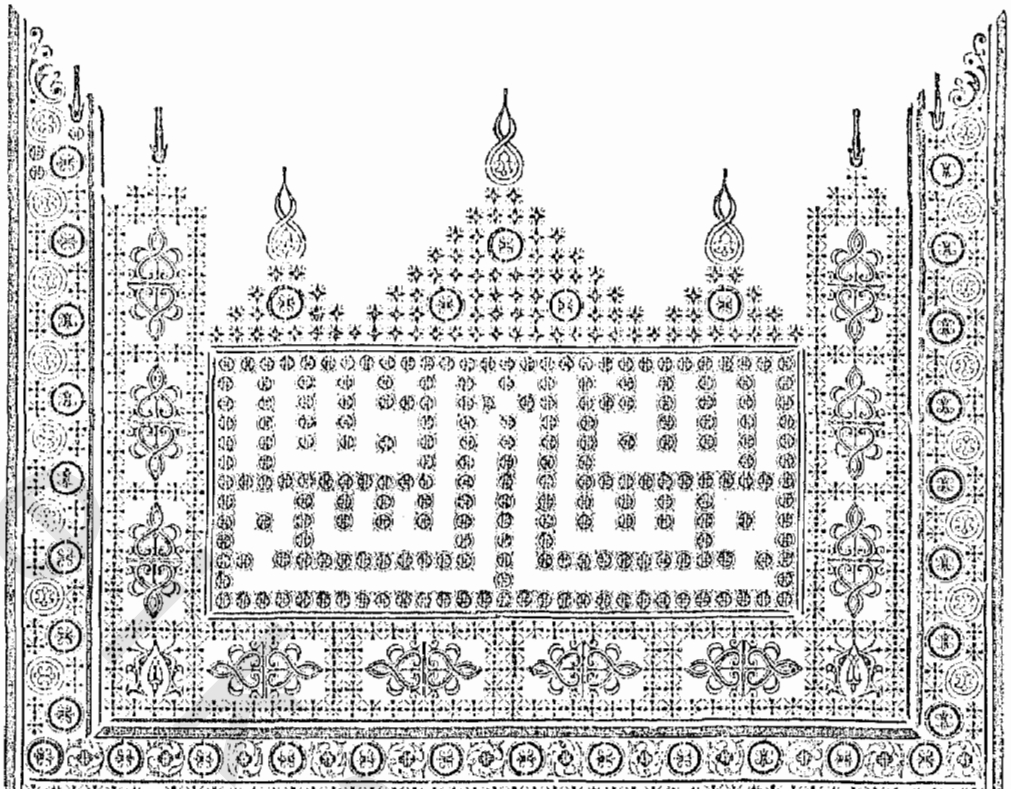

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبحان من أنار لاولى البصيرة مصباح الفلاح والهدى * وجعل ذالك السنا مراجا وهاجا
فى سبل النجاح لمن اهتدى * وأفهم زجاجة الفكر من صافى عطر التأمل والاستبصار *
حتى غدت بلوامع المعرفة كأنها كوكب درى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار * فحمد
من زين صحائف أصدق الحديث بأحاسن محاسن البيان * وأشرق فى مطالع أفكار
كل عارف جوهر ختام فغومناها سليمان * فيالها منة خصت بها الحقيقة الانسانيه *
ونعمة تشرفت بها النفس الناطقة فكان لها فائق الفضل والاسبقيه * فاذا يجب
على من تحقق بفضيلة الانسانية الطاهره * وتقلد بحلى تلك المواهب الربانية الباهره *
أن يجعل حديقة المعرفة مجال حدقة أنظاره * ومقتطف ثمار الادراك موضع سوانح
أفكاره * وان يطيل فى قدافد التأمل سعيه محترسا عن زلة القدم * مستصحبا
لثابت العزم المتين متعرضا لعواطف الكرم * وان يتفقد بدقة الامعان مواطئ
الهدايه * حتى يصل بدلالة التبصر لأوى الامل والوقايه * فنسأله التوفيق لحسن
السلوك * والمنة بعتق كل عبد فى يد الغفلة مملوك * والصلاة والسلام على حبيبه
امام المتقين وشفيع المذنبين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين * ﴿وبعد﴾
فتقول ذات الجناح المكسور * عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور * انى
منذ انطوى وسادمهدى * وجال على بساط البسيطة قدى * وأدركت مواطن
غوايتى ورشدى * ووعيت حرمة والدى وجدى * أجد طفل قصدى شغف ارضاع

أخبار من غبر من الامم * وكل جسدى مائلا الى استقصاء أحاديث من كان فى سالف القدم * فكنت أشغف بمساهرة الكبر من النساء لسماع أحسن الخبر * وألتقط من تلك الفوادر أعاجيب القدر * وأتأمل بمستطاع جهدى فيما يرد على من أنواع الجد والهزر * وأقتطف ما يسعه وعاء وعيى من ثمر ذلك السمر * حيث لا طاقة لى على خلاف ذلك السماع * ولا سبيل لسنى الى التمتع بغير ذاك المتاع * فلما تهيأ العقل للترقى * وبلغ الفهم درجة التلقى * تقدمت الى ربة الحنانة والعفاف * وذخيرة المعرفة والاتحاف * والدتى تغمدها الله بالرحمة والغفران بأدوات التطريز والنسيج وصارت تجد فى تعليمى * وتجتهد فى تفطنى وتفهمى * وأنا لا أستطيع التلقى * ولا أقبل فى حرفة النساء الترقى * وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك * وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك * فاجد صرير القلم فى القرطاس أشهى نغمه * وأتحقق ان اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمه * وكنت ألتمس من شوقى قطع القراطيس وصغار الاقلام * وأعتكف منفردة عن الانام * وأقلد الكتاب فى التحرير * لا بتهج بسماع هذا الصرير * فتأتى والدتى وتمنعنى بالتكدير والتهديد فلم أزد الا نفورا * وعن صنعة التطريز قصورا * فبادر والدى تغمده الله بالغفران ثراه * وجعل غرف الفردوس مأواه * وقال لها داعى لى هذه الطفيلة للقرطاس والقلم * ودونك شقيقتها فأدبيها بما شئت من الحكم * ثم أخذ بيدى وخرج بى الى محفل الكتاب ورتب لى استاذين أحدهما التعليم اللغة الفارسية * والثانى التلقين العلوم العربية * وصار يسمع ما أتلقاه من الدروس كل ليلة بنفسه حتى تفطنت شيأ فشيأ فوجدت فى نفسى ميلا الى نظم الشعر فكان أول نطق فيه باللغة الفارسية ثم اجتهدت فى التعليم فلم أتخلف يوما ولم أتوقف واما تحلى مذاقى بحلاوة تلاوة كلام الله القديم * وقلت ملتمسة للفتح بفضل بسم الله الرحمن الرحيم * ووفقنى الفتاح بفتح خلية ذاك الشهد الصافى * والارتواء من ذلك المنهل الكريم الشافى * فصرت أقتبس ضياء التفقه من سرج التلاوة * وألتمس عذوبة الهداية من محاف زبدها تيك الحلاوة * حتى فطنت لمطالعة الاساطير * وأدركت من بدائع المعانى الجم الغفير * ولم أكن أهلا لاقتناء تلك البضاعه * ولا كفؤا لجوهر هذه الصناعه * وانما قد عودنى الخالق مخلوقه بالمن والكرم * وعلم الانسان ما لم يعلم * فطالعت من التواريخ ما قدرت قدرتى ان تدانيه * وما أمكن فكرتى الخامدة أن تصل الى فهم معانيه * حيث لم يمكن لى دخول محافل العلماء المتفقهين * ولم تسعنى مجالس الفضلاء المتبحرين * فكم التهب صدرى بنار شوق رياض محافلهم اليوانع * وأدرجفنى على حرمانى من اجتناء ثمرات فوائدهم در المدامع * وقد عاقنى عن الفوز بهذا الامل حجاب خيمة الازار * وحجبنى قفل خدر التأنيث عن سناء تلك الاقمار * وأحلانى بسجن الجهل حليف أثقال وأوزار * فكانت تلك الحجب لمن لام فى هفوات هذا المسطور أكبر اعذارا * فلا تلوموا معشر الافاضل

خبيه * ولا تعبثوا بسجينة شجيه * فلو اقتطفت زهر الآداب من رياض العرفان لكانت الشهد الدقيق خير خليه * ورجعت بالعلم والمعرفة راضية مرضيه * ولما تلوت أحاديث من مضى من السلف * ووردت منهل أخبارهم ورود من اغترف ثم اعترف * وعاينت مقادير الخلف * وتأملت في سير سير الامم * وتحققت ان السعد والنحس منوطان بالقدر من القدم * وقد شاهدت والله في نفسي ذات صدق هذا الخبر * وكابدت لسوء حظي في كهف العزلة ما هو أدهى وأمر * فدعتني الرأفة بكل مغبون لاقى ما لقيت * ودهى بما به دهيت * الى ان أبدع له أحدوثة تسليه عن أشجانه عند تزاحم الافكار * وتلهيه عن أحزانه في غربة الوحدة التي هي أشد من غربة الديار * وتجعله في روض من الثمر أنيق * وتمهد له من طرق المسرة أبهج منهج وأقوم طريق * اذ لا سبيل الى تسلية أفكار الوحيد الا بمثل ذلك * ولا وصول الى حصول أنس الغريب الا من هذه المسالك ﴿وسميتها نتائج الاحوال * في الاقوال والافعال﴾ ورتبتها على خمسة فصول

﴿الفصل الاول﴾ في ايقاظ الجاهل من غفلة خداع النفاق وكيفية اقناع المنافق اياه بجميل مكره وادراك الجاهل بعد سوء المنقلب حيث لا يفيد التدبير *

﴿الفصل الثاني﴾ في النهي عن الكبر والتمرد في القول والفعل وسرعة المعاقبة بهما *

﴿الفصل الثالث﴾ في اثنين يحتاج صاحب كل منهما الى اثنين وهما الاقبال والادبار * فصاحب الادبار يحتاج في ادباره الى التمسك بعروة التقوى والصبر على النقم * وصاحب الاقبال يحتاج في اقباله الى مواساة اخوانه والشكر على النعم *

﴿الفصل الرابع﴾ في اقتطاف ثمرة الصداقة وعذوبة ذوقها والري بزلال حسن التدبير * بعد ظمإ الطيش والتدمير *

﴿الفصل الخامس﴾ في حسن عواقب من صبر * ونيله الامانى والظفر * وسوء عواقب الخيانة * واحاقة المكر السيء باهله فأقول وعلى الله توكلي * وبنبيه صلى الله عليه وسلم توسلي * ان من الواضح المسلم * والبين المحكم * ان الادب قطب يدور عليه أمر المعاش والمعاد * ومثقف يقوم به كل معوج ومناد * فمن اتكأ على عصى الادب أمن من عثراته * ومن اكتسى بضافي قميصه لم يطلع أحد على عوراته * وان حسن التربية أبهج ما يبرز فيه المرء للعيان * وأحق ما يتحقق به حقيقة الانسان * ومدار صلاح الطفل على التربية لانه لو خلي ونفسه لمال الى شيء من التهذيب * بل ينفر من الادب نفور الشاة من الذيب * ومن ترك زمامه ليدهواه في طفوليته * تهدمت في المستقبل متانة بناء رجوليته * وهروءته * وكانت رأفة المربي سببا لسوق السوء اليه * ولا غرو فقد قيل من شب على شيء شاب عليه * وقد تحقق لاولي البصيرة ان أجل الجهاد * في حسن تربية الاولاد * ومنعهم بالسياسة عن مخالطة السفهاء والاوهاد * حذرا من أن يتأبطه أحد السفلة فيمتص بخمار الخداع عينيه * ويجذبه بسلسلة نفاقه عن منهل أدبه العائد بالمصلحة

عليه * ويعيش في مواطن الخسران خدين ظمئه وأسفه * ويتلظى في هجير
التحسر ملتهبا بنفسه ولهفه * ويرد من موارد سوء الخلق كل ملح زعاق * ويصبح
بعد حسن الطوية حريف خداع ونفاق * اتفق ان ملكا من ملوك الزمان اسمه
العادل * وكانت مملكته بعيدة الاطراف واسعة المنازل * قد تشيدت أنحاء ملكه
بالحصون والقلاع * وتأثلت جوانب حوزته على أجل ما يلزم للمهاجمة والدفاع * وكان
هذا الملك بالعدل مشهورا * وبالصلاح مذكورا * وعلى حميد المساعي مشكورا *
وبعلو الهمة مغبوطا مسرورا * وعلى كل خصم أو معاند مؤيدا منصورا * وكان
له وزير واسع الادراك مدبر * وبجيوش الآمال بالفكر السديد مسخر * وكان
اسمه مالكا * وقد ملكه العادل زمام ملكه * وفوض لرأيه الصائب أمور حكمه * وجعله
خازنا ذاخائر أسراره * ومركز جوائل أفكاره * فكان في مآرب الآمال ساعيا
ونصيرا * وبعواقب الاحوال عالما وبصيرا * وكان لذلك الملك نديم يسمى بعقيل * له
في كل مستحسنات العقول جميل * خصت عذوبة منطقه باللذات * وأغنت
راحة مناداته عن الراحات * وقد اتخذه الملك خليلا * ولدفع ما أهمه بسياسة
المسامرة كفيلا * ماشكا المحزون انكسار لوعته اليه الا وانجبر ذلك الانكسار
بمراهم مواساته * وما بث المفؤد جذوة موجعته اليه الا وأخمد ذلك الحريق بعذب
فرات مناجاته * وكان قد ناهز العمرين ذلك الملك الهمام * ولم يرزق من زينة البنين
بغير غلام * قد داوى به كبدا مجروحا * واختار له من الاسماء محمودا * وصار الملك
منهمكا بحب ذلك الولد مضطر التأدية خدمته * في كل ما أراد يقوم بفرائض الخدمة
بنفسه ويسعى بروحه في مآرب رغبته * ما مال ذلك الطفل المعمة الا طالها * ولا
رغب في خسيسة الا نالها * فشب الغلام على ملاهي ملاعبه الكثيفة * ويفع في
تلاهي مداعبه السخيفة * ولم يتجاسر المؤدبون على تهذيب خصاله * ولم يتمكن
المعلمون من تقويم أوده ومحو غيم ضلاله وادلاله * فأهم هذا الامر المهم الوزير والنديم
وصارا يأسفان كل الاسف على هذا التفريط المؤدي لكل وبال * السائق نظام الملك
الى غوائل الفساد والاضمحلال * وقالا ان كنا لا نتدارك الامر قبل استفحاله فاين نظرنا
في العواقب * وان رضينا سوء العواقب لولانا فقد استبدلنا فرات الصداقة بسراب
الرياء * واعتضنا نحس الخيانة عن سعود الوفاء * فعلينا ان نثبت القدم في الجسارة *
ونسعى بارواحنا في رفع أسباب الخسارة * ونعرض عليه اراءنا في وفاية هذا العزيز
فان قبل منا فزنا بمغانم روم * وان أبى نكون قد ابنا داء حق العبودية ثم انهما رصدا فرصة
وارجآ الامر الى وقت بشاشة السلطان * فاتفق ان الملك كان ذات ليلة في البستان *
وكانت ليلة البدر * فجاء الحاجب بأمرهما بالحضور فاجابا بالسمع والطاعة وكانا قد
تعاهدا على أن يعرضا له بالامر * في ضمن حكاية أجنبية * ويوقظاه من غفلة الخيبة
ليتبينا أيقبل الملك نصحهما في تربية ولده * أم يشتمل لهيب الغيظ في كبده * فدخل

الوزير كانه عابس يجتهد فى ستر ذلك التعبيس عن الملك بالبشاشة ثم دخل النديم وقد
اغرورقت بالدموع عيناه وكان يوارى ذلك الحزن بالابتسام فجلس كل منهما فى مرتبته
بعد اداء فرائض الدعاء فتأمل الملك فى سيماهما وقال خيرا تقبلا الارض وقالا الخير
منوط بالملك ونحله قد عجلنا بالحضور للتمتع بالمشاهدة فقابلنا البدرين فى آن واحد * وصار
النديم يتأمل فى تحف الزهور وقد ضحكت ثغورها ونثر الندعليها جمانه * وتشكلت
ألوان المنثور لما أخذ من نور البدر أمانه * وجرى لجين الفرات فقال البان للعناق وأحاط
بالاغصان احاطة الخلخال بالساق * وسرت حميا النسيم على ندمان الاشجار وكان من
عادة النديم اذا شاهد تلوّن الزهر فى ليالى البدران يتغزل بالشعر فى وقته فقال العادل
هل لك ياعقيل فى انشاد شئ من الشعر فى نضارة هذا الروض المحلى بسناء البدر المكلل
بتيجان شقائق النعمان * قال عقيل العلم السامى محيط بما انطوى عليه من الوله
والشغف * وان مبادرتى بالطاعة أجل ما أناله من الشرف * لكنى أخشى ان أتفوه
بشئ لا أصيب به شيأ من رقة المعانى لما أعانى من عناء الفكر واختباله فى شأن نادرة
أحبط الوزير فيها عملى * وعكس عنها مراصد أملى * وقد حق لى وضع الناصية
بعذرى على التراب * لالتمس العفو من الاعتاب * فاستغرب الملك قوله وقال كيف
ذلك وأنا مل صواب حسن التدبير * فى راحة كف هذا الوزير * فادركنى باسماع
تلك النادره * والغريبة البادره * قال النديم أشنف مسامع الملك بانى كلفت بكل
تحفه * وعشيق لكل طرفه * وقد وصفت لى شجرة تنبت فى وادى الرفعه * وروضة
العفه * عزيزة التربيه * غزيرة الخاصيه * ما استظل بها ذو كدر الاوراق * ولا
استنشق طيب ارجها ذو صرعة الاوأفاق * ولو خيم بها المهموم فى سموم أبيب *
لنشأ من نسيمها نفحات ارق من أنفاس الحبيب * ولو لجأ لها المقرور فى برد كانون *
لوجد لذة اصطلاء الكانون * وكان مراد النديم من هذه الكنايات التلميح لحسن
نسق الملك فى العدل وتخليص حقوق المظلوم من الظالم وناهيك مولاى من ثمرة تنتج من
خلاصة تلك الخواص * فلا ريب انها ماء الحياة لكل مفؤد من العام والخاص *
فما زلت منذ سمعت هذا الثناء الجميل * وفضائل هذا الفرس الجليل * وأنا أتوقع
بلوغها دون كل سخى وبخيل * وأنفق نقود الكف لكل دنى وأصيل * حتى حن لذلى
الجبان * ورق لتخضعى كل كبد وجنان * وقد أنفقت حتى تحصلت على غصن منها
مالى ومنالى * ورضيت بان أجعل وجوده عندى رأس مالى * وكل ما لاقيت من
المكابدة فى السعى يعلمه الوزير * وطال ما ساعدنى فى الاسعاف برأيه البصير * وقد
مهدله مغرسا فى حديقة قصره المشيد * وحصن تلك البقعة بسور من حديد * حرصا
على سلامته * ومراعاة لحق كرامته * واتخذ أنابيب ريه من اللجين المصفى * وقرر
من حذاق الزراعة لخدمته من اصطفى * فلما ظفرت بذلك المطلوب قدمت على الوزير *
ومكنته من ذلك النفيس الخطير * حيث كان أرفع منى شانا * وأسمى منزلة ومكانا

فغرسه فى تلك البقعة فى أبرك الساعات * وسقاه على قدر الحاجة فى أشرف الاوقات *
فلما أخذ فى النمو ذلك الغصن الرطيب وتحلى بزبرجد الورق فى مدة يسيره * وترعرع
بافنان كثيره * فكانت افنانه الياقوتيه تحمل من الزمرد تيجانا * وتنثر عليها من الند
ومن أنواع الازاهر درر او جمانا * وصار كلما تفرع هام الوزير نشاطا * ومهما تشعب
زاد انبساطا * حتى كاد ان يخيط أوراقه بنياط القلب حذرا من أن تتناثر * ويسقى أصله
بماء الورد خوفا من ان يتقاصر * فلما رأى قيمه من الوزير شدة رغبته * وتحقق
درجة رأفته * امتنع عن تهذيبه وتطعيمه * وكف عن تخفيف أوراقه وتقليمه * وصار
يتضجر هو وجنوده على هذه الخساره * وعدم الجساره * فثقل على ذلك الرشيق
حمله وأصماه * وأمال سمهرى قده وأحناه * وكلما أسأل الوزير فى شأنه ينهشنى بشاره
رائقه * ويفرحنى باشارة فائقه * ويقول لى كاد أن يكون شجرة شاهقة * فترقص بى
فى خيالى راقصات الامانى * ويشملنى الانشراح بالتهانى * فامنع نفسى عن رؤيته *
وأعللها بالصبر عن نظرته * ولا ازال أنهى لواعج الاشواق * لكى أراه فيما بعد شجرة
ذات ساق * فسافتنى بالامس الاقدار * وقادتنى بواعث الاكدار * الى بعض رياض
الاهالى وكان بها عدة أغصان غرست مع ذلك الفرع فى آن واحد فاطلعت عليها
فاذا هى قد انسابقت فى النمو واندفعت * وعظم ساقها وارتفعت * حتى صارت من
أعظم الاشجار * وتعطرت بعرف الازهار * وكادت تتلون بيواقيت الاثمار * فأخذنى
سرور لا يعرف له حد * ولا يدركه عد * وقلت اذا كان هذا النمو لغراس العوام * فما
تكون عظمة هذا الغصن الذى تحت نظر السميدع الضرغام * فرجعت مهرولا الى
حديقة الوزير لافوز بالمسرة وأمتع نفسى فى نعيم ذلك الحبور حتى دخلت الحديقة
واثقا بكل ما تخيلته من سموه * وعظمته وعلوه * وقلت سينال اليوم قلبى مراده *
وآليت على نفسى ان أصنع كل جان بما أراده * فلما وصلت الى بقعته * ومددت النظر
الى قامته * فاذا به كالخلال * قد عدل عن الاعتدال * وتقوس كالهلال * ومال بحمله
على شماله * حتى كاد ان ينقض من ثقل احماله * فالتهب قلبى لما عاينت بنار الغضا *
ولم أجد سبيلا الى الصبر والرضا * فرفعت صوتى بالنداء على قيم البستان وبادرت بالسخط
عليه * بجفاء ومدرار الدمع ينهمل من عينيه * واندفع يقول مع اختناقه بالبكاء وحقك
لست بالاهمال عنه غافلا * ولا باداء حق خدمته باخلا * ولا عن معرفة طريق غوه
عاطلا * ولا بدراية وسائل سموه جاهلا * ولكنى قصير يد عن كل ما أريد اجراه * لما رأيتنى
سطوة الوزير ومنعتنى عن تقليمى اياه * لانه كان كلما نبتت ورقة عودها * أو بانت زهرة
وعاها وحصنها * ولا يخفاك ان تهذيب الاغصان بالتقليم * كما ان تهذيب الاطفال
بالتعليم * وكما يحتاج الصغير للتأديب * يحتاج الغصن للتهذيب * فهو لذلك يقبل ما أجريته
عليه فى العمل * وقد أجادت التيمورية فى هذا المعنى وقالت فى المثل * الغصن مقوم لديك
باللين * فوجهه كما شئت يمنة او يسرة * وفى هذا الشأن أيضا الرأفة فى التأديب نتيجتها

الخسران * والشفقة فى شأن التهذيب خلاصتها الطغيان * ولو تركت ولدك على نسق
دلاله * فى أفعاله وأقواله * لشب على سوء خصاله * وشاب على قبيح فعاله * وأكسب
أبويه عظيم الخسران * وكساهما جلباب المرة وقميص الخذلان * والغصن اذا قصر عن
النمو فقيمه المسؤل * ومالكه المخذول * ولكن ما حيلتى * وانا المعذور فى خيبتى * أأراغم
رب الحديقه * وأعاند مالكا وهو مالك الامر فى الحقيقه * فاعذرنى أيها النديم فى
غدرى * والله عليم بعذرى * وأسف على ما حل بى وأبدهرى * لانى رأيت فى هذا
الغصن حين غرسه طراوة لين خصه بها الله * وزيادة نمو لم أرها فيما سواه * فتحقق عندى
بانه لا يحول عليه حول الا والمر يستظل بخيمة أوراقه * والبان يحسد سمهرى قده
ورفعة ساقه * وقد جاء فى أسبوع واحد بعدة أفنان والوزير بعدها على ويحذرنى فى ان
أمسها بيدى فقلت ان تركناه على مساقه * ثقلت عليه أفنانه وكثرة أوراقه * فيثقل
حمله و يثبت أصله فقال دعه ينم على ما أراه * وليس عليك الا ريه وانقاء ثراه *
فكيف أتخلف عن أمره أيها النديم * فدعنى أتقلب فى العذاب الاليم * قال النديم فلما
اطلعت على تلك الحال * وسمعت هذا المقال * لم يسعنى الا العرض للحضرة السلطانيه *
وانهاء الامر الى الاعتاب العليه * ملتمسا من الوزير تسليمه لجانيه * وانقاذه مما هو
فيه * فلعله يقبل الاعتدال * وعسى ان يتقوم بعد ما مال * لانه وان فات وقت اصلاحه
وتقليمه * ولم يزل قابلا لتعديله وتقويمه * فان تداركناه قبل فوات القابلية كسيناه *
والا فقد خسرناه * والرأى والقول السديد * مفوضان لامر الملك السعيد * قالت
فاطرق الملك مليا وغاب * وتلبس بالصمت حتى قيل لا جواب * ثم التفت اليهما وقال *
لعمرى هكذا تكون عقول الرجال * فلقد هديتمانى الى طريق الرشد فى تهذيب ولدى *
وأيقظتمانى من سنة الغفلة عن تأديب فلذة كبدى * وقد غلبتنى حنانة الابوه *
وأسرتنى حلاوة البنوه * وأثقلتنى قيود الشيخوخة عن السعى فى طرق ارشاده *
ومنعتنى شدة الرأفة من حمله على سبيل اجتهاده * وأعوذ بالله ان أكون كالباحث
على حتفه بظلفه * فاطفى بصرصر الاهمال سراج نجابته وعرفه * فاول مبادرتى
لقبول نصحكما * أنى سلمت اليكما * ثمرة فؤادى * وأحضنتكما زهرة أملى ومرادى * فانتخبا
لوقايته مما استحسنتماه من القصور و رتبا لتعليمه من اصطفيتماه من العلماء والفلاسفة
وقررا لخدمته من رضيتماه من الغلمان والتمسا من الخزينة مايكفى لكافة ما يحتاج
اليه وأعوذ بالله من ان أمنعكما عن ارشاده * وأعوقكما عن مايعود بسداده * ويكون
فيه تقويم صناداة فالملك لا يكون ملكا الا بملكة قبول الامتثال * لكل صادق النصح
فى الاقوال والافعال * وقد تحقق خلوص صدقكما عندى * وتضاعف حبكما فى ايقاظى
الى ارشاد ولدى * وقد دهتنى صولة الهرم عن الهمة الى الآن فادركانى ما فرط من
أمرى * وابدلا فى هذا الشأن عسرى بيسرى * واقبلا فيما فات من الاهمال واضح
عذرى * ثم نادى الملك يا صبوح * على ممدوح * فقدم عليه بذلك المصون * كانه لؤلؤة

من اللؤلؤ المكنون * فعلا في الحال على فخذ أبيه وصار يلعب بلحيته * ويعبث بطيلسانه وجبته * فقبله الملك وضمه الى صدره وقال اعلم ياقرة العين * انى أقمت على كفالتك هذين الاثنين * وملكتهما زمام تربيتك وتأديبك * والزمتهما بارشادك وتهذيبك * وأمرتك بالسمع والطاعة لكل ماقالاه * والامتثال لكل ما أشارا به ورأياه * فان بلغت الرشد هابالك * وبكل طاعة أجابالك * وان أبيت الامتثال أهانالك * وبكل صعب أصابالك * فلا تغتر بخلافة أبيك * ولا تتكبر لعدم وجود أختك وأخيك * واسمع قول التيمورية في هذا المعنى اتخذ الادب هركز اللارب * فهو لكل رفعة نعم السبب * ثم التفت اليهما وقال اقبلا مني خيرتي * وصونا عن الهوان ذخيرتي * فقاما على الاقدام وقبلا الارض بالسمع والطاعه * ورفعا الى قبلة الدعاء أكف الضراعه * بتأييد الخلافة بالنصر والسرور * الى يوم البعث والنشور * بعد ان أمهلا الامر أسبوعا حتى يمهد القصر وترتب الخدم * ويتقرر كل لازم وما سيلزم * وعند ذلك تقدم الوزير الى ممدوح وأخذه من حجر والده وأجلسه على دست عن شماله وقال ياعزيزي هذا مقر جلوسك حين حضورك عند الملك بعد الامر اليك بالجلوس * وأملي اني لا أراك بعد ذلك تعبث بلحية ولا بملبوس * قال فاغرورقت عينا الغلام بالدمع حتى نثرت جمانا * وغشي اللؤلؤ مرجانا * وخفق جنانه لصعوبة هذه المعضلة التي لم تسبق اليه * وضاق صدره لعنف هذه المشكلة التي لم تكن وردت عليه * وبانت له بزعمه انها اهانة غريبه * ومصيبة عجيبه * وتخيل ان أباه يأمر بضرب عنق الوزير في الحال * ولا يعده بادنى امهال * فالتفت نحو أبيه ليريه تراسل عبراته * ويدريه بلهيب حسراته * فتغافل الملك عن مارآه * وتجاهل الذي أبداه * وقد أحزنت الحنانة قلبه * واذهبت الشفقة لبه * فلم يسعه الا البعد عنه في هذه البرهة الضنكة فقام بدون ان يخاطبه بادنى ملاطفه * أو يسره باوهى ملاعبة أو مداعبه * وخرج في الحال الى البستان ثم ركب من ساعته الى القلعه * وصمم على عدم مبيته معه تلك الليلة لانه كان يبيت مع ممدوح في قاعة القلعة * والوزير يبيت في حجرة من داخل تلك القاعه والنديم على بابها لانه منذ فقدت والدة ممدوح لم يدخل الملك قصر الحرم بل كان منهمكا بتأدية خدمة ولده ومبيته معه في قاعة الحكم مع الرجال

الفصل الاول

وكان للملك قيمان * أحدهما على خزينة المال * والآخر على خزينة السلاح اسم الاول دشمنام والثاني غدور وكانا يبغضان الوزير والنديم ويحسدانهما على توجه الملك اليهما * وعطفه عليهما * فلما تقلدا بكفالة الملك الصغير تضاعف الحقد * وكبر الوجد * وكانا باضرة السلطانية يسمعان كلما أمر به الملك قالت فاشتغل الوزير والنديم بتمهيد القصر لممدوح * حتى رتباه كما يرومان في ظرف ذلك الاسبوع وكانا هذان القيمان في خدمة ممدوح * فلما دخل ممدوح بعد توجه والده الى القلعة وقد استشاط غيظا

مما فعله الوزير وصار يشتكي اليهما ويبكي فاسكتاه باللاعبة * والهياه بالنكت والمداعبة * حتى ذهب حزنه ثم قالا له ان أصل الوزير ان بعدنا عنك فاذا بليت ببادرة مثل هذه فمن يقوم بما يسليك في غيبة أبيك فقال ان أمر الوزير ببعدكما عني رددت قوله ولم أفارقكما أبدا فوجداه سلكا للدسائس في حق الوزير والنديم بواسطة هذا الصغير الذي لم يميز خيره من شره فلما كان اليوم السابع أرسل الملك الى الوزير والنديم يسألهما عن كيفية مقابلة ولده له فاجاباه بانا نحضره في كل يوم جمعة للحضرة العلية * لتمتعه بتلك الطلعة البهية * وذلك بعد مضي ستة أشهر بشرط ان يكون سؤال الملك لولده مقصورا على دروسه وعلومه * وجميع محادثته اياه * دائرة على البحث فيما تلقاه ووعاه * فلما تجهز القصر ونقل اليه ممدوح وحضر المعلمون وترتبت الخدم واختص القيمان بخدمة الملك الكبير وعلم ممدوح بذلك دخل الى الوزير باكيا وقال ألم تكتف بمعدأبي حتى أبعدت عني من كانت راحتي في خدمتهما وموانستهما وأملي منك ان تأمرهما بالاقامة عندي وأنا في طوعك كما تشاء فقام الوزير الى خلوة النديم وأعلمه بما صار وقال اعلم يا أخي ان هذين الرجلين ان لازماه أفسداه بدسائس النفاق * وأشرباه أخلاقه وساوس المخالفة والشقاق * فقال النديم أنصفت ولكن اذا رددنا أمره من أول وهلة فسد أمر انقياده لطوعنا * فنبقي هذا الامر لوقت آخر ونكتفي ببعد أبيه كما أشار والايام بيننا * فاستصوب الوزير هذا الرأي وقبل أمر ممدوح رغما عنه وأبقى معه هذين القيمين وكان ممدوح يميل الى عقيل ويبغض الوزير من يوم أخذه من حجر أبيه فكان الوزير يدخل عليه في كل يوم صباحا ويقيم معه الى الضحوة لمناظرة كيفية تلقي الدروس ثم يتوجه بعد ذلك لادارة أمور المملكة الى الحضرة السلطانية ويخبره بكل ما كان من أمر ممدوح في يومه وليلته فتستروح روح الملك بذكر ولده وتقدمه في المعارف وأما النديم فكان يلازمه بعد توجه الوزير حتى تنتهي دروسه ثم يبادره بالنصح في معرض المساهرة ويتحفه باحاديث تهديه الى الرشد على سبيل المفاكهة ولم يزل في ملاطفته حتى ينام حذرا من دخول القيمين عليه في خلوة عنهما فيغلبان على فكره بالنفاق * وأسباب الشقاق وعوائد الفساق * حتى اذا استغرق في النوم توجه النديم الى مولاه الكبير وأتحفه بما كان منه من حين خروج الوزير حتى نام وكان القيمان يقومان بخفارة ممدوح الى الصباح ويترقبان الفرصة للدسائس فلم يجدا وقتا قالت فمكث ممدوح في تلقي دروسه وحسن انقياده حتى مضت الاشهر الستة وهو على استقامة كريمة ولم ير منه أدنى مخالفة لامر الوزير والنديم سوى شدة ميله لدشتام وغدور فلما حان يوم المقابلة هيأه الوزير بافخر الملابس وأخذه هو والنديم وقدما به على الملك والقيمان يقفوان أثرهما فدخل على والده وسلم عليه برسوم الخلافة وامسك عن الجلوس حتى أمر فجلس جاثيا على ركبتيه وصار الملك يسأله عن ما أخذ من العلوم وهو يجيبه باحسن جواب وأشهى خطاب فاهتز الملك طربا وقال في نفسه ان كان هذا التحصيل في نصف عام

فما يكون في الطعام كله ثم حضر الطعام فتقدم ممدوح بعد جلوس الملك والوزير وجلس بادب باهر وجعل يأكل بلطف وعفاف فصار الملك يتأمل في اثناء تناوله الطعام الى ما بيديه من الآداب حتى كاد يستفزه الطرب الى تقبيل أكف مالك وعقيل ولولا عزة الملك بشرف السيادة لهم بذلك أو فعل فلما انقضى ذلك اليوم المشهود وهموا بالانصراف أنعم الملك على كل منهما بخاتم من أنفس الجوهر * وعلى ولده بجواد بلبب مجوهر * فانشرحت صدورهم بهذا الانعام * وقرت عيونهم بهذا الاكرام * والتهب قلب القيمين حقدا * وطاشت عقولهما حسدا ووجدا * وتحسرا على عجزهما عن ايجاد مكيدة لهما في أقرب وقت فلما وصل ممدوح الى قصره دخل والنشاط يلوح على ناصيته وأمر الخدم بتمهيد مربط لجواده وصعد الى قصره ومازال مع النديم في مسامرة حتى نام بعد ان ذهب الوزير على حسب عادته ولما نام الفتى برهة تخيل له الجواد في نومه فانتبه مسرورا بما رآه واستوى جالسا فنهض دشنام الى الفرصة التي أمكنته وصار يلاعبه ويرقص له هو وغدوروهو يضحك عليهما اضحكا بليغا وقد مضت تلك الشهور ولم يضحك ممدوح مثل هذا الضحك وكان قد نسي الضحك من يوم دخوله القصر الذي هو به فقال لهما لم لم تضحكاني كل ليلة بهذه الملاعبة فقد جددتما لي حظا كنت نسيته فقالا عزيزنا نحن نفدي ساعة من أنسك بارواحنا انما لم نجد وقتا من ملازمة الوزير والنديم اياك وانهما اذا اطلعا على أنسك بنا شكوانا الى والدك فيبعدنا عنك وان أبعدنا عنك زهقت أرواحنا شوقا اليك وأسفا عليك ومازالا يزخرفان له مثل هذا الحديث حتى داخله الاستغراب وقال كانهما يكرهان أنسي * ويريدان تكدير نفسي * وهما صنيعا والدي اللذان يراهما أهلا لكفالتي * ومحلا لحفظي ووقايتي * فقالا دعنا يا مولانا من هذا البحث وذرنا نلعب ونطرب انجلب أنسك ونؤنس نفسك حتى تنام نوما هنيا وتهب نشطا قويا فصار يتفكر في هذا القول حتى غلب عليه النوم فهنأ بعضهما بعضا بفتح باب الامل ثم مضت مدة وممدوح يتوجه الى القلعة في كل يوم جمعة لمقابلة والده وكلما رأى الملك تهذيب ولده زاد في اعتبار وزيره ونديمه وكلما زاد في ذلك يزداد الحقد في قلوب ذينك المنافقين فقال ممدوح يوما من الايام كيف العمل في ان اختلي بكما للمباسطة والمؤانسة قالا ونحن أيضا نلتمس هذه البرهة كمواسم الاعياد فاذا أردت ذلك فتناوم مسرعا اذا شرع النديم في المسامرة ليتخيل انك نمت فيذهب الى خدمة الملك وعلينا ان نسليك بالملاعبة كما تريد ففرح ممدوح بهذا الرأي وصمم على اجرائه فلما جن الليل وأخذ النديم في حديثه جعل ممدوح يتناوم بل أظهر انه نام بالفعل فتركه النديم وتوجه الى خدمته وعند ذلك قام الفتى وقد جدد له ملعبا ظريفا ومازالا يضحكانه حتى نام مشمرا وحاولا استمر الفتى معهما على هذا النسق وهو يجد في نفسه راحة وانشراحا كما جرت عادة الجاهلين فلما تم العام عقد الملك مجلسا لامتحان ولده واحضر علماء الفنون وزعماء المعارف وامتحن ولده في حضرة الجمهور فكان أول درجة من أهل الدرجة الاولى فيما تلقاه حفظا وفهما

وسرعة اجابة فعوذه الحاضرون * وحصنه السامعون * فلما انتهى اليوم على أحسن
حال أنعم الملك على المؤدبين بما يليق من الخلع والانعام وعلى الوزير والنديم أيضا بقصرين
من قصور منتزهاته بكامل أثاثهما وقال لهما الملك اقبلا هديتي وان لم تكن مكافئة
لبعض حسن صنيعكما فقاما وقبلا الارض وبسطا أكف الدعاء بالرفعة والنصرة ولنجله
وأمن الحاضرون وقد ابتهجت الرعية من تباهة ممدوح لانهم كانوا في كدر من عدم
تقدمه وتعلم خوفا على الملك ان ينتقل اليه بعد أبيه فلا يحسن الادارة ولا ينهج منهج
العدل وتسوء سياسته فتنقلب الاخصام على ملك أبيه فلما قرن اليوم بحسن الختام قدم
ممدوح الى قصره وقد أتحفه الملك بقصر الدجلة والفرات بكافة ما حوله من الحدائق
والرياض وكان الملك شاور الوزير والنديم في ان يعطي لولده أحد الضياع العامرة
فنهاه بقولهما ان ملكا يريد ها بادر بالاسراف وان لم يمتلكه صار في نفسه شيء لا سيما
ان دس اليه أحد المنافقين طرفا من الفتنة يؤول الحال الى التطاول في الطلب فان
خذلناه عليه جرأناه * وان جدناه على التبذير حملناه * فاستصوب الملك هذا الرأي واكتفى
باتحافه بالقصر المذكور فلما رجع الفتى بمنشور هذا القصر صار يعرضه على خدامه
وأتباعه بكل مسرة واستشاط غيظ ذينك المنافقين وصار مع الحقد يتضجر من آماقهما
فنظر ممدوح اليهما واستغرب بكاءهما وصار ينتظر الليل حتى أقبل واختلى بهما على
حسب عادته وسألهما عن الداعي لبكائهما مع السرور الذي قد تحصل عليه فقالا عزيزنا
ومالك أرواحنا اننا نبكي على أسرك وأسر أبيك في أكف هذين الرجلين فاستغرب الفتى
وقال كيف ذلك قالا نعم لما رأينا سروركم بالقصر وددنا لو أنعم عليك ببعض الضياع
كما أنعم على وزيره ونديمه فتنعم أنت أيضا على خدمك وخاصتك كما جرت عادات الملوك
ألم تر الملك كيف ينعش بانعامه رعاياه ألم تكن أنت أهلا للانعام لتسر به خاصتك ألم
تقس عند مولانا الكبير بالنديم والوزير اغما الملك معذور في انقياده لهما فلا يمكنه
ان يمدك كما أمدهما قال ممدوح ان كانا منعاه عن الاعطاء فلا بد من حق لهما في المنع
لم تدركه عقولنا الان رأيهما سديد وهما لا يمنعانه عن شيء يكون خيرا الى وله فلو لم يكن الملك
حفظه الله رأى كل نفع من رأيهما لما انقاد لاشارتهما حاشا ان يرمى الملك بالغباوة وعدم
الفراسة فلما سمعا ذلك القول منه كادت أرواحهما ان تفارق أجسامهما فتضجرا
وتحسرا وقالا مولانا انك حديث السن ولم تدر بمكايد الرجال فحاشاك ثم حاشا ان تمس
الغباوة اعتاب الملك أيكون في شريف علمك ان السحر أثر بصاحب الشفاعة عليه
الصلاة والسلام لما سحرته بنت لبيد اليهودي وحيث كان تأثير السحر بسيد البشر
فكيف لا يكون بأمته وما تراهما الا قد سحرا الملك فانقادا لهما ألم تتذكر اليوم الذي
سلمك الملك فيه اليهما كيف جذبك الوزير ولم يرفق بك حتى اخذك من على فخذه بعنف
وأجلسك بعيدا وصرت تبكي ولم يلتفت لبكائك وقد كان لا يطيق سكوتك عن الملاعبة
برهة ولا يمكنه البعد عنك ساعة فكيف رضيت حنانته ببكائك وبعادك فتأمل ممدوح

فى القول فخاله حقا وأثر فيه ذلك وكان قد نفر من الوزير عند ما أخذه من حجر أبيه فتمكنت نفرته وتخيل له أنه سحر وصار فؤاده يتلظى خوفا على والده من السحر فدخل الفتى من الفكر القلق والارق وصار يقول كيف التخلص من هذه المهلكة وصارت خلوته معهما قاصرة على هذا الامر فقالا له نحن نسعى بارواحنا فى حسم هذا المشكل انما نرجو الامهال حتى يدركنا الله بالسعة فى النقود فعليك ان لا تلين لهما القول فى كل ما أشارا به عليك قال ممدوح كيف ذلك وقد أثر سحرهما فى أبى فان رددت قولهما سحر انى أنا أيضا فقالا لا تفكر سنستعين فى صيانتك بالتمائم والتعاويذ ولكن لا سعة لنا ولا لمولانا فى النقود قال اذا قدمت على الملك أعرض لاعتابه بطلب ترقيكما فى زيادة مرتبكما حتى تتسع ذات يديكما وكان سبب تأخيرهما فى الترقى ظهور الخيانة من أعينهما وفراسة الوزير كانت تدله على ذلك فلا تسمح بارتفاع مراتبهما ولا توسيع معائشهما حذرا من ان يتمكنا فى السلطنة على مولاهما بدسائس الخيانة وأما تقليدهما بشرف خدمة خزينتى المالية والسلاح فداعيه قوة سعيهما فى التحفظ وعلو الهمة فى كل أمر يختص برضاء الملك وكان الملك يميل اليهما للوفاء بخدمتهما وأما أمر ترقيتهما فكان منوطا برأى الوزير فكانا على الدوام ينتظران له كل ضر * ويترقبان لمركزه كل شر * ولا يتمكنان من ذلك لرسوخ قدم العادل وعدم قبول دسيسة فى وزيره بل ومجازاة كل من اغتابه أو عابه فلما ألزما بخدمة ممدوح تالا الارب لان الجاهل مكرة لكل منافق يحركها بصولجان نفاقه * ولعبة لكل فاسق يفعل بها ما أراد من كيده وشقاقه * فلما كان يوم الجمعة توجه الفتى لوالده وعرض عليه رجاءه فى توسيع معائشهما وزيادة ماهياتهما فقال الملك هل استأذنت الوزير فاستحسن ذلك منك فقال ممدوح كنت أروم ذلك بالامس وقد نسيت فقال الملك اصبر حتى نستشيرهما فيحصل المراد فرجع باكيا حزينا وأخبرهما بما صار فبكى التيمان لبكائه وانتحبا على انتحابه ثم قالا يا مولانا لا تحزن فدتك أرواحنا ونحن لم نرد السعة الا لما أعلمناك به فلا يكن عندك أسف لعدم حصول الامن فنحن نبتاع أثاث بيوتنا حتى نتحصل على ما أضمرناه ونحتال فى ازالة الوزير والنديم حتى غلك أمرنا ونبلغ قصدنا ونقلدك الخلافة فقال وماذا يحصل لوالدى حفظه الله حتى أتقلد انا أمر السلطنة فلما سمعا كلامه حزنا على ميله لابيه ولكن لم تسعهما الا المداراة فقالا اذا استعد شبل الملك قلده أبوه الملك وتجرد هو للعبادة قال ممدوح اذا كان الامر كذلك فلا بأس فما زال يشرب من مجارى النفاق * كؤوس حميم وغساق * حتى زاد عن درجة التيمان وظهر ما له للوزير والنديم وانكشف فجوره منهما فصارا لا يصغى لاقوالهما * ولا يكترث بافعالهما * فاختلى الوزير مع النديم وقال أى عقيل انى أتمثل بقول التيمورية حيث تقول

أرى مرخى من الاغصان ينمو * ومن ماء الخداع له ارتواء
وأخشى ان به قدحت زنود * سما الاحراق والتهب الفضاء

فانى أرى أيها الصديق لهذا الاغماض شأنا عظيما فاتراه فى مداركة هذا الامر قال فقال عقيل علم الوزير أجل من ان يخفى عليه عذر الفتى فى الميل لهما والاغماض عنا ما سمعت قول المشار اليها فى هذا المعنى من جهل مسالك الرشاد * ظن المراد فى طرق الفساد * ولها أيضا النصوح لدى الجاهل كالب عقور * وهو ما استطاع عنه نفور ﴿شعر﴾

أرى رب النفاق بدا * بطالع نحسه الزحل
له كاس اذاق بها * نقيع السم فى العسل

فكيف يميل للعقور * ويمسك عن هذا النفور * وانى منذ رأيت ما رأيت استنظر أمر الوزير فى هذا الشأن وكيف التدبير فى سلوك الرشاد * وكف أكف الفساد * قال الوزير اعلم يا أخى ان منعهما عنه ليس يمكن لاننا اذا منعناهما عنه زاد الميل منه واشتد الكرب عليه وتضاعف نفوره منا فليس لنا الا التعطف عليهما والمداراة ما استطعنا حتى يهدينا الله الى مسالك الهدى ويهديه لنا * وقد زادت بهما الفكر وتبدلت راحتهما بالعنا * وتلبسا بالحزن بعد الهنا * ثم قام الوزير الى القلعة وقال للملك مولاى اذا قدم العزيز فاقبل رجاءه فى ترقية دشنام وغدور وأرض خاطره وكرر اجماله الى ممدوح وقال سيدى أنا أساعدك فى ترقى صاحبيك فاعرض للملك عن ما تريد فانك تنال فتنفس ممدوح الصعدا وقال الله يساعدنى ويساعد أبى فى كل ما القيناه وسنلقاه ولك الفضل والامر فاسودت الدنيا فى وجه الوزير من صعوبة هذا الجواب ولمح فى معناه أنواع الخداع والنفاق ووجد رائحة ما تعلق بنفسه من الضيق والاختناق * والنديم يسمع ذلك فقاما الى خلوتهما والدمع يهمى من عيونهما وجلسا يتحسران على هذا الخسران فقال الوزير للنديم اعلم يا أخى اننا لا يسعنا الا الاغماض عن كل جواب صعب * واللين لكل شديد من الخطاب والخطب * ثم البشاشة للمنافقين واظهار الميل اليهما حتى يدفعهما الله عنه ويقيه شرهما وقد سمعت ما كان من عنف الجواب فان عاملناه بجنس معاملته اداه ستر ذلك الى جسارة الوقاحة فنكون قد أضعنا الحزم واسأنا السياسة بل وعدمنا الاحساس لانه بين غائلتى جهل ونفاق فان لم نكن أهلا لقبول عذره فاين صداقتنا ورأفتنا عليه ولا تنس ما قيل من نصح جاهلا عاداه وصده * ومن أغواه مال اليه وده * فالخداع للجاهل محبوب * والتملق اليه أقصى مطلوب ومرغوب * فلا يقابل الجاهل بالرد عن مراده فجأة ولا يبادر بالزجر عن قصده خشية من طغيان وقاحته * وغلبة شراسته * فانهما يؤديان الى جحود نعمة التربية * ومعاملة الحسنة بالسيئة * وان لم نتداركه بالسياسة قبل تمكن وقاحته ساقته القحة الى الهلاك فان لم نقابله بالصبر غدر * وان لم نعامله بالعفو كفر * فعلينا اذن السعى فى توجيه التفات الملك اليه * والعطف بالانعام عليه * وبعد ان استقر رأيهما على ذلك توجه الوزير الى الملك وقال يا مولاى ان قيمك قد وفى حق العبودية لمولانا الصغير واستحقا الانعام وكان ذلك يوم الخميس فلما قدم ممدوح على والده غدوة قال له الملك قد رغبت فى توسيع معاش

دشنام وغدور وقد شهدا الوزير والنديم بحسن خدمتهما لك فتعلقت ارادتي بزيادة
ماهيتهما مع الانعام على كل واحد منهما بمائتي دينار فقال عدوح خف الله دولة مولانا
بالنصر ثم قام وقبل يمين والده بكل سرور وبشاشة وأخذ الانعام وعاد الى قصره بعد
مضي يومه وبشرهما باحسان الملك اليهما وزيادة ماهيتهما وكان أصله سرورهما
بالبشارة فاذا بالدمع يدفق من آماقهما فلما رأى منهما ذلك استشاط غيظه * وقال
ما الداعي الى البكاء أكان مكافأة بشارتي لكما أم استقللتما انعام الملك فقالا حاشا لله
يا مولانا ان بشارتك شرحت صدورنا * وانعام الملك قرت به عيوننا * وانما كان
بكاؤنا أسفا عليك حيث انك عرضت على الملك أمر ترقيناسا بقا ولم يقبل منك وكسر همتك
بردر جائك ولما شهد الوزير والنديم بحسن خدمتنا قبل قولهما وأنفذ أمرهما فكيف
تكون أبهتك بين الخدم والحشم فاثر ذلك القول في الغلام وانقلب سروره بالاسف
وانساب الدمع على وجنتيه وبات حزينا كئيبا فلما كانت الغداة جاء الوزير والنديم
بخاتمين من الياقوت وقبلا الارض وقالا يا مولانا انا نقدم هذين الخاتمين لقيمتك من لدنا
وذلك لما رأيناه من حسن صداقتهما لك وحنانتهما عليك متعنا الله بدولتك وأيد
بالنصر أعلام سلطنتك فطابت نفس الفتى وانشرح صدره وصار يتأمل في حال الطرفين
ويقول في نجواه أين هذا القول وحسنه من ذاك القول وشتعته حيث ان هذين
يميلان لهما طمن صداقتهما وحنانتهما على مع ميلي لهذين القيمين ونفوري عنهما فوا أسفي
لجهلي بحقيقة الحال لان هذين يمدحانهما ويشهدان لهما بكل اصلاح * وذانك
يرميانهما بكل خيانة فليت شعري من الاحق بالطاعة فاوافيه * ومن الاحق
بالاجتناب فاجتنبه * ثم أخذ عدوح الخاتمين بعد توجه الوزير والنديم ودخل على
المنافقين بمنونيته بمارآه منهما وقال قد انخدعكما الوزير والنديم بهذين الخاتمين لما رأيا
حسن انقياد كما لخدمتي وقد ملت اليهما كل الميل حين سمعت حسن امتداحكما
وتشكرت حسن صنيعهما فلما سمعا هذا القول اسودت الدنيا في وجوههما فاطرقا
الى الارض برهة طويلة ثم قاما يضربان كفوفهما قائلين هذا الذي كنا نخشى عليه منه
ولقد هم بالوقوع فالسرعة في ادراكه قبل تمكنه من السقوط فاندهش عدوح وقال
ما هذه الحال فقالا عزيزنا انهما لما رايا لك قد تحققت بالرشاد وعقلت ماشان ومازان
ابتدرا لك بالسحر العظيم حتى تكون مسخرا لهما حذرا من ان تفطن لمكرهما * وتظهر
للملك خيانتهما * أرأيت يا مولانا كيف صالت اليهما مع عظيم فعلهما الذي لو تأملته
لوجدت فيه ما ينفرك عنهما مدة حياتهما قال وما ذاك الفعل فقالا لقد عدم تميزك
وفقد ادراكك كيف تكون أنت ابن الخليفة الوحيد ولي عهده ولم تقم قدرتك
بالانعام مثلهما على من يقوم بخدمتك * ولست تملك شيأ سوى ما يخصك من
ملابسك * وهما يعادلان الملك في الانعام ويظهران بعجزك للرعية فلا حول ولا قوة
الا بالله فاثر في الفتى تصغير أبهته واهانة نفسه فملكه الاسف وانكسر خاطره وخاف

على نفسه من أثر السحر فقال لهما أريدهما اليهما ولا حاجة لنا بهما حيث ان دسيسة
السحر فيهما فطمعا فيهما ولم يسمحا بالرد وقالا نستغفر الله من ذلك لاننا لو رددناهما
يشكوانك للملك فيزجرك ويطردنا من عندك فنحن نقلدك بالتعاويذ والتحاصين ولو
أنفقنا كل ما نملكه فقال الفتى لكم الخيرة والخير فيما اختاره الله وكان ممدوح الى ذلك
الوقت يأكل مع الوزير والنديم فحذراه عن الاكل معهما لما أحسا بميله لهما وقالا اننا
نرى أثر السحر فيك وأغلب ظننا انهما يضمان لك شيأ في الطعام فلما قدم الوزير على
حسب العادة بعد انتهاء الدروس وتهيأ الطعام تغيرلون ممدوح خوفا على نفسه فقال
الوزير عزيزي لا بأس عليك مالي أراك على غير بشاشة قال الفتى ان تناولي الطعام في
هذا الوقت يتخمني لاني مفقود الشهية من فتور الدروس وانا أتناوله رغما لاجل
وجودكما فيؤدي الى الهيضة فان وافق رأيكما ان تتناولا أنتما طعامكما وانا أتناول حين
ما أشتهي كان حسنا فنظر مالك لعقيل نظرة آسف وقال له الامر لك وكما تريد فافعل
فنادى الوزير على المشايخ وقال ان الملك يفترعقب الدروس عن الطعام فلنأكل نحن
وليرفع طعامه حين طلبه فتقدموا وأكلوا معا وكان الطعام يأكل في قلب الوزير
والنديم وانصرفا بعد الطعام الى حجراتهما واحضر الوزير الاشجي وقال استخبر من
الملك عن أي طعام يرغبه صباحا بعرفة القيمين وعليك ان تختم الصحاف عند الطلب
حتى يزيله بيده ثم صار يتداولان الحديث فقال الوزير أبصرت فعل المنافقين
حين أحسا منه بالميل الينا كيف عكسا علينا الامر فالذي فطنت له من تحاشيه
عن الطعام معنا فقال النديم تخيل اضافة شئ من السحر الى طعامه وطفقا يبكيان
ويقولان هذا أول اعراض ونفور ثم قال عقيل كيف العمل في حل هذا المشكل
فقال مالك مشكل النفاق والخداع لا يحل الا بقدرة القادر فاذا أراد الله حسن سلوكه
وصيانته فمع آجالهما والا فيكون وجودهما عنده لامر يعلمه هو لانهما ما داما معه تترقى
مصيبة مكايدهما له يوما فيوما وان أبعدناهما عنه بامر الملك كانت مصيبة بغضه لنا
أعظم لان الجاهل رب النفاق عشيق * والناصح لديه عدو حقيق * فاذا رمى العاشق
بفراق الصديق وبلى بعشرة العدو اشتعلت لوعته * واشتدت زفرته * يفعل ما بدا له
من الجحود * ويورث اللعنة للآباء والجدود * فعقدة النفاق شديده * وعقيدة
الجهل عتيده * لا تحل ولا تحاور ولا ترد ولا تكابر * فالسياسة في الصبر واللين
والسير بالمداراة والتمويه حتى يسمح الله بالاحساس في ادراكه فينتحي عنهما
أو يبعدهما الله عنه وقد حسدتنا والله عين الفلك واصابتنا نظره الدهر فكان وجود
هذين الرجلين وسيلة لاضمحلال هناء عيشنا وذريعة لزوال بهجة مسرتنا فهما أبديناه
من الصدق بالنفاق مدثور * ومهما أجريناه من حسن الخلوص بالخداع غير
مشكور * كيف وهما يظهران الهدى من الضلال * ويؤكدان الحق في المحال *
وما زالا يضربان الراحات من الحزن والاسف ويتفكران في ايجاد شئ يسران به ممدوحا

يمدح سهما ويستحسن رأيهما حتى حان وقت الامتحان فدخلا على العادل وقبلا
الارض وقالا ان مولانا الصغير قد تقدم فى العلوم وشارف الحلم فالامل أن يتحفه الملك
بايجاد شئ مختص برفعة ابهته لتتسع فكرته ويقوى انتباهه ويبرع لدى الامتحان
بين الخاص والعام فسر الملك بذلك وقال نعم الاشارة هذه فأى شئ تستحسنانه يكون
حسنا عندى فقال الوزير يبشره الملك بانشاء عمارة فى ساحة الجزيرة وتكون
هندستها محتوية على أربع سرايات ﴿الاولى﴾ مستعدة لبنائه بعروسه ﴿والثانية﴾
لديوان حكمه ﴿والثالثة﴾ للزائرين بمقاعد مميزة على حسب مراتب القادمين
﴿والرابعة﴾ فى هيئة خانقاه للعباد والزهاد فيكتسب من الزائرين حسن السلوك من
مواعظ القصص والاخبار ويتسلى بالنكت الغريبة ويؤجر بملاحظة الخانقاه
والتصدق على فقراء المهاجرين * ويربح دعاء من يحل بها من العباد والصالحين *
فشكر الملك فضل هذه الاشارة * وقبل وصيتهما بسر وبشارة * فلما كان ذلك
اليوم المشهور أحضر الملك كل مهندس ومعمار وحضر كل استاذ وفقيه وتقدم ممدوح
للامتحان فكان يجاوب عند افتتاح السؤال بكل معنى يدعو اليه البحث لعلمه بالسؤال
وعليه حتى انتهى امتحانه فى أقرب وقت على أحسن حال فرفع العادل صوته قائلا
سأخبركم أيها العلماء العقلاء والامراء العظماء ان ولدى قد بلغ من السن أربع عشرة
سنة وأملى المبادرة فى انشاء عمارة يكون بها ما يليق من القصور لوليمة زفافه وتكون
فى أحسن موقع وأطيب بقعة وأصفى هواء وما أرى فى البقاع أحسن من الجزيرة
النضيرة فرادى انشاء أربعة قصور بها أحدها للزفاف والآخر لديوان حكمه
والثالث للزوار والرابع يكون تكية للمهاجرين وأقرر لكل قصر ما يفى
بمصرفه من الضياع العامرة لاسيما قصر العروسين فاهتزمن بالمحفل طربا وقاموا على
أقدامهم وقبلوا الاعتاب بالتشكر لهذه البشارة وتبريكا بالامتحان ثم دعا الملك بالمهندس
فأقبل رئيس حرفة الهندسة باعوانه وقبل الارض وقال الحمد لله الذى أبلغنا هذه الدرجة
واسمعنا هذا الامر فأول التمامى تحديد المدة والتشديد فى حضور العمال من أقصى
البلاد والهمة فى خروج السعاة لجلب المهمات النادرة من أماكنها كأخشاب الآبنوس
والرخام الملوّن بحيث لا يدعون شيأ لم تر العيون نظيره الا أحضروه بمشيئة الرحمن وتم
الرأى على انهم سيعقدون مجلسا فى أمر الانشاء مدة أسبوع حتى يثبت الحكم فيه على
أحسن حال فطار قلب ممدوح من الفرح فقام وقبل راحة أبيه والملك قبله بين عينيه
وأتحفه بما يليق من نفائس جواهره ثم تقدم ممدوح الى الوزير والنديم والبشير يلوح
من ناصيته فتلقياه بالتهنية من الارض وقبلا ناصيته وهو قبل لحيتهما ورجع ممدوح
مع الوزير والنديم فى أشهى مسامرة وأهنى مؤانسة والمنافقان يقفون أثرهما حتى
دخلوا القصر جميعا وقد اختنق القيمان غيظا من توجه الفتى الى الوزير والنديم

وحسن التفاته لهما فلما وفى الوزير جلسته مع ممدوح توجه الى خدمته وأقام النديم
فى المسامرة حتى نام وتوجه هو أيضا على حسب العادة صار المنافقان يتضجران على
نومه قبل القاعد سائس الفتن وما أعداه من المكايد وكانت تلك القصور تخيل له فى نومه
فانتبه والنشاط يلمع فى جبينه فطار النوم بالسرة فاستوى جالسا فوجد ذينك المنافقين
قائمين يتحادثان فقال قد غلب عليكما السرور حتى أماط النوم عن أعينكما قالا نعم وان لم
نطش فرحا ببشارة عمارة قصورك العالية فأين مزية عبوديتنا ولو تم السرور كما تروم لك
من الابهة والافتخار لذبحنا ألف هدى وقد كنا عزمنا على استحضار ما تملكه من النقود
مع الاقتراض عليه ليفى سيدنا بما هو واجب عليه من الانعام على الرعية كما جرت العادة
بذلك لابناء الملوك السابقين فقد كانوا اذا أتحفهم آباؤهم بمثل هذه البشارة عقدوا مجلسا
فى الغداة وأمدوا من فيه من الامراء والوكلاء بالهدايا والانعام على حسب مقاماتهم من
لدنهم لتأدية رسوم الدولة فعاقنا أمران أحدهما ان ما عندنا مع اقتراض مثله لا يفى
بنصف ما يجب على أبناء الملوك تأديته والثانى ان الرعية باسرها تعلم بانك لم تملك شيأ
وانك صغير الكفين فيدركون ان النقود من عندنا وقد أعلمناك برسوم اسلافك وهو
الوجه المدسوس عنك وانا ان فعلنا ذلك تسببنا فى معاملة الوزير والنديم لنا بالسب
والنهر وما علينا من النهر والسب وانما نخشى أن يبعدانا عنك فتنقاد لهم أنت بالسحر
فتصير كالطفل فى أكفهما لا تملك شيأ ولا تفتخر بشى من رسوم ملوكيتك فلما سمع الفتى
هذا القول عزت عليه نفسه وتضجر على خلوذات يده وتصغير همته فتبدل بالحزن
نشاطه وجرى مدرار الدمع على وجناته * وتنفس الصعداء من زفراته * ثم التفت اليهما
وقال ماذا عليكما لو تركتمانى أمتع نفسى بشرى مرادها * وأروح روحى بسرور فؤادها *
ليلة واحدة فى البيت شعرى اخداع ما أبديتموه * أم اشفاق أصدق ما قلتموه * أم نفاق
فخيداعنى وخليانى وقد فوضت أمرى لعالم السر وأخفى * وهو حسبى وكفى * فذهبا
عنه ونزلا الى مخدع صغير وأما هو فقد جعل يبكى حتى طلع النهار وكان الوزير والنديم قد
اطمأنا ببشاشته واقباله عليهما فمكثا أسبوعا فى عقد مجالس العمارة وتهيئ لوازمها
واحضار المهمات وترتيب الادوات وانساقت الشعراء الى المدائن لجلب ما يلزم فلما انتهى
الامر على أحسن حالة أقبل الوزير والنديم على مولاهما بأوراق تلك الصنائع النفيسة
يعرضانها عليه لتذكية مسرته وكان المنافقان لم يزالا بذلك المخدع وهو معرض عنهما
ومختبل بحبائل أفكاره وهما يظهران البكاء والنحيب ولم يذوقا طعاما وصارا يسألان كل
من مر عليهما باعلى صوتهما ليسمعاه أأكل سيدنا أنام مولانا أيأذن لنا أن نراه ولو من
بعيد فرق قلبه لذلهما وخال الخداع صدقا فعفا عنهما وأذن لهما بالدخول فدخلا عليه
وهما مظهران له انهما يرتجفان فاستغرب وقال ما هذا الزلزال قالا له انما فعل ذلك
بنا خوفا منك وملوكيتك علينا وقد تعاهدنا أن لا نذكر لك من رسوم الملوك شيأ

بعد ذا ونرجوك ان أخطأنا بعد اليوم فأمر بقتلنا ولا تحرمنا من مشاهدتك فالقتل
أهون من الحرمان فقال لا بأس عليكما وانى أعتذر اليكما عما فعلته معكما لان نفسى قد
عزت على كيف أكون ولى عهد الملك ولم أتمتع بلحظ ليلة واحدة ثم تحقق لى صدقكما لما
تاملت فيما قلتماه فعطفت عليكما فقبلا أقدامه بانشراح منهما وصار ممدوح يتأثر من
حالته ويتفكر فى انحطاط شرفه ويحذر على نفسه من السحر مع عدم وجود نقود يدافع
بها ليزيل ذلك التأثر بالحجب والتلاوة فأثر ذلك الفكر فى فؤاده فتغير لونه وانهزل جسمه
كما جرت به عادة من وقع فى شرك النفاق من الجاهلين وليس الجهل خاصا بصغر السن
انما كل من تلبس بالخداع وخال النفاق صدقا ولم يميزه من صدقه فهو جاهل باهر
واسناده لصغر السن لوقوعه غالبا فى سن الصغر فلما قدم الوزير والنديم يحوافظ تلك
المهمات والبشر يلوح على صفحات وجوههما بحسب ما رأياه من مسرة ممدوح ودخلا
عليه فوجداه بخلاف ما مولهما مع انهزاله وتلونه وتلبسه بالحزن فاندهشا جزعا عليه
ثم تقدم الوزير وحياه تحية الملوك وساله عن ما به فتكاف الرد عليه ثم قال انى خرجت
الى البستان فأثر الهواء معى فانحرف مزاجى فزادت دهشتهما الكتمان ما به عنهما
ولم يكن لهما حيلة سوى الدعاء له بالصحة ثم عرضا عليه تلك الحوافظ فلم يكترث بهما بل
قال بارك الله للملك العادل فيها فتلجلجت ألسنتهما وقالا مه أيها الملك قال لو كان المخاطب
ملكا لاجرى واجبات الملوك فى الانعام على رعاياه انما هو فقير حقير واغرورقت عيناه
بالدمع وقام الى مخدعه وهو يبكى فأشرف الوزير والنديم على الانعاء وكرا راجعين
الى العادل وقالا يا مولانا حفظنا شيأ وغابت عنا أشياء والفهم يخطئ ويصيب فقد
كان الواجب علينا أن نعرض على الملك من باب الاخطار أن يخدم مولانا الصغير مبلغ من
الدنانير لينهم بها على وكلاء الدولة وخاصته عند ختام المجلس فليبادر الملك من فضله بالمن
عليه لذلك فقال الملك مستغربا كيف تريان جواز ذلك لحديث السن وقد سبق النهى عنه
وهو عين الصواب لان الجاهل اذا تمكن من النقود أساء الصرف وأخذ فى التبذير
والاسراف وقد وضح فى التنزيل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فلعلك أيها الوزير
رأيت منه حركة شرارة أو عدم رضاء بحالته التى هو عليها فقال الوزير أستغفر الله لم
أر منه الا كل طاعة وبشاشة لكنى أرى فطانته تمكنت وزادت عن سنه لطيب عنصره
حفظه الله وان ذلك مما يدعوه الى العطية والانعام فسر الملك وقال اذا تحققت فطانته
فدونك وما تستحسنه فنهض الوزير وأمر دشنام باخراج عشرة آلاف دينار وأخذ أيضا
عشر خلعات وبعث بها الى ممدوح باهر من الملك يقول فيه حيث ان الوزير والنديم
شهدا بحسن درايتك فى التصرف فهاك ما قدم عليك من النقود والخلع فانهم بها على من
يليق عندك قدومك فى الجمعة القابلة وذلك عندما تبشر بحسن ختام ما شرعنا فيه أرشدك
الله فلما وفدت عليه الدنانير والخلع قدم عليه الوزير بعد برهة فقال لما توجهت لاعتاب

الملك وجدته أحضر ما التحف سيادتك به وأمرني بارساله اليك فسر ممدوح بهديته لانه لم ير قبل ذلك مثل هذا السمار خصة الملك له بالتصرف كما يريد فقال للوزير اذا قدمت في الجمعة القابلة متى يكون وقت الانعام والى من يؤدى قال الوزير الامر لمولاى فيمن يرغب وأما الوقت فبعد بشرى السيادة بحسن ختام المسئلة وتقبيل راحات الوالد عند ذلك تخرج الى قاعة الانعام وتصدر الاوامر لمن تشاء فقال ممدوح المستحق من استحسنه الوزير وخير التقدير ما قدره هو فقال الوزير حيث منحني المولى بنعمة الاستشارة فواجب على الطاعة لامره ثم قبل راحتيه من باب الخيانة وعرض عليه الالتقين وقدر لهم ما يليق فقرت عين الفتى وصمم على ذلك وكان دشنام أخبر غدورا بذلك وهما يسمعان فغلت قلوبهما الاقبال على الوزير واستشارته في التوزيع وأدهشهما الطمع وكرها توزيع المبلغ على غيرهما وقد التهب قلبهما عليه فلما أتم الوزير حديثه صار الى خدمة الملك ومازال النديم معه حتى نام ثم سار هو أيضا الى القلعة فانتبه ممدوح على حسب العادة وأراد المسامرة مع القيمين في أمر الانعام فقبلا الارض وبادراه بقولهما أيد الله مولانا كما تأيد قولنا لديه فلو لم ير الوزير ان لك حقا في وجود النقود وتأدية رسوم الانعام لما أسرع بحضورها اليك فلو كانت صداقتهما خالصة من الغش لما رضيا بانحطاط قدرك عن ايفاء واجبات السيادة فحيث فات وقت الانعام فلا حاجة بصرفها واعلان الناس بانحطاط قدرك عند أبيك وقولهم ان الوزير أمر الملك ببعث النقود اليه فلولاه لم يبعث اليه شيأ ولو كان في الملك الصغير سوء أدب لم يقبل ذلك ولكن قبوله من حسن تربيته قال الفتى وكيف العمل أرد ما أنهم به والدى وارتكب سوء التربية قالا ان عطاء الملك لا يرد وانما الرأى أن تتركه في خزينتك وتتمرض أنت قبل الجمعة ليتعذر المسير الى القلعة وبعد مضى هذه الايام لا يحتاج الامر الى احسان وانعام فتيقن ان قولهما حق لان المنافق يستر الحقد بالقول المقنع ولا يخفى على السامع ان الخداع استاذ المخادع يفقه صاحبه في مكايد الدسائس ومواقعها حتى يستخلص زبدها ليقنع المخدوع بالقول السديد فصمم الفتى على ذلك فلما كان يوم الجمعة قدم الوزير ليذهب به الى الملك فوجده في الفراش فطار عقله وقال لاحد الجند على بطبيب الملك بخبير بدون أن يخبر الملك بانحراف مزاج ولده فحضر الطبيب ترجف أعضاؤه حذرا على ممدوح وكان ممدوح التفت عن الوزير ولم يخاطبه الا بتكلف ففطن الوزير لتجديد الدسيسة وطمع المنافقان في المال وقد عافاه عن القدوم على والده بعذر المرض فلما قدم الطبيب دخل به الوزير الى الخلوة وقال له اعلم يا خبير اني سأفلدك بخدمة ان قمت بفرائضها على حسب رغبتي وفيت حقوق خدمة مواليك انك تعلم ان ممدوح واحد خلافتنا وقطب مملكتنا وقد عزم القيمان على اتلاف خصاله ومرادى ان أعلم بحقيقة الدسائس فأقابلها بالسياسة القالعة لاصولها قبل تمكنها فاعمل الله يدراعنه وعن أبيه مكايد الخداع قبل أن يتفاقم

خطبها والله الموفق فأملى أنك تبدى الصداقة لهما ما استطعته حتى تصير أحب الناس اليهما وتطلع بهذه الوسيلة على أسرارهما ولا يحذرا منك فى نجواهما وتكون مشتركا فى خبايا هما لتخبرنى بما كان منهما وما سيكون وقد سامحتك فى تعييبى وسبى وسب عقيل أيضا وان تظهر نفورك منا ولا تكترث بتهديدنا اياك امامهما أوعيت ما قلت لك قال خبيرنهم وعلى ما تبغى ثم أخذه ودخل على ممدوح فصار يجس نبضه ويدق على صدره ليبحث عن مركز المرض ثم أطرق مليا والتفت الى الوزير وقال حفظ الله عزيزنا من كل مرض انما به انفعال نفسانى أوجب تغير دمه وكان عليكم أن تتأملوا فيما يبديه عيانا من التلون فى أول الامر وتسعفوه بمراده ليصفو دمه ويطيب خاطره وقد أزمن مرضه الغيظ حتى أداه لهذا الانحراف فاذا سألنى الملك لم يسعنى الا الصدق وأملى من الوزير والنديم عدم المؤاخذة لان المسؤلية عائدة عليهما لكونهما ملازميه فأظهر النديم والوزير دهشة عظيمة وقالا انا لم نر منه أدنى انفعال أبدا فسر المنافقان بما قاله الطبيب وصارا يهزان رأسهما ويقولان ما أحذق هذا الطبيب ثم أحضر الطبيب ما لزم من الجوع وقرر مواقيت التعاطى ومقاديره وأخذ الوزير النديم وقدما على الملك وقالا ان مولانا الصغير معه آثار برد فلم نرض اخراجه ومنعناه عن القدوم على الملك فلا يكون عنده قلق وفكر عليه من عدم الحضور وهو ادنا الاستئذان فى ملازمة خبيرله لتحرى طعامه وشرابه وخروجه للتريض فاستحسن الملك ذلك الرأى وأقام لخدمة نفسه غيره فصار خبير يظهر غيظه من الوزير والنديم للقيمين ويؤكد حبه لهما وميله اليهما فى خلواتهما حتى تمكن حبه فى قلوبهما وألفيا صداقته حقا وكان الوزير يحرض خبيرا على التأمل فى الدسائس حذرا من دس شئ من المسمومات للعادل فى طعامه أو شرابه لان أقصى مرادهما فقده وأما أهم أمر فى سوق خبير اليهما الذى كان أعظم سياسة من دون هذا كله فسيعلم فى خاتمة القصة فلما مضى الاسبوع ولم ير الملك ولده غلبته الوحشة فركب اليه فسبق الى ممدوح الخبر فابتدره المنافقان وقالا اذا أقبل الملك عليك فلا تبد البشاشة له وتمسك بالتململ والانكسار لتغلبه الحنانة فيعاملك بالمسامحة فى كل ما تريد ففعل ما قدم الملك ووجده بتلك الحالة لاسيما تلونه وسقمه طاش عقله وهمعت دموعه وسأله عن المؤدى الى ذلك فلم يبد شيأ سوى الانكسار والضعف فغضب الملك على الطبيب وقال ان كان ولدى بهذه الحالة فأثمرة وجودك عنده فتلجلج الطبيب وقال سأخبر الملك غدا بكل ما لزم فخرج الملك وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت وبات يجول على قدميه الى الصباح والوزير والنديم يدققان الكفوف على هذه الحالة ولم يقدرا أن يتفوها بشئ وتحيرا فى أمرهما وأما دشنام وغدورفانهما اختليا به وقالا قد أقبل عليك الفرج فاعرض على أبيك الخروج للسياحة لتمتع باتحادك معنا ونطلعك على أصول الابهة والشأن حتى تتفطن لرسوم السلطنة وتتخلص من أكف امارة الوزير

والنديم ولاغرو ان كنت بعيدا عن البلد أن تأمن عليك من أثر السحر وكان خبير يسمع ذلك ويقول أنا آتى بالرخصة فى غد وأحرض الملك على اجابة قولك فى كل ما أردته فلما كانت الغدوة دخل خبير على الوزير والنديم وأخبرهما بما كان من دشنام وغدور فبكيا بكاء شديدا وقالا لا سبيل لمنعه ولا لتخلصه الآن من أكفهما الا بالسياسة الدقيقة فاذهب ياخبير وبشر الملك بصحته واستأذن بالسياحة لعل الله يفرج كربه فدخل خبير على الملك وقال ابشر الملك بصحة عزيزنا واغا المؤدى الى ذلك الانحراف ثقل دروسه ولطف مزاجه فانقبضت نفسه عن النشاط فيلزمه التريض فى الضواحى ليتبدل انقباضه بالنشاط وينشرح صدره بالانبساط فقال الملك وما أداك الى تأخير طلب الرخصة عجل بكل ما تستحسنه فعاد خبير الى الفتى وبشره بالتصريح بالرخصة ففرح وتأهب للسفر وخرج الى الكوفة وصار يتريض كما يشاء والمنافقان يسوّلان له كل دسيسة سوء ويفهمانه ان الابهة فى عدم اللين والبشاشة وهما دهما بذلك شراسة أخلاقه وتنفر الرعية عنه فاذا فقد العادل قاماهما مقامه بعطفهما على الرعية وقربهما من ولده وانما كان اشتغال فكرهما فى كيفية يبعدان بها الوزير والنديم عن الملك والمدينة وكانا لا يجدان لذلك حيلة فمكث ممدوح شهرا بالكوفة وقدم عليه الوزير يعوده فوجد جسمه قد ترعرع وتوردت وجناته ولكن تخلق بأسوا خلق من الغرور والفظاظة فدخل الوزير وحياه فلم يكترث به وصار يتكلف الرد عليه فى الكلام فقال الوزير فى نفسه بلغ النفاق ما بلغ سانصحه مرة فان لان للقبول فبها والا فأكون أديت فريضة عبوديتى ولا طريق لى فى الابرام ولا حيلة لى فى عدم القبول فلما كان وقت التريض خرج الفتى الى الساحل والوزير يتبعه فاذا بسلحفاة قد برز نصفها من البحر والنصف الثانى فى الماء فتصادف ان رآها هر صغير فغلب عليه الشره والطمع فى الغذاء فهجم عليها وأنشب أظفاره فيما بان من يديها فلما أحست بالالم جذبت نفسها بقوة وغاصت فى البحر والهر متعلق بها وصارت هى تعوم على جرى العادة حتى دخلت وكرها وقد غرق الهر وهلك فحول ممدوح وقال لو تأمل فى كبر السلحفاة وصغر جثته لعصى الشره وخالف الطمع اللذين أديا الى الهلاك ﴿حكاية أجنبية﴾ قال الوزير لو كان انسانا لاستحق اللوم الا أنه حيوان والحيوان مرفوع عنه التكليف وقد عن لى أن أعرض على المولى نادرة تشبه هذه النادرة رأيتها فى بعض الكتب وهو ان غرابا اختطف قطعة من الجبن ومكث على شجرة ليأكلها فرآه ثعلب فقال فى نفسه انى أحتال بأكل هذه القطعة منه وسآخذها بالطف حيلة فتقدم نحو الشجرة وصار ينظر الى الغراب نظر المحب المشوق ويقول جل الذى صوّر وهذا الجمال ما ألطف هذه الذات ما أليقها بالسيادة على كل الطيور فمن لى بسماع نغماتها المطربة لينشرح صدرى ولو علم صاحب هذه الذات بدرجة شوقى لسماع نغمته لمن على ولم يبخل فرآى الغراب فى نفسه ما رآى من الجمال والعظم وقال انه صديق صادق

واغتر بحيلته وخداعه ونعق فوقعت القطعة من منقاره فلقفها الثعلب قائلا خيبة
الله عليك وعلى نعيقك فندم الغراب أشد الندم لكن بعد فوت الفرصة والندم بعد فوات
الامر لا ثمرة فيه وذاك الغراب معذور لحيوانيته لانه لم يجد نصوحا لكون أبويه من
جنسه قال ممدوح صدقت لا يرشد الانسان الا صديقه ونصوحه ومراد ممدوح بان
القيين يرشدانه بطرق السعادة فغطن الوزير لهذا التلميح فقال مولاى على من يرشد
التأمل والتمييز فيما يلقيه اليه نصوحه فان كان مألوفا لدى العامة فهو صادق والا فهو
منافق فعليه أن يعزم دلول ماسلكه فيه نصيحة فاذا رآه مرضيا لدى الناس اقتدى
بنصحه ولازمه وان كان مذموما أعرض عنه وتجنبه فالعاقل من اعتبر بغيره فأطرق
ممدوح وجد فى التأمل فلم ير فى مسلكه نجاحا واصلاحا وتصور نتيجة ما قالاه له المنافقان
انه أمر مذموم لدى العامة فأطرق مليا ثم قال للوزير أريد ايضاح النصح الصالح من
الفاسد فقال الوزير ياعزيزى ان كان الانسان انسانا فأول ما يعتبر بالدهر وسالفاته
ليكون هذا الاعتبار زاجرا للنفس عن الغرور ووسيلة اقناعها بانه لا حيلة فى المقدور
وان المال والبنين زينة الحياة الدنيا وأن لا مناص من الموت فاذا مات المرء فات كلما
حازمن الزينة والزخرف فما الفائدة فيه وعلام الافتخار به فتأمل ياعزيزى فى ما قاله
المثل لا يغرك الفرح بالوجود * وانظر لما فعل الدهر بالجدود * قد ثرهم تحت الصخور *
وصاروا رمما فى القبور * واعلم سيدى ان لكل حبل انصراما * ولكل عال انصراما * فمن
قادك لسبل الغرور فقد ظلمك * وأعدمك أملك * عزيزى من تعالت بالكبر نفسه * أقر
بالدناءة جنسه * ومن جعل العلاء مرتقى همته * أثبت الشرف لذمته * عزيزى طيب
عنصرك ومجادة كمال ملوكيتك يعلمانك بالفرق دون غيرهما فالصادق حين يجد نتيجة
صدقه جاءت بما أمله من صديقه كتم وبكى * والمنافق اذا أحس بانحطاط نفاقه أفشى
بالباطل كل سوء وشكى * فانك ان أطعت الصديق ربحته وأسررته * وان أطعت المخادع
خسرت وأخزيته * لان النفاق حبات سم والانقياد له شرك * ومن مال لالتقاطه اضمحل
وهلك * عزيزى عثرة الكبير كبيرة وان كانت صغيرة وعثرة الصغير صغيرة وان كانت
كبيرة عزيزى ان هرولت طامعا فى الفوز قبل أوانه زلفت * وان قنعت بالصبر شاكرا
ربحت * عزيزى ان لم تجرب فى الصدق صاحبا * لا تكن له مصاحبا * عزيزى ان النصيحة
لدى الطيش مرة * لكن نتيجتها عند الادراك حره * عزيزى التواضع والصبر خصلتا عبرة
يعقبها الشهد * والبغى والغرور حفرتا بخسارة يعقبها الندم والنكد * عزيزى قالت
الاذكياء خير الكلام ماقل ودل فتنظر ملوكيتك يريك * والتأمل فى سير غيرك يكفيك *
ولا جسارة للعبد فى الزيادة والتوسيع * عما أحاط العلم الرفيع * فلما انتهى كلام الوزير
قام ممدوح الى قصره وقد أثرت الاقوال فيه وغاص فى بحر التحير بين الصدق والنفاق لانه
يجد فى النفاق راحة المساعدة لجهله * ولا يجد فى الصدق الا المباعدة عن مقتضى هواه

وميله * فغطن دشنام لكنه ضمير ممدوح فبادر بالرأفة واظهار الشفقة وجد فى دفع أفكاره واعادة بشاشته وقال لا تشغل ذهنك بالفكر فتحرف صحتك فيقول الطبيب لا فائدة فى التريض فيرجعك الى المدينة وناهيك مما تلقاه من التضييق والضنك وقد وصف لنا كاهن بالغرب يخبر عن المغيبات ويحل كل معضلة من السحر فنروم احضاره ليخبرك بالحقيقة ويطيب خاطرك بالراحة عن ماجاش به وتأمره بما تريد فتروح ممدوح بنسيم هذا الكلام وقال على به قال نحتاج الى نقود كثيرة قال ألم يكن ما بعثه الملك لديكم نخذ منه ما تريد فتحدث دشنام مع غدور واتفقا على ما اتفقا عليه وسافر غدور على انه يبحث على من يسافر الى الكاهن بعد ان استأذن من ممدوح فى ذلك وكانت نتيجة سفره انه توجه متنكرا الى بغداد واشترى من الحلى ما خف حمله وغلا ثمنه لزوجته ولزوجة دشنام واتفق مع أحد المحتالين المشعبذين على انه يحضر بعد مدة قررها له بملابس الكهانة ويخبر الفتى بما لقنه غدور ثم عاد الى مولاه وقال أرسلت من أثق به فى استحضار الكاهن فلما حضر الكاهن المعهود دخل على ممدوح فعظمه وسأله ايضاح ما فى ضميره فتأمل الكاهن فى كتابه * وقال اعلم يا مولاى انك من عنصر ملوك ولا ترضى نفسك بالاسر وتأبى طاعة أمر غيرها والامتثال لنهيه وقد كنت فى الطاعة والامتثال بالجبر عنها سابقا فان سرت على ما كنت عليه انخم سرورها وطفئ نورها فينكتم خد الانبساط وتنحرف الصحة وينخرم المزاج وقد كنت صغير الاتعى واذ وعيت حفظك الله فان لم تؤد اليها حق شهامتها ورفعة قدرها بنفوذ أمرها أدتك الى الهلاك وأرى انه وراءك اثنان من السحرة يرميانك بكل تسخير لهما وقد سخرا بالسحر أكبر قومك فالله يحرسك من مكايدهما وانى سأعوذك بالاجبة وان بلغت ما بلغت فلا تبخل على نفسك بالصحة والسلامة لانك ان تركتها فى هذا الخضوع والتواضع عدمتها وهذا الطبيب يشهد بذلك فنظر ممدوح الى خبير وقال كيف ترى هذا القول وكان خبير كادان يشرف على الهلاك من اتفاق النفاق ولكن لم تمكنه أدنى معارضة فقال ادراك مولانا أدرى منى فى كل ما هو حسن فالتفت ممدوح الى الكاهن وقال ألم يقل الله فى كتابه العزيز ان النفس لامارة بالسوء فكيف تطاع من كانت آمرة بالسوء وفى سوء أمرها أصدق شهادة فرضنا ان نفسى أمرتنى بمخالفة أبى فكيف أطيعها وقد تلوت فى التنزيل فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فخنقت قلوب المنافقين من هذا القول وعلما انه لا يعصى والده بنفاقهما فقالا من فم واحد نستغفر الله أن يكون قول الشيخ فى مخالفة أمر الملك لان الوالد لا يقاس بغيره وان رأينا من مولانا أدنى مخالفة راجعناه فى الحال وان لم يكن لنا حد فى المراجعة انما قوله فى مخالفة ذينك الاثنين حيث خالفا أمر الله بمبادرتهما بالسحر وقد أنزل فى كتابه ولا يفلح الساحر حيث أتى فقنع الفتى بهذا القول وصار الشيخ يمنطقه بالاجبة الكاذبة ودشنام وغدور يطوفاه باشنع الخلق

حتى تلبست محاسن طبعه بسوء التطبع وتجنب زيارة الاهالى فلما انتهى وقت التمريض
ورجعا الى بغداد قدم على والده وهو على أحسن حال فى استقامة الصحة ظاهرا وأسوا
حال من الغفلة باطنا فسر الملك بظاهره ولم يدر ما كنته أخلاقه فصار ممدوح يجد فى
الثناء على القيمين فأمر الملك لكل واحد منهما بضيعة من الضياع العامرة ولم يستشر
الوزير والنديم لشدة سروره بصحة ولده فتخيل ممدوح ان السر فى حجب الكاهن فصار
الوزير والنديم يتأملان فى تلك الاخلاق الممدوحة كيف عدلت عن كل ما يزين ومالت
لكل ما يشين وصارا كل ما يتوجهان اليه للزيارة يجدان الحاجب بباب مخدعه فيخبره
بقدومهما ويعود اليهما بقوله انه مشغول والمقابلة فى يوم آخر فيعودان خائبين وكان
ممدوح يخرج الى الجزيرة لمناظرة العمارة والتمريض فيسبق الوزير والنديم قبله شوقا
لرؤيته فيريانه عبوسا فينصرفان عنه وكلما سألهما الملك عن عدم ملازمتهما اياه يقولان
ان مولانا كان صغيرا وكنا بمثابته لعدم معقوليته وأما الآن فقد فطن وعقل فلا يحتاج
لهدايتنا ودلالتنا وكان أرباب الحاجات يترقبون وقت خروج ممدوح الى الجزيرة
ويلتمسون عطفه لتمشية اشغالهم وقضاء حوائجهم لعلمهم بقبول قوله عند أبيه كالتى
سجن ولدها والتى نفى زوجها وما أشبه ذلك فيبادرهم بالسب وبالسخط ويقول لما لا
تهذبون أخلاق أولادكم بحسن التربية وتتركونهم لارتكاب الجرائم فجزاهم ما حاق
بهم وانا أزيد فى التشديد عليهم واذا مر عليه أحدهم مكتوفا يساق الى السجن
أمر بشد وثاقه أضعافا مع قوله لو لم ترتكب ما ساقوك فى هذه الحالة الشنيعة
فتلقى عاقبة ارتكابك واشرب من كأس بغيك واذا قصده سائل واثقا بانعامه أمر
بجلده وقهره بقوله لو كنت انسانا فى الحقيقة لتعلمت حرفة أغنتك عن الكدية فلعن الله
أبويك وعندى ان تترك بلا قوت حتى تموت جوعا واذا قابله فى السير أحد من الزنج
أمر بحبسه وجلده قائلا كيف يقاسينى بهذا الوجه الاسود ولم يكترث بسلطنتى فصارت
السودان ان سمعت بخروجه يهربون الى الخرائب ويدعون عليه بالموت وبلغ منه
التعاظم ما بلغ حتى انه كان يأنف ان يتحدث مع من كان أصله أسيرا ولو صار أميرا
ويقول لم ترض ملوكيتى ان تخاطب من دفع ثمنه ثم يدفع ثمن الحيوان وكان يذهب الى
البيمارستان ويسلط الصغار على المجانين فيضربونهم بالاحجار فيضرخون وينزعون
وهو يضحك فامتلأ الناس حزنا شديدا على فساد أخلاقه وصار العلماء يدعون ويبتهلون
الى الله فى اصلاحه مع البكاء والنحيب وانسلب عقل الوزير والنديم وضاقت عليهما
الارض فاستأذنا الملك فى تغيب اسبوع للمرور على ضياعهما فيه واعتكفا ذلك الاسبوع
وصارا يتداولان الحديث فى خلوتهما فقال الوزير اعلم يا أخى انه كان أقوى تحسرنا فى
انتقال ملك سيدنا الى غيره قبل وجود ولده واما الآن فهو الوجه المحبوب للرعية لما شحن
فيه من الخيبة وقد ضاع كلما أبدعناه من الاصلاح * وحبط العمل فى الفلاح * واعوج

المستقيم وقد استولى الهرم على العادل وغلب الضعف قوة عقله وانحط عزم تميزه
وفراسته فان عرضنا عليه أدنى اشارة لتلافى أمر ولده هم بنهره وان نهره تمرض بالكذب
وان تمرض طاش عقل الوالد وعلاه الحزن والاسف وربما غدر علينا بالسب والسخط
من حماقته عليه وعامة هرمه فنهان بين الخاص والعام فنصير مسخوطى الطرفين وربما
يعلوه الحزن فيموت فجأة فارينى أنت الفائدة فى شرح هذا الوجه والا فالرأى عندى
بعدنا عنه ويكون البعد فى خدمة يختص بها ممدوح ويكون فيها مشغولية سروره
وليس يشغله الآن الا البشارة بالزواج لانه بلغ الحلم والزواج للفتى أقوى لاهية وأشهى
بغيته وعلمك بشهرة بوران ابنة ملك العجم وما هى عليه من سداده الرأى وذكاء العقل
وحسن الاداره ولا يخفاك ما هو عليه من الرشاقة والجمال فاذا تمكن حبه منها وجهاله
انقادلاوامرها فتكون هى أقوى مساعد فى النهى عن السوء والامر بالاصلاح فانا
أتوجه الى ايران خاطبا لها وأنت تتوجه الى الشين لاحضار أمتعة الزفاف فيكون سعينا
فى خدمة مسرته * وبعدنا عنه لراحته * لان الناس قد أكثرت اللغط ومهما كتمنا
أمر تجنبنا عنه ونفوره منا لا يقبل كتمانا حيث ان قربنا لا يفيد معنى فى الاصلاح
وبتنا الامر على ذلك الرأى وكان قد انتهى الاسبوع فعادا الى العادل فتقدم الوزير
وقبل الارض وقال الحمد لله الذى متعنا واحيانا * والى الحظوة بهذه البشارة فى ظل
الملك ابقانا * قد جنح سن العزيز الى الزواج * ورفع الحظ رايات الفوز للازدواج *
فنقول قولا يسر * من غاب ومن حضر قد بلغ السيد من الاعوام ستة عشر * وطاب
وقت اشتماله بالعروس * وتاقت الارواح لهذا السرور فى المبهج لجميع النفوس *
فامتلأ صدر العادل بالانشراح * ولاحت على وجهه علامة الافراح * وقال نعم
الخبر * وحبذا قول بالبشر اشتهر * غير انى أراه صغيرا * وعن ساطة الرجولية قصيرا *
ولكن ما استعجلتما الا لداع * وغرض ينبئ عن صوب تلك المساع * فلكما الخيرة فى
بنات الملوك * وعلو الهمة فى حسن السلوك * قال الوزير انى أرى السيدة بوران ابنة
ملك العجم كفؤا له وعديله * وهى لما اشتهرت به من حسن الادراك لصيانة الامير
خير وسيله * فليختر الملك من شاء ليخطب تلك المصونه * وينتخب أحذق أريب لجلب
متاع هاتيك الدرة المكنونه * فقال الملك لا غاب رأيك عن الصواب * ولا انحط
ادراكك عن كل أمر مجاب * اما الخاطب فهو الوزير * وأما الجالب فهو النديم *
وتعلم ان أنجح الحلى بالشين فبادر المارضى نفوسكما * وهنئا لرخصة عروسكما *
فعند ذلك هاج المجلس بالتحيه * وعلت الاصوات بدعوات التوفيق الزكيه *
وشاعت فى المملكة مسرة هذا الخبر * وتأهب الوزير والنديم للسفر * بعد ان قدما
على العروس وبشراه * وبرخصة عرسه هناآه * فكان نشاطه لبعدهما معادلا
لبشارة العروس * وأهنى فرحا بنيل ما آرب النفوس * وتوجه الظاعنان صباحا *

وامتلأت الاقطار أفراحا * فاز الاسائرين حتى دخل كل منهما بقعة الطلب * وهم باجراء أموريته كما رام ورغب * قالت المؤلفة فتذكر الدهر غدراته * واشتاق لعاداته * فبادر بالعمل * كما قلت فى المثل * شعر

قد راق راحى و بدر السعد أسفر لى * فخلت ان الليالى كلها بدر
فاستضحكت لى ثغور الدهر قائلة * ذى ليلة ليس يحوى مثلها الشهر
جهلت ما سوف تلقى من مصادرتى * فلا تثق بابتسامى اننى الدهر

فلما غاب الوزير والنديم صار العادل يلاحظ ولده فى سيره حذرا عليه من الدسائس فى غيبتهما فلاحظ الشراسة فى خلقه وأحس بنفور العامة منه فعلم ان الوزير والنديم انما قصدا بزواجه تهذيب خلقه بتلك الوسيلة وعزما على البعد لمخالفته لهما فطاش الفكر منه وتسلطن الحزن معه فغلب على قوة تجلده لهرمه فاعتراه خفقان شديد مصحوبا بالتهاب محى فمكث يومه يتجلد ويعالج نفسه ومهما عالج ازداد فلما كان الليل أمر باحضار ولده لينصحه ويعلمه بنفور الناس عنه لفساد أخلاقه فحضر ممدوح ودخل الملك الخلوة لاجراء ما أراد ودخل الفتى أيضا مع ذينك القيمين فقط وكان ظن الملك ان القيمين يخدمانه بكل خلوص وما يدرى انهما عين الخسارة للطرفين فلما رأى ولده غلب عليه البكاء وجاشت حنانته فانعقد لسانه فضم الغلام الى صدره برهة ثم انحلت يداه عنه وهو فى آخر رمق فما أسفرت تلك الليلة بنور لديه * الا وقيل رحمة الله عليه * فالتهب صدر ولده وهم باحضار جمهور الحكماء فمنعه القيمان بقولهما ان هذه الحال معتادة عليه فاذا حصل احيانا يجب ان يكون فى خلوة بدون ادخال أحد عليه حتى يفيق بعد ساعات وهذا شأنه منذ أعوام فصدق الغلام وقام من عنده فادخلا الملك فى حجرة كانت بالحرم وغسلاه وكفناه كما استطاعا وقد ترك الملك لصاحبه * والمال لحاجبه * فلو دام الدهر للمرء سالما من العيوب * لكانت مصيبة الموت منه أكبر الذنوب * قالت فلما أجرى القيمان ما أرادا وراما ان ينزلاه من باب السر ويلحداه بالبستان وكان ممدوح يدور هناك كالمعتوه ينتظر افاقته فلم يسعهما الا اعلامه بموته فاتيا اليه وقالا له انك حديث سن ولم تدر مكايد الرجال ونحن نجتهد فى ابقاء الملك لك بحق الصداقة فلا تخرج عن أمرنا وتعلم ما نحن عليه من الخلوص والحنانة لك فاكتم أمرك واعلم ان أباك قد توفى وان أعلنت موته هجمت عليك الملوك وأخذوا ملكك منك بمعرفة رعيتك ورضائهم لانهم لا يرغبون فى تسلطنك لسوء خلقك فصاح الغلام صيحة عظيمة قائلا افقدوالدى أمات سيدى فغطيا فاه بايديهما ومنعاه عن الصياح وقالا لا تطع جهلك ولا تفش أمرك فتطرد وتحرم من الملك لانك لست أهلا للسلطنة فلا تحبط سياستنا ولا تخمد رياستنا قال ناشدتكما الله ان تريانى جنازته حتى أمرغ وجهى عليه فادخلاه عليه فانكب على أقدامه وصار يتمرغ ويقول الى من تركت ولدك الكئيب وأوصيت من عليه فجذباه

بمنف وادخلاه حجرة صغيرة وحبساه بها وأنزلا الملك من ذلك الباب ولحداه في جانب البستان ثم رجعا واحضرا كاتب الديوان واكتباه كتابين وختماهما بختام الملك وجزا الكاتب عن الخروج بحجرة أخرى واكتباه كتابا آخر ثم اتيا الى ممدوح وقالا له اذا كانت الغداة فاخرج الى الديوان بأغلى ملابسك واحضر الوكلاء والامراء وقل هذا منشور عن أمر والدي أمرني بتلاوته عليكم وأمركم بالطاعة لكل ما فيه فتحيل الغلام انه اصلاح كما عرفاه فسار الينا بصوت منخفض ويتخبط حتى طلع النهار فقام المنافقان اليه وغسلا وجهه والبساه أفخر الملابس وحذراه من اظهار ادنى حركة من شمائل الحزن وأكدا عليه بايضاح البشاشة فقال ان لم أقدر أنا على نفسي من البكاء اذا قرئ أمر ابي امامي وهو تحت الثرى فانا أقدمه وأقول ما قلتماه على حسب أمركما وأسرع بالرجوع الى بيت حزني فلما كانت الغداة قدم أرباب الديوان وتكامل المجلس وخرج عليهم ممدوح وقال ان الملك أمرني بنشر هذا المنشور وأمركم بالطاعة لما فيه وكرر اجمعا وكان مضمون المنشور أقول وانا الملك العادل من حيث ان المرض الذي اعتراني لم يقبل أدنى حركة في القول ولا في الفعل فاستصوبت الاعتكاف في الحرم لعلي اجد الشفاء وسلمت أمر المملكة للقيمين دشنام وغدور وسلمتهما ولدي أيضا وأمركم بامتثال كل ما أشارا به من خطا وصواب فايا كم ان تحرفوا عن الامتثال في الاقوال والافعال فامتثلت الرعية للامر مع الاستغراب لدخوله الى الحرم وكيف لا يدخل شيخ الاسلام وقاضي القضاة ويشهدان بصدق أمر المنشور كما جرت العادة وانما جعلوا امتثالهم لامر الله حيث أنزل أطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم فتقلدوا بالطاعة ودعوا له بالشفاء وانصرفوا يقولون حسبنا الله وكفى فكان أول أمرهما باعتكاف ممدوح خارج البلد وكف الرعية عن زيارته والثاني ان لا يجتمع رجلان من أرباب الحكومة بمحفل واحد ثم أرسلا الكتابين المذكورين للملك وعقيل على الفور ولم يعلم ما فيهما وعينا لممدوح محلا خارج المدينة وخرجا به اليه ورجعا واقاما على الامر والنهي فيما يرومان هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر الوزير فانه قدم على ايران وقابل ملك العجم وتلا المنشور والخطبة عليه فقام الملك على قدميه سرورا بهذه البشارة هذا الشرف قائلا نعم النسب اني كنت أريد ان أزفها الى ابن أخي ولكني عدلت عنه بمصاهرة ابن العادل وأمر بدق طبول الافراح ورفع رايات السرور وعقد في الغدوة مجلسا عموميا ودخل الوزير بامتعة العروس فكان أول ما قدمه التاج ثم صورة ممدوح مرصعة بالياقوت والجوهر مع الخاتم فاستلم الملك ذلك المتاع وانهمك في الافراح اسبوعين ثم انعقد العقد وصار الاملاك على أحسن حال وانبت الرأي على ان الزفاف في العام القابل وكتب الوزير القرار بختم والد العروس وأخذ الوزير القرار وودعهم وقصد بغداد وخرج الملك وأرباب دولته لتشييعه الى خارج البلد ثم دعوا له بالسلامة ورجعوا الى مدينتهم وتوجه الوزير بحاشيته فبعد مضي اسبوعين في السير

قدم عليه الكتاب المعهود ليلا وكان بخلوة الخيمة ففضه وتلاه فاذا فيه اعلم أيها الوزير
ان الوعد قد سبق علينا والقدر أجرى حكمه وهوان ولدى ممدوح لما كان يخرج
للتريض عشق صبية من بنات الافرنج فهام بها حبا وطاش بها عشقا واعلمه اني لم أرضها
له زوجة لم يسعه الا الشرود فاخذها وأبقاها معاوأغلب ظني انه سار بها الى بلادها فاعمل
ان ترسل من بطرفك من العساكر ولا تفشي هذا الامر اليهم وتتوجه أنت الى تلك
البلاد متنكرا واهتم في البحث عليه فعسى ان تأتيني به فلما قرأ الوزير ذلك المسطور
أغمي عليه ساعات فلما أفاق خرج الى العسكر وقال توجهوا أنتم الى بغداد فقد أمرني
الملك بامر والزمني باجرائه فاذا تم سألحق بكم فتوجه العسكر على حسب أمره وخرج هو
على وجهه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر عقيل فانه دخل الشين متنكرا
وصار يدور في الخانات والمغازات ويستعلم مقادير الاثمان حذرا من الغش حتى تحقق
ذلك لديه ثم أعلن نفسه وأحضر شاه البندر وقال اني نديم العادل فقد أرسلني لاحضار
متاع الهروي لانه هم بزواج ولده ممدوح فاستبشر التاجر بذلك الخبر وأخذه الى حضرة
ملك الشين وعرض عليه ذلك الامر فلاح السرور على وجهه وأكرم عقيلا أحسن
اكرام وأحضر كاتبه وحرر كل ما رام عقيل مشتراه وقال تستلم هذه الامتعة واملي بعد
أربعة أشهر حتى تنسج الاقمشة ويصاغ الحلي على حسب الرغبة وتقرر الشرط على ذلك
فقال عقيل سأجعل اقامتي سياحة في ارياف الشين لسماع نوادرهم ومشاهدة أخلاقهم
فخرج من المملكة وصار يقصد الضواحي فكان ذات ليلة يتفرج في الازقة فقدم عليه
الكتاب المعهود ففضه وتلاه فاذا فيه الاسف ثم الاسف أيها النديم الحقيق والمخلص
الصديق فيما حل بناوهوان ولدي العزيز خرج الى الصيد فشرد به الجواد وغلبه العنان
وانساب ذلك الفرس العنيد الى ضيعة حراسها عبيد وأنت تعلم بظلمه اياهم بالحبس
والضرب بلا جرم فاغتنموا فرصة الانتقام وأغلب ظني انهم أخذوه وشردوه مع البعض
منهم الى بلادهم لاني اهتممت في البحث عنه أياما ولم أدر له خبرا ولم أر له أثرا فاحرى ان
ترد علي المال والرجال وتخرج أنت متنكرا الى بلاد السودان فعسى ان تلقاه ولا تعد الا الا
به فلما فهم النديم مضمون الكتاب ضاقت عليه الدنيا فخرج الى الفضاء المتقطع وصار يحثو
التراب على رأسه ويلطم على وجهه حتى مضى الليل وطلع النهار فقام وغسل وجهه وتأمل
في مضمون الامر وقال مستغربا ان كان جزع في عزيزه هذه الفجعة الشنيعة فكيف
يذهب فكره الى طلب المال وعنده اضعاف وأما الولد فلم يكن له سواه ليت شعري أجن
من هذه المصيبة أم هذه النكبة دسيسة ومكيدة من الخائنين حربه فوالله لا أرد له
مالا ولا أنيله منالا حتى أقف على حقيقة الحال وكان معه عشرة من الرجال فجهزهم الى
بغداد وقال اني سألحق بكم بعد اتمام مأموريتي على حسب أمر الملك فتوجهت الرجال
وصار هو يبحث في انحاء الجبال على مغارة حتى وجدها وحفر فيها حفيرة حتى أغارها وأتى

بالصندوق على بعير وأنزله بذيل الجبل وصرف البعير بصاحبه واحتال هو بنفسه أياما
حتى ألقاه فى تلك الحفيرة وحثى عليه التراب وخرج يقول تبالك يادهر ما أسرعك بالغدر *
وما أجدرك بالقهر * قد حرم عليك يانفسى الغبوق والصبوح * حتى تلاقى طلعة ممدوح *
ومازال يكرر النعى * ويباشر السهاد والسعى * وهو تارة ينكب بالاغماء * وتارة يصيح
بالبكاء * حتى وصل بلاد العبيد وكان قد أحضر معه صبغا يلون البياض بالسواد وأحضر
معه جرابين محلوين بعقود الخرز واسورة العاج والخواتم الفضة ولما رحل حتى دخل بلاد
السودان أذاب ذلك الصبغ وطلى به جسمه فصار عبدا نوبيا واستوى على صخرة
فرعليه السودان فلما رأوه أحاطوا به وصاروا يحيونه بلغاتهم * ويسألونه عن حالهم *
فقال الحقونى بأميركم * ومتعونى برؤية كبيركم * فاركبوه ثورا عظيما وساقوه حتى ادخلوه
على ذلك الكبير وهو جالس على عنقريبه وامامه قصعة العصيدة وجنوده جاثون على
ركبهم حفاة مدهونى الرؤس فتأمل عقيل فى هيئة المجلس ووحشة منظره وتذكر كيفية
محفل العادل وبهجة انسه فمازال يبكى ويتخبط حتى رقت له تلك الوحوش وصاروا
يرشونه بالمياه المطينة * ويلطخونه بشحوم للصروع معينة * حتى أفاق وأمسك عن البكاء
فسأله كبيرهم عن حاله فقال خطفتنى التركة وأنا صغير وقد طال أسرى لديهم وكابدت
وحقك كل كرب عسير وطالت سلطة البيض علينا * وساقوا كل ذل الينا * فكنا اذا
اجتمعنا أنا وأولاد عمى نتضجر ونبكى ونتوح * ونتدب ونشكو ونبوح * لشدة ما نابنا
من جورهم الفظيع * وفعلهم الشنيع * ونأسف على كربتنا * وذلنا فى غربتنا * فآليت
على نفسى أنى اذا رددت الى بلادى * وبلغت أملى ومرادى * ان لا أسمع بزول أبيض
الا سميت طلته * ومتعت نفسى بذل غربته * وجعلت لكل من دلنى على أحد منه تحفة
من هذه النفائس التى بالجراب فسر القوم بهذه الرشوة وفرحوا * وتجاروا الى على
البحث وسرحوا * وكل ما وجدوا شخصا أبيض تسابقوا ببشارته * وأخذوه لرؤيته *
وصاروا ينتقلون به من بلد الى بلد حتى لم يبق أحد الا رآه ودار كما دار معه الزمان مدة
أعوام فى تلك البلدان فلم يقف لممدوح على أثر * ولم يسمع فى نوادرهم بذلك الخبر * فلما يئس
تحقق انها دسيسة فكر راجعا ومازال يجد فى السير حتى خرج من حدود الزنج فناجاه
الخبر بموت العادل فطاش فى الجبال بالنهى والنحيب وكف عن الزاد والشراب وزادت
عليه الهموم وصار يقول حاق مكر المنافقين بالوالد والولد فوحقهم الا أدخل المدن بعدهما
ولا أخالط الناس أبدا حتى ألحق بهما وقصد رؤس الجبال * وصار ينهى الاثنين ويعبد
المتعال * وكلما غلب عليه الحزن والنحيب * ينتقل من كثيب الى كثيب * ولا يدرى الى
أى واد ساقه المسير * والى أى بلاد رفعه الزفير * وكان يقتات بالحشائش وأحيانا من
صدقة القوافل التى تمر عليه فكان ذات ليلة يبحث على ماء لمدى المغارات ليتوضأ منه
حيث انه لم ير ماء جاريا وكلما هر بغارة يصغى على بابها ليسمع اذ سمع صوت خرير الماء وبينما

هو كذلك فى احدى المغارات فانهم الاصغاء فاذا هو بصوت عابد يعلن المناجاة فقال يا له من عابد * وطوبى له من زاهد * فدخل الغار وقال السلام عليك أيها الصالح * والعبد الراجح * عظنى فى السلوك واقلنى من وجد يعاندنى * وكرب يصادمنى * فاقبل عليه ذلك العابد وهو كالخيال * قد صيره النسك كالخلال * قائلا وعليك سلام الله الذى ارسلك الى لتدانى على طلبى * وتبلغنى شاطئ أربى * قال عقيل ان كان فى الامكان فعلى العين والرأس ولكن أتم بحر فى هذه الفيافى فقال لا أدرى ولكنى أريده لامر ضرورى فعلم عقيل انه يريد البحر لتجديد الغسل والوضوء فقام يهرول واندفع بحرى يمينا وشمالا حتى بعد عن الجبل فسمع تلاطم الامواج فسر بذلك السمع وصعد على شجرة وصار يتفرس بالنظر حتى رأى بريق الماء فى ضوء القمر فعاد مسرعا الى العابد وقال سيدى وجدت البحر لكن لست أدرى أفرات أم اجاج قال العابد جزاك الله عنى خيرا ولا حاجة لى بحلوه ومره فقاما وجعل عقيل يؤمه حتى وقف على شاطئ ذلك البحر فتقدم العابد وتوضأ وصلى ركعتين وقال اعلم يا أخى انك ستلقانى الآن غريقا فارجوك من فضلك ان تأخذ رمتى وتلحدها لتسترها بالتراب وارجو المغفرة لهذه الروح الشقية فلما سمع عقيل ذلك القول انكب على اقدامه وقال فديتك أتطغى العباد * وتعصى الرب الزهاد * ألم يقل فى تنزيله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فما الذى دهاك * والى هذا الطغيان اداك * قال العابد ناشدتك الله أتكتم سرى بعد موتى ولا تفضح جيفتى قال عقيل ان تفوهت بسرك لغيرك برئت من دينى وذمتى * وصاحب شفاعتى * قال العابد مذ اقسمت انك لا تبيح بسرى * فانا ابن العادل ممدوح المتسربل بذلى وضرى * فلما سمع عقيل ذلك القيل * صاح بقوله وأنا عبدك عقيل * فشهق الغلام وتعلق بعنقه فضمه عقيل وسقطا على الارض وغابا عن الوجود وما زالا فى غشيتهما حتى اشتدت حرارة الشمس فانتبه عقيل وحمل مولاه الى الغار وارقده فيه وعاد الى البحر وملأ الجراب ماء ودلك جسمه بدهن النفض واغتسل فى البحر حتى زال سواده ثم أخذ الجراب ودخل الغار وصار يصبه على مولاه حتى أفاق وصار يدلكه حتى جرى الدم فى عروقه فتكلم فقام عقيل وسجد لله شكرا واقبل عليه فتأمل فيه ممدوح وقال يا ذخر والدى وذخيرة تالدى كنت أراك عبدا نوبيا * والآن رأيتك شهما عربيا * أكانت غشوة فى بصرى * أم عشوة فى نظرى * قال عقيل عزيزى أفق واستفق أنا أحدثك بما جرى وتقرر * وفى لوح القضاء تقدر * فأراد ممدوح الجلوس فلم يقدر على ان يستوى جالسا لضعفه من الجوع فقال اثم شئ يؤكل فقام عقيل وخرج الى الصحراء فاذا بقافلة قد أناخت ابلها للراحة فصار يسألهم فمنعوا عليه بالزاد والحليب فرجع على الفور وسقاه اللبن وصار يلقمه بيده كالطفل من ذلك الزاد حتى اكتفى واستوى جالسا وقال حدثنى أيها الصديق بالاقيته من العبر * فى الحضر والسفر * فانامه عقيل على فخذه * وبادره بالحديث من أوله * وصار يسليه * وبالنوادر يلهيه *

ومكث مدة حتى تروحت روحه بالزاد وبالانس وكان عقيل ينتظر برهة نوم سيده فيخرج
ويسأل الناس المارين عليه ويأتي بما استحصل ويطعمه وان لم يجد شيأ لقوته تصيد
بعض السمك وكان يحذر كل الحذر على الخبز ولا يذوق منه شيأ وان سأله ممدوح في
الاكل معه يقول ان رأى السيد يعفو عن عبده لان لي مواقيت معينة للاكل ان تناولت
شيأ في غيرها أضرني وكان يكتفي بالاثمار وما يفضل من أكل سيده فلما تقوى ممدوح
قال له النديم أكلف مولاي وان لم يكن لي حد في هذه الجسارة اذا وافق ارادته ان يسمع
عبده ما جرى للسيد بعد عزيمة العبد على بغداد * وكيف كان خروج العزيز من سرير
سلطنته بين العباد * قال فهدرت دموع ممدوح * وقال من كبد مجروح * والله منذ
سرني المنان بمشاهدة طلعتك أريد ان أبسط هذا المقال لديك * وانص خبري عليك *
ولكن يمنعني الخجل لما سبق مني اليك من وقاحة الجهل والجنون * وقد أدركت مباني
النفاق بعد ما هدمت اساس الغي والفتون * فمسح النديم دموعه بكفه * وأشار عليه
باعراضه عن المعذرة وكفه * وأبدى اليه البشاشة قائلا لا تعد جدك * ولا تخط
سعدك * عزيزي لو علمت أنت بما فعلته بنفس والدي من العيوب * وما ارتكبته لتمشية
قصدي من كبائر الذنوب * لم ترما كان منك حسنا بالنسبة اليه * وفعلا جميلا اذا قيس
عليه * فكم همت بكل منافق وجعلته على رغم والدي عين منائي * وكم ولعت بكل
فاسق وانفقت عليه مال اجدادي وأبائي * فانت لطيب عنصرك العالي ترى هفواتك
عيوبا * ومن جلالة طبعك السامي تلقى تلك النكت ذنوبا * فانا أعرض عليك بعد سمعي
ذاك الحديث * ما أجريته من الجرائم وأنا حديث * فطابت نفس ممدوح وانبش قائلا

﴿الفصل الثاني﴾

اعلم أيها الشفيق اني بعد عزيمتكما أنت والوزير قال لي الخائنان ان بعد السحرة عنك
أقوى علامة لاصلاحك وأنا غارقة في بحور جهلي * غائصة في لجج طيش عقلي * لم أدر ان
الحبور يضرها * والذل نصيبي * وان الفوز بالسعادة قرينهما * والهوان قريني وقربي * فلم
يمض شهر الا وشكى والدي صباحا واشتد الكرب عليه في الغروب فدخل مخدع نومه
وأرسل الي فحضرت ودخلت عليه فلم يخاطبني بل ضمني الى صدره وصار يقبلني ويتلفت
يمينا وشمالا الى جهة الشمس وايران فعلم الخائنان ان لسانه قد انعقد وهو في حالة النزع
فاخذاني منه بعنف وأنا لم أدر شيأ وساقاني الى حجرة صغيرة ومنعاني عن احضار الاطباء
ببغداد وصاما وأجلساني بتلك الحجرة وقاما نحوه ورجعا الي وقالا انه نام ثم ذهبا اليه بسرعة
فتفوتهما ولم أتجاسر على الدخول خوفا منهما وسرت استرق النظر من النطارة فاذا بهما
ينزعان خاتمه من يده ثم حلاه بانه من خصره وأخرجا ما فيه من الجواهر الثمينة وتقاسماه
وأنا اراهما ولم أعقل ما يفعلان بل كنت كالمعتوه من شدة حزني وولهي عليه ثم خرجا

فسبقتهما

فسبقتهما الى الحجرة فدخلا على وأخبراني بموته ثم أتم الحديث كما ذكر وقال ثم أخذاني وأسكناني بعيدا عن المدينة وعينا لي اثنين من خدمهما ليخدماني واستقلا بتمهيد المملكة لهما وأنا لا أعلم شيأ سوى قطيعتي وحزني ووحدتي فكنت أياما أتقلب في دثار أحزاني * ولم أجد من يواسي أشجاني * وكانا يأتيان لزيارتي كل أسبوع مرة فعللت نفسي بالصبر حتى حضرا فانكببت على أقدامهما وكان أول انكبابي على الاقدام وقلت دخيلكما ان تنقذاني من هذا الضيق وفرجا عني هذا السجن فلا طاقة لي به ولا سعة لي في كتمان الصبب والصياح فأذنا لي ان أخرج الى الجبال وأصيح وأندب تاج دواتي * ومصباح غرتي * لاني قد أشرفت على الهلاك فاذا هلكت فما فائدة سياستكما * وما ثمرة غيابتكما * فهزا رؤسهما استهزاء بكلامي وقالا نخرجك ليلة الجمعة كما كنت تخرج لابيك ولم يقولا سيدنا ولا الملك فصرت أنتظر الميعاد * كمواسم الاعياد * فلما كانت تلك الليلة حضرا الي واخرجاني من باب السر وسلماني الى عبدين زنجيين بينهما دابة فبكاني عليها وجدا في المسير حتى دخلا الفيافي القفار ثم أنزلاني ببقعة موحشة * وأرض مدهشة * فاقعداني على التراب وبادراني باللوم والسخط وقالا لم خنت سيدك وسرقت متاعهما ولم تكتف بذلك حتى أردت ان تحتال في قتلهما وهما اشتريا لك بالنقود فهلا أطعت سيدك وعصيت جهلك فعلمت انهما ادعيا علي بهذه الخيانة * ورمياني بهذه الجناية * وسلماني للعبدين ليقتلاني فكانت أول مكيدة رميت بها من المنافقين وأول ندم دهيت بل أول مادق فرق المصاب * وأوجبني ان أحثو عليه التراب * فغلبني البكاء على ما كان مني لكل صديق ناصح فرضيت بالقتل ولم أرض ان أقول لست بعبد ولا أن أبي العادل واهتك حرمة ملوكية والدي ولو بعد موته فقلت اعذراني كاد الجهل ان يكون جنونا وافعلا ما أمرتما به فتأسفا على العبدان وحنا علي بكائي وظنا ان البكاء على فقد حياتي فلا والله ما كان نحيبي الا على ما كان مني من الجهل وما لحقني من خيانة الخداع فقام العبدان الى الجبل وذبحا ذئبا وتلوثا بدمائه وقالا لي انا قد رحمناك بابك وأعتقناك من الموت فاخرج واقصد اذيال الجبال في سيرك واياك ان تظهر فلعلك بقافلة يتخذك أميرها أجيرا واعلم انك ان ظهرت في هذه المدينة أو بالقرب منها قتلت وقتلنا فكما رحمناك ارحمنا فكان بكائي الثاني أصعب من الاول لوجوه شتى حيث اني ما كنت أرى أسود الا أمرت بضربه وحبسه وقد صرت أسير هم واعتاق روحي بخيانة قلبهم واتهمت نفسي الشريفة ورميت ساحتي العفيفة بالسرقة والقتل وهما من الكبائر وأنا بري عنهما وكنت آنف ان أسمع بهذا الارتكاب ولو في المثل وكيف أسجن بلا جرم ويكون اخراجي من السجن الى القتل بلا ريب وكيف أكون أجيرا * بعد كوني للمسلمين أميرا * ولكن ما حياتي اذا ضل اقبالي وبان ادباري وقادني اليه ارتكاب جهلي وغروري * وحكم القدر بضيمي ودجوري * فامتثلت لامر ربي حيث انه بالمرصاد لكل ظالم وهو

شديد العقاب فشكرت صنع العبدين وخرجت الى البادية أمشي وانكب حتى طلع النهار فاختفيت في جوف شجرة مجوّفة حتى جان الليل فاندفعت أمشي فاذا بقافلة تخاسين فلم يشكوا انني مملوك آبق من ساداتي فاخذوني واخفوني في رحالهم * حتى وصلوا بقماش آمالهم * فالبسوني وأخرجوني بسوق المزاد وصار الدلال ينادي علي وأنا وراءه وكل مشتر آتي يكرر النظر الي ويبحث عن جميع أعضائي فتذكرت مذ كنت لم اتنازل ان أخاطب أسيرا فسبحان من يغير ولا يتغير فغلبتني حسرتي وهدرت مقلتي فصاح علي الدلال * ماهذا النوح يا أخس الرجال * كيف تصلح للمشتري بهذا الوجه العبوس ألم تعلم انك في المزاد * أكان أبوك سلطان البلاد * أم كانت أمك سيدة العباد * فادركت نفسي وقلت أستغفر الله يا مولاي اغمادست على قطعة زجاجة فطعنت في قدمي وسري ألمها الى قلبي فاعذرني على ما كان مني * واعلم بان البكاء رغما عني * فما زال يعرضني على كل من أراد ولم يقدر أحد على مشترى لغلوّ ثمني فتقدم الي رجل تركي واشتراني بمائتي دينار وأخذني صهرا ليزوّجني ابنته ومشى سيدي ومشيت وراءه حتى وصلنا منزله وكان بازائه عمارة فصار سيدي يريني ذلك المنزل الجديد ويقول لي قد ساقك سعدك وساعدك جمالك فهذا منزلك ستكون أنت سيده برأفتي ونفوسي وتبا للدهر وغدره * والزمان وقهره * كيف تبدل قصور ممدوح بمنزل لم يرضه لخادم من خاصته وكيف يستطل بنفوس أحد الجند بعد نفوس العادل فبحق الحكم الذي بهذا حكم ان أثر الذل بعد العز للصون * مما يسهل على الكريم دون موقعه المنون * فكادت روحي ان تزهق وارتجفت مفاصلي لحسرتي فظن الجندي ان دهشتي كانت سرورا فضحك ضحكا بليغا ثم أخذني وأدخلني الحرم وقال لزوجته هذا صهرنا فقالت لي هنيئا بما أعطيت وصارا يكرمانني ويبيتاني داخل حرمهما وصارت ابنته تتهيأ بالزينة والزخرف وتأتيني وتعرض علي جمالها وتريد ملاعبتي فاكره ذلك لما أنا فيه فضجرت وقلت لمولاي سيدي اني أسير فدعني مع هذه الغلمان في الطعام والشراب والمبيت قال كيف ذلك وأنت زوج لابنتي قلت وحق سيادتك ان بي من الادواء مالا اصلح معه للمصاهرة فامتلأ غيظا ودخل الحرم وأعلم زوجته وابنته بما قلته فجاءتني زوجته وكانت جارية حبشية ولطمتني على خدي لطمة قوية وكان العادل يقبل ذلك الخد ويشمه بكل رأفة وقالت لي من تكون أنت يا أرذل الخدم حتى تتنحى عن تمتعك بسيدتك وتعرض عن شرفك بمصاهرة مولاك فقلت هذا جزاء النفس الابية لكل رشد ونصيحة قد كنت يا نفسي تأنفين ان تخاطبي الاسرى وتقابلي السود فقد صرت أسيرة لهم فلم أطق امساك البكاء وقد أعقبت لي اللطمة صداعا شديدا فما زلت أبكي يومي وليلتي فجاء مولاي وقال علمت من طول بكائك انك ندمت على ما فعلت فقم واغسل وجهك وأنا أدخل بك على سيدتك فقبل أقدامها واعتذر لها فقلت سيدي أنا دخيل وجهي لاي خدمة شئت لا أعصيك فيها الا المصاهرة

فغضب

فغضب غضبا شديدا وقال انا أريك شر العقوبة ونادى على ناظر عمارته وقال هذا الاسير
كفر نعمتي * وجحد منتي * وقد وجهته لنقل الاحجار فلا تدعه يستريح أبدا حتى يهلك
ويذهب جماله فقال سمعا وطاعة وساقني امامه فامتثلت وصرت مدة في هذه المكابدة
وقد وهنت قوتي وضعف عزمي ولم ترض نفسي الهروب ولم تقبل خيانة مولاها وكان بازاء
العمارة منزل صغير فكنت بعد فراغ خدمتي أجلس تحت روشنه بالليل احيانا واركن
على جداره وانعي حالتي واندب زاتي * وفقد عزتي وطول مذلتي * فكنت ذات ليلة
على حسب عادتي فاذا بصاحبة المنزل قد خرجت من بابه وأقبلت علي وهي باكية حزينة
وقالت ان والدي رمي بتهمة ورمي في الحبس وله به أيام وقد تعصبت عليه أخصام والده
لانه كان بأقرب الخدامات عند الملك وكانوا يحسدونه على نعمته فلما توفي تعلقت ارادة
الملك باعطاء رتبته الى ولده فرموه بهذه التهمة ظلما وعدوانا لمنعه عن مرتبة أبيه ولم
أجد من يكتب لي عرضا يقدمه له وانى أراك فصيحا فهل تحسن الخط والانشاء قلت نعم
وأنا أقدمه الى الملك أيضا فسرت بذلك وقالت قم معي الى البيت فان فيه ما تحتاج اليه
من أدوات الكتابة فقمت معها وسألت الله في نجاة ولدها فلعلي أنقذ من كربتي بخير
دعائها ويحصل لي شيء من الدراهم فادفعها الى مولاي من أصل ثمني وأسأله تخفيف
عقوبتي فدخلت البيت وصارت تملي وأنا أكتب حتى بسطت أسباب التهمة وأثبت
براءته باحسن تقرير ثم ظرفت العرض وقلت سأقدمه في غد ان شاء الله وعلى الله القبول
وهممت بالقيام فاذا بالرجال قد كسرت الباب وهجمت علينا بلا دستور وأخذوني وأخذ
عزيز مقتدر وشدوا يدي الى ظهري وصاروا يسحبوني بعنف ويقولون لي أنتم بجوز
فاتت سن أمك يا أخس الغرباء وما زالوا يدفعوني حتى أدخلوني السجن مع أرباب
الجرائم وقفلت علينا الابواب فخطر لي ما كنت أقوله للموثقين بمثل هذا الوثاق اذا صرفوا
علي وأنا في التنزه فأنهرهم بالسب والسخط وأزيدهم وجدا على وجدهم وأقول
معاتبا لنفسي كم قلت يا ممدوح لولا ارتكابكم ما سوقكم الى الحبس بوثاقكم مثل البهائم
فكيف حالك الآن أمجرما كنت أم بريئا فلاق ما قدمته واحرث ما حرثته فسبحان المنتقم
العادل يا ابن العادل وكان الخبران تلك العصبة رتبت لتلك المسكينة خفيرا وعرفته بانها
موهمة وقالوا له اذا دخل عندها أحد فاعلمنا لنثبت فحشها ونربحها وأسروا باطن الامر
خوفا من اشاعته وحذرا من أحد يدخل عندها فيكتب عرضا ويقدمه للملك فتظهر براءة
ولدها وتتلوث العصبة بارتكاب الظلم وتصادر باشنع العقوبة وكانت عادة بلادهم
اذا وجد رجل عند امرأة رجموه في الازقة بعد الاقرار والمرأة ترجم في بيتها فلما طلع
النهار قدمنا للحكم أنا ومن معي من المذنبين فحكى كل منهم شأنه بحضرة الملك ثم تقدمت
أنا فتأمل الملك في وجهي وقال أسفي على هذا الجسم الظريف * والجمال الذي من
صنع خبير لطيف * كيف يرجم ولولا مخافة عقابي بترك حد من حدود الله لخليت سبيله

ثم قال لى كيف اقرارك أيها الفتى بما جنيت قلت أعز الله أمر السلطان لو لم أكن رميت بالزنا ولى أمل بتخليص روح بريئة من الريب لقبلت الجناية وأقررت بها الانى أشتهى الموت اعلم يا ولى أنهم بلادك وعبادك انى وحق من قلدك حقوق عباده لم أدخل منزل تلك الحزينة * ولم أجلس على دست هاتيك المسكينة * الا لاغاثتها بالمساعدة فى تخليص ولدها من تهمة هو برىء منها وهذا المسطور أكبر شاهد والله خير الشاهدين وأخرجت العرض وسلمته اليه ففضه وقرأه وصار يضرب على خفذه لما فهم معناه * وقد احمرت عيناه * وطاش غضبا وقال بصوت عال على بالغلام فاحضروه وهو يرجف فلاطفه بالخطاب وقرره فى الجواب فلم يختلف قول الفتى عن ما بالرقيم بحرف واحد فامر الملك بحضور اخصامه وشدوثاقهم وانساقوا الى السجن مكانه وطيب خاطره وعينه مكان أبيه ثم التفت الى وقال لم تشتهى أيها الفتى الموت وأنت فى سن الشباب أبك ظلامة أم لك حاجة قلت أيد الله الملك بتأييد سلطنته لكونى غريبا ورميت بالزنا فقال لا بأس عليك وأمر لى بمائتى دينار فاخذتها ورجعت بالغلام الى أمه فاذا بها تصيح بالبكاء وتقول ربى أنت شاهد عدل أيحرق ذلك الفتى ظلما بنارى * وهو عن كل عيب عارى * فدخلت عليها * وسلمت ولدها اليها * وشرحت لديها القصة فقبلتنى قبل ولدها وناولتنى صرة فيها خمسون دينارا فرجعت الى سيدى وقلت مولاى هاك ثمنى الذى اشتريتنى به وهذه الخمسين دينارا فى مقابلة ما صرفته على فى طعام وشراب وملابس ولك الفضل فى السيادة فقال وأين تذهب أنت فقلت حيث ما وجهنى الذى أوجدنى وخرجت فرحا بعتق من الاسر فدخل حرمه وأخبر زوجته فسمعت ابنته فصاحت قائلة ان لم أتزوج به قتلت نفسى لان حبه ملأ صدرى وكنت أنا مارا من تحت الطاقة فسمعته يصيح على غلمانه ويقول الحقوا ذلك الخاسر واحضروا به فاسرعت بالجرى حتى لاقتنى شجرة شاهقة فصعدتها حتى دخل الليل فنزلت عنها وصرت أجرى حتى خرجت من المدينة فاذا بالمفتشين على يدورون بتلك النواحى فضاقت على الارض فرأيت اخدودا بجانب التل فالقيت نفسى فيه فاتت العصبة وجلست بجانبه وصاروا يقولون ما أكفر هذا العبد ماذا عليه لو تمتع بالصبية والمال وماذا يكون جزاؤه اذا وجد فقال أحدهم حبسه حتى يموت فكانت كربتى من سماع هذا الحديث أكبر غمة على وكانت العقارب تلدغنى ولم أقدر ان أتنفه بحرف واذا أعمى على أفقت من ألم لدغة أخرى فازلت بذلك الاخدود حتى مضى الليل ونهاره وأقبلت الليلة القابلة فخرجت أمشى وأقع وكانت شدة الا لام تساعدنى على السير فاغاثنى الله بجبل فاختفيت بمغارة فيه فارقدنى السم ثلاث ليال بايامها ولم يغثنى الموت الذى هو منيتى وأشهى بغيتى وأنا فى حالة ما كنت فى المنام أراها * ولم أتخيل أنى يوم الحساب ألقاها * فلم يخرجنى الا العطش الذى أحرق كبدى * وصرت كالاطفال أحبو على ركبتى لقلة جهدى * حتى وصلت البحر وشربت

منه واغتسلت واحتلت فى قطع عكازين من شجرة لاتوكأ عليهما وصرت أمشى بالليل وأختفى بالنهار * وأتقوت تارة من الاثمار * وتارة من ورق الاشجار * ومازلت على هذه الحال حتى خرجت من الاقطار * وقد تكون عندى مغص شديد من عدم أكل الخبز فبينما أنا ذات يوم على الجبل اذ شممت رائحة خبز كنت أنشفه فى حال مرورى على الافران فخفق قلبى * وطار لبى * شوقا لتلك الرائحة فسرحت نظرى يمينا وشمالا فرأيت محلا يصعد منه الدخان فانحدرت من أعلى الجبل بسرعة وكانت تلك الرائحة تجذبنى اليها * وتدفعنى الاشواق عليها * حتى دخلت ذلك المكان * فاذا هو تنور لفران * فلم أطق ان أمنع نفسى من السؤال فوقفت بالباب وقلت أسيادى شيأ لله فاتانى صاحب الفرن برغيف محرق فاخذته بكل شغف * وصرت أتناوله بكل لهف * فلما دب الخبز فى جوفى ارتاحت نفسى وسكن خفق قلبى فغلبنى النوم فنمت يومى كله فأيقظنى الفران وقال ان كنت مريضا فالحق باهلك لئلا تموت عندى وأصير مسؤلا عنك فقلت سيدى ليس بى مرض ولا أهل لى وانى غريب فقال ما غربتك عن بقعة أوطانك * وتربة أقرانك * الاخيبة طبعك * وخسافة عقلك * قلت نعم أنا مقر بذلك فهدد كما شئت وسب * واسخط وانهر واضرب * فصار يضحك ويقول كفاك بمعرفة خيبتك اهانة فهل لك أن تكون عندى أجيرا وأجرتك قوتك قلت نعم ولك الفضل فاستخدمنى مدة بالقوت فكنت آكل ما أفضله هو وأولاده هذا مع قولى لنفسى هذا جزاؤك أتتذكرين مذ كنت تأنفين من مائدة جلس عليها أحد قبلك وتأمرين برميه الى الكلاب فليتك كنت كلبا منها فكيف حالك وفضلة ما أكل الفران وأولاده فطوبى لمن بالادراك اشتهر * وبحالك اعتبر * فكان نومى على باب الفرن وسادتى عتبته وكنت ألتحف بقطعة من جلد البقر تجلس عليها الصغار بالنهار وألتحف بها فى الليل فتبا لمن دهش بالغرور * وتقلد بالكبر والفتور * والخيبة ثم الخيبة لمن طاوع خداع المنافق * وتجنب سير كل مخلص وصادق * فمن أطاع سلطان جهله * أباد خاقان عزه * فمن أراد التأمل فى ما أبداه الدهر من العبر * فها قصتى مرآة لكل معتبر * لقد أمسيت مما جنيت بعد سرير السلطنة على تراب الندامة أجول * وأصبحت فى اخدود المذلة على ما فرطته أندب حالتى وأقول *

حوادث الدهر للانسان مرآت * مصقولة كم بها للدهر عبرات
فمن رأى حظه تهذيب زخرفه * بكل زين نبت عنه المسرات
لا تلتفت لبهيج راق منظره * وخلفه السم وارته المداراة
وهذب الخلق مهما تستطع لترى * وجه الملاحة حفته النضارات
وارفع عصابة ذى الغفلات عن بصر * حتى ترى ما أساءته المواراة
فمن لقلب أباد الوجد مهجته * وبدد كبده الريان زفرات
أضحى خفوقا بصدر الذل لبس به * من حرما يلتقى الاشرارات

ترى ثمود له امنيـــة سـلفت * وأخلفتها بكهف الروع حسرات
فهل لكسر زجاج الكأس منجبر * من بعد ما كثرت منه الجذاذات

فلما رأتني امرأة الفران أشفقت علي وصارت تأتيني بفضلة طعامهم فاشبع وأدعولها ولبنتها بالعمار وكان لها ولد كبير لكنه كسول عن الشغل ولم يزل ناعما عند أمه أما أنا فكنت أفعل كل اجتهادي في الخدمة وأسهر ليلي في نزح تراب الفرن وتنظيفه فمال الى الفران وكساني ثوبا من القماش وقدمني عن ولده في الاخذ والعطاء حتى صار مدار اشغال الفرن على ان كان الفران غائبا أو حاضرا فشاط ولده غيظا وصار يشكو الى أمه فالتفتت عني وبغضتني وتشاجرت مع زوجها من أجل خروجي من الفرن فقال لها يخرج ولدك عديم النفع وهذا أنفع لي عنه فلما يئست منه احتالت على بحيل النساء فكنت ذات غداة يوم قاعدا بباب الفرن فمرت على بحوز في طرفها اقراص تتصدق بها على روح ولدها فلما رأتني بكت وانتحبت وصارت تقول ما أشبهك بولدي وناولتني منه ثلاثة أقراص فاكلت قرصة منها فلذلي الاكل لحرماني من كل شئ لذيذ فتناولت الاثنين أيضا وقرأت ما تيسر من القرآن على روحه فغشيني النوم بعد ذلك الاكل فنمت وقمت من النوم ممتوها ولم أدر من أنا ولا أعي ما أقول لان تلك الاقراص كانت من خميرة فيها نبات يذهب العقل فلما رآني الفران تأسف علي ما أصابني وسلمني الى قيم البيمارستان فاخذني وربطني في الشبالك على حسب عادة المجانين وكان القيم يخرجنا في بعض الاحيان الى الصحراء لشم الهواء وكنا كثيرا فسلط الله علي شابا من أولاد الامراء فكان يمخ الاولاد ببعض الدراهم فيعذبوني بضرب الاحجار وأنا أصيح بصوت مزعج وهو يضحك مثل ما كنت أفعل فأسفي على تكبري وطغياني اللذان أوقعاني * بحبب شقاوتي وهواني * فاتفق ان القيم أخرجنا ذات يوم للتريض على حسب العادة وكان ذلك اليوم عيد الاضحى وربطني بشجيرة بجانب حفيرة قد أعدها الجزارون لدماء الذبائح وقد تراكمت فيها دماء كثيرة فصارت كل ما عصف الهواء تموج تلك الدماء فيعجبني لونها حين التموج وكان حبلي طويلا لا تمشى قليلا فمزقت ملابسي في الحال وتجردت منها وألقيت نفسي بتلك الحفيرة وصرت أتدلك بتلك الدماء فجاء القيم ورآني على تلك الحالة فحوقل ثم جذبني بعنف حتى أخرجني وضربني ضربا موجعا وسحبني وداربي في الفلاة يبحث على ماء ليغسلني منه والصغار يجرون ورائي وتعبث بي وأنا على ذلك الحال الشنيع حتى أدركني الله بماء يهدر من صخرة كبيرة فقدمني القيم وصار يدلكني حتى غسلني من ذلك الماء غسلا جيدا فوقعت مغشيا علي وما زلت في غشيتي حتى جان المساء وانساقت المجانين فأيقظني القيم بجذبته فقمت وقد زال حكم ذلك النبات وعقلت كما كنت فنظرت لحالتي وتذكرت أفعالي السابقة فقلت هل من حبيب فينعاني * هل من جاهل يراني * فيعتبر بحالتي * هل من مغرور ينظر في فيراجع نفسه قبل ان يرمى بمقوبتي هل من طائش يتيقظ من غفلته بمصيبتي

ثم التفت الى القيم وقلت له ان رأيت ان تحل عقالى فانى عقلت قال قد قرب شفاؤك ان شاء الله تعالى فالمجنون اذا قرب شفاؤه يحضره العقل تارة ويغيب أخرى وأخشى ان يغيب فتشرد منى وتسىء الناس وأنا المسؤل وأعاد ربطى فى الشباك فمكثت اسبوعا وأنا بعقلى أنظر ما يفعل بالمجانين وبى وكان ذلك الاسبوع يعدل كل لاقيته من الكرب فناشدت القيم بالله أن يحل وثاقى فانى شفيت فأتى بجمهور من الاطباء وصار كل منهم يسألنى أسئلة وأنا أجاوبه باحسن جواب فشهدوا بشفائى وأطلقونى فخرجت واغتسلت وتوضأت وأديت صلاة الشكر ثم رقدت فى ناحية من المسجد ارتاح من الكرب الذى كنت فيه فجاست رجال بجانبى وصاروا يقولون أعيانا البحث على ذلك المملوك وابنة الجندى أشرفت على الهلاك فعلمت انهم يقصدوننى فقمت سائرا أسبى بكسائى وخرجت هاربا فالقيتنى تلك العجوز فى جمع من العجائز وهى تقول مررت بالمارستان فقال القيم انه عقل وأطلقته فاغتممت وها أنا الآن أريد ان أدهشه بوجه آخر حتى لا يعرف الطريق فالقاه فأخذه وأربطه عند صاحبته معتوها بالثانى وأخذ منها جعلى فضاقت على الدنيا وصرت أجرى ليلا ونهارا حتى خرجت من ذلك القطر بدون طعام وشراب فوقعت فى بحر فمررت على قافلة فأخرجونى وتصدقوا على ببعض من الطعام فرق لى أمير القافلة وطرحنى على جمل كالاموات فرقدت أياما لم أدر أسار وا أم مكثوا حتى انتبهت بعد أيام فوجدتهم نازلين ليلا فتصدقوا على بالطعام فاكلت كفايتى وقمت لقضاء حاجة فقام القوم وتركونى فرجعت فلم أجد أحدا فصرت على وجهى أدور فى القفار حتى وهنت قوتى وكرهت حياتى فعزمت أن أقذف نفسى فى البحر حيث لا راحة لى الا بالموت ولم يكن لى قدرة على البحث عن وجود البحر فسألت الله ان يرسل لى من يدلنى فساق الله لى وهذا حديثى واندفع يبكى وعقيل يبكى معه ثم قام عقيل وغسل وجه مولاه ونثر عليه قليلا من الطيب وطيب خاطره بالمسامرة وصار يبشره بعواقب الصبر ويقول له لا تجعل بالهلاك * وامتثل لامر مولاك * وما قيلت الامثال * الا لاستحضار الامتثال * ألم يقل لا تؤلم بالحزن قلبك والعين * وانظر ترى اليسر بعد عسرين * ولا تضجر لطول الشده * فانما التهذيب عدّه * أطال الله بقاء عمرك * ومتعك ببشائر صبرك * شعر

لا تجزعن من الشدائد والقها * بالصبر والتقوى فانهما لها
فبالك سيدى والضجر * فلم يحمل مالا يحمله الصخر * وتذكر سيدى ما قيل نظما
ما ذاقت مر تجلد فى شدة * الا وشهد ختامها بفمى حلا

فلست سيدى وضيعا فى العنصر * ولا صيت الدناءة شرفك الرفيع الاطهر * فلا تسرع بانحطاط عزمك وشهامتك * ولا تشمت الاعداء باظهار أسفك وندامتك * فلا تكون رجلا الا باتخاذك الشدة لكف التجلد كره * ولا تنال المقام الأرفع فى المروأة الا بالصبر على الامور المكدرة * ومازال يطايبه بمثل هذا الحديث ويسكن لوعة ذلك الحبيب

حتى نام على نفخذه وصار عقيل يتأمل فى عزة جماله التى محيت بذل الادبار ويبكى ويقول
لنفسه ياعقيل لاتكون رجلا الابمواساة نجل مولاك * وبصدق خدمتك لخليفة من
أسعدك وأغناك * فهذا الوقت محل تجارب الصداقة * ومحك معرفة الجهد والطاقة *
فالصواب ان أجدبه العزيمة الى الشين * وأتحفه بذخرذلك الصندوق المدفون * فنقيم
فى صرفه الى الطعام والشراب واللباس اغمالا بدان أكتم عنه أمر الدفينة حتى أتوصل
اليها وأحضرها بين يديه * فلربما يكون ادباره أضاع تلك الخبية * وصيرها اللصوص
لقيه * فيتعاظم كربه * وينفطر لبه * لان الجاهل عجول على مراده * فاذا أصابه هام
نشاطا وتصدر * واذا أخطاه ضجر وأضجر * والكامل يتأنى لمراده فاذا أصابه شكر *
واذا أخطأه صبر * وصمم على هذا الرأى فلما كانت الغداة قال مولاى ان استحسنت
السياحة فلنبادر بالعزيمة فلعلنا نحظى بالفوز قال ممدوح نصوحى أنت المخير وأنا المسير
فصار عقيل يدعه فى ذلك الغار ويذهب ويسأل من مر من القوافل حتى اذخر مايكترى
به ويقتات منه فلما حان وقت مسير القوافل الى الشين اكترى جملا وركب مع سيده وسارا
وكان اثناء الطريق يتحف امراء القافلة بحسن النكت والنوادر وهم يتحفونه بالانعام
كالنقود والملابس فعرفهم انه قد أقسم ان لايلبس خلعة أحد لنادرة حصلت له وليس
ذلك كذلك بل انه لم يردان يلبس ممدوحا خليع الناس فصاروا يعطونه قطعا من الاقمشة
فيأخذها ويتأمل فى تفاصيل الاقمشة ويفصل مثلها ويخيطها ويلبسه جديدا حتى وصل
حدود الشين فصار يلاحظ ذلك الجبل المعهود لانه قد كان خارجا عن البلد فلما مر على ذلك
المغار وجد ان العنكبوت خيم عليه تخييما ثقيلا فعلم انه مصون ففرح فرحا شديدا وقال ان
كان اقباله مقبلا نتحصل عليه ويتمتع بما فيه فلما دخلا المدينة واستراحا بها أياما ومهد
عقيل محل سيده وجعل له فيه سريرا من الجريد لنومه واذخر ما استطاع من الطعام
قال مولاى أستأذنك فى المغيب اسبوعا وداعيه انى لما كنت هنا سابقا كنت أعرف
رجلا من سكان الصوامع مجاب الدعوة فان وجدته حيا أسأله الدعاء لحل مشكلنا
ففرح ممدوح وقال لك الامر انما أرجوك ان لاتطيل المكث عن ماقلت لانى فى ضنك
ولا أطيق البعد عنك فلما كان الليل ظهرت زلزلة عظيمة وهدمت كثيرا من البيوت
والربوع ومكثت ساعات ثم سكنت فصارت الناس تهنى من سلم وتلمد من مات تحت
الهدم فلما مضى ثلاثة أيام واهتدت الناس خرج عقيل قاصدا تلك المغارة حتى وصل
اليها فاذا بالجبل قد انصدع من شدة الزلزال وانفصلت من مغارة صخرة عظيمة فطبقت
تلك المغارة واستقرت بجوفها فناهيك ماحل بعقيل * من اليأس الطويل * والبأس
الثقيل * فصار يندب ذخرذلك المغار * وقلبه اعصار فيه نار * ثم استغفر وتاب * وخر
راكعا وأناب * وحمد الله على عدم افشاء هذا الامر لممدوح وقال ان اخراج هذا الدفين
لايكون الا بعدة رجال * وان حضرت الرجال وتوضح الحال * ساقوا المال الى الملك

وساقوني الى الحابس لاقر من أين عرفت موضع الدفين والنقود كلها باسم العادل لان كل
ملك يضرب سكة نقوده على اسمه فلا يمكنني الاقرار ولا أتمكن من الازورار فالامر
الى الله ثم رجع بالخيبة واليأس الى مولاه وقال وجدت الرجل قد لحد تحت التراب
وان لنا ببشائر الصبر لزانى وحسن مآب ثم التفت عقيل الى أسباب التعايش فلم يجد
سببا الا مساهرة الامراء ومؤانسة الاكابر لانه لم يكن محترفا فتذكر ان هذا الامر
يعسر على سيده لانه كان نديم أبيه فتركه واتخذ حرفة المنجمين فصار يجلس فى الازقة
ويبسط ماله فتقصده أرباب الحاجات فيسر له رزقه ويحضر عند الغروب باحسن
طعام ويأكلان معا ثم يساهره حتى ينام فمكث مدة من الايام بالشين وعقيل
يستدرك حيلة لاخراج الدفين فلا يمكنه وقد ثقلت الاهوية على ممدوح فتشكى اليه
وعزما على السفر وسلما العنان لكف القدر وكانا يقتاتان بتلك الحرفة المخترعة حتى
قدما العراق وكانت من ممالك العادل فكثنا بها أياما حتى استراحا من مشقة السفر
ووجد ممدوح فى نفسه نشاطا لموافقة الهواء فقام يتفرج فى شوارع المدينة واذا بالعمال
منهمكين فى بناء قلعة عظيمة فتذكر ممدوح قلعة أبيه فسأل هل هدمت قلعة العادل حتى
يجدد غيرها فلما سمع العمال ذلك القول بكوا وانتحبوا وقالوا لا تذكر أيها الفتى هذا
الاسم العزيز فيعقبك ما أصاب غيرك من الاهانة فقال ممن يصيبنى قالوا من الملكين
اللذان يبنيان هذه القلعة وصدر أمرهما أنه عند انتهاء هذه القلعة يحضران لتزين
المدينة لانشاء القلعة الجديدة ويهدمان تلك القلعة القديمة وهما يعاقبان كل من ذكر
اسمه باسوء عقاب (قالت) وكان هذا الخبر أول سماع ذكرهما عند ممدوح وبراعة استهلال
مكائدهما وأول خيانتهما فارتجت فرائص ممدوح وتلجلج لسانه وهدرت دموعه فتأبطه
عقيل ومشى به فصار الناس يسألونه بقولهم ما الذى دهاه فيقول من صغر سنه وهو بعلة
الصرعة تعتريه أحيانا وصار به الى البحر ومازال يصب عليه الماء البارد حتى سكن
ما جاش به فتأمل فى عقيل وقال ما أهنأ الموت للخائب الخاسر فقال له عقيل ما أحلى
حسن العواقب للصابر الشاكر فلا شئ تقهر نفسك فدعهما يجددان تلك القلاع
ويهدمان تلك البقاع والله ما نجح منافق ولا ربح مخادع والامر والحكم بعون الله عائد
لصاحبه ومولاه وأخذه واركبه وصار به الى حجرتهما فتمرض ممدوح اسبوعا ومازال
النديم يبسطه بالمساهرة ويسليه حتى فاق وصار عقيل يذهب الى حرفته ففى يوم من ذات
الايام صعد ممدوح الى السطح لانتشاق الهواء فسمع ضجة عظيمة ودق مدافع ورأى رايات
السرور قد رفعت وعلقت مصابيح البشائر فارتجف واسودت عيناه وقال ويلك يا نفس
ترى ما الذى ترنيه فى هذا اليوم من المكائد وأى شؤم عليك عائد فنزل من السطح وخرج
حتى التقى بالناس فسألهم فقالوا ولد للملك دشنام ولدا وسماه ممدوحا وأرسل البشارة كما
جرت عادات الملوك فخر ممدوح ساقطا على الارض وكان عقيل فى حرفته فلما سمع ذلك الخبر

علم بما يلحق سيده فأسرع الى محل سكنه فوجده بتلك الحالة فحمله الى حجرته ومازال يعالجه حتى نقه فقال نصوحي بحبك لي وحبي والدي لك ان تسامحني في قذف نفسي وترضى براحتي من هذه العيشة أيسمح خاطرك بتجديد فجي كل يوم بكيدة أحر من أختها فأخشى ان أصاب بعلة ويطول عمري فأتلظى بتعاقب المصائب فوق مابي من المرض فلا ترضى شفقتك ولا تقبل رأفتك مكابدة هذه الشدائد وتقلدي شدة فوق شدة قال عقيل منذ من الله علي بلاقاتك وأنا أحفظ في صدري حديثا غريبا وخبرا عجيبا ومرادي ان اتحفك به لتعتبر بحسن عواقب الصبر وتتأمل في مسك ختام نتيجة الامر فان استحسنت براعة استهلاله خذه الى آخره والا فافعل ماتريد فاقبل قولي بحق رفعتك ومتعني بحسن قبول من رأفتك قال ممدوح ان لم يكن حديثك محمودا عند الخواص ماماثلت اليه أفئدة العام والخاص فاسمعني ذلك الحديث وانعشني بسمرك أيها الانيس قال عقيل أبتدي باسم الله المجيب ثم الصلاة على النبي الحبيب

الفصل الثالث

اعلم سيدي انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل بمصر يسمى فرهاد وكان من أكبر التجار ذا ثروة في التجارة قد سلم السلام بضاعته من الخسارة وكان له جار يسمى بهرام كان قصير الكف عن الارباح لا طائل له في الفلاح وكان من الصلاح على جانب عظيم وكان له من الزوجات أربع وهن صداقة وبلاغة وحيلة وشطارة وله أيضا شقيقة تسمى نحوسه وهو ساكن برواق بازاء منزل ذاك التاجر المشهور وكان منزله مشيد الاركان رفيع البنيان وكان له زوجتان احداهما اسمها خيانة والثانية اسمها شراسة وله شقيقة تسمى سعادة وكانت تجارته من البضائع الثمينة كالحلي والاقمشة وأما بهرام فكان يتاجر في القمح والملح وكان أغلب أيامه صائما وأكثر ليالية قائما وكان رأس ماله مائة دينار فيجتهد كل عامه في تحري ماله وضبط تجارته ودفع الزكاة وتحصيل قوت العيال ويحفظ نفسه من التبذير اقتداء بقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ولم يزل يجتهد في مطابقة الحق بالحق حتى يعود الحول ويريد تجديد البضاعة فلم يجد خلاف ذاك العدد المذكور ويكون قد تحصل عليه بعد نصب وتعب ولم يدر في عدم الارباح ما السبب وأما فرهاد فكان منهمكا في لذات نفسه من سماع الآلات والحضور بمحافل الانبساط مع التعاطي للكاسات في الحانات وكان بهرام يذهب لزيارته أحيانا ليؤدي حقوق الجوار فيجد الكتاب يقيدون بحضرته أرباح ذاك العام في الدفاتر بالعدد الكثير فيغبطه في نفسه قائلا لو لم يكن في السريرة مخلصا مانال هذا النيل الوافر ويحصن أرباحه بالرقية من اصابة عينه ويرجع الى داره فقيرا أسفا كئيبا لم يجد سوى النحيب مجيبا فضجر ذات يوم وقال الى متى عن التقاعد لا أحول

وفى بحث الارباح بالاسفار لا أجول فان جارى عازم على السفر الى الهند فلو اتبعته فى السفر ربما يفتح الله على ويسوق من فضله الارباح الى واستصوب هذا الخاطر وتأهب للسفر وأخذ شقيقته نحوسه وانتخب من الزوجات صداقة وكان له صديق هرشد حقيق يسمى الصبر فدخل عليه ورأى ماهو عليه من التأهب فقال الى أين ياأخى ﴿قال بهرام﴾ قد ضجرت من الخيبة وأنا فاطن فعزمت على السفر مع جارى لعلى أفوز بالمكاسب وأخذت الصداقة معى والشقيقة وأنت خليفى على الباقين حتى أعود فقال الصبر اعلم ياأخى ان الارباح والحبور فى كل حرفة قدر مقدور ومتى ما كنت ملازما للنحوسة فلا تتعب نفسك بالنصب فلا تكسب من السياحة الا كرب الغربة ومشقة السفر ولو كانت بضاعتك من المسك الاذفر فلا أرى عندى أن تلازمنى حتى يحوم ملازمتك اياها الاله ويغيثك بيشارة قوله تعالى وما النصر الا من عند الله قال بهرام ألم يقل وهو أصدق القائلين ربى الشكور فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ألم تعلم أن لى أربعة من الزوجات ولكل علامة بشرى من العلامات فلا الاربعة تغلب الواحد ولا يخفاك شأن الصداقة وما فيها من خلاصة الخصين فأتمسك بها والله المعين فتبسم الصبر وقال اسمع ياأخى ما أقول شعر

ان كان جدك بالسعود مساعدا * لم تلق من قد اقيك معاندا

أخى لو ساعدتك السعادة أغنتك عن البعد ولم تحوجك لجهد انما على النصح ولك الخيار وأنت فى التجربة فاعل مختار فنهض بهرام وأخذ النحوسة والصداقة وترك الصبر وباقى الزوجات بالرواق وتوكل على الواحد الخلاق وعزم أن يستبضع السكر النبات وذلك باستشارة النحوسة لانه حلو المذاق وهو لكل عليل درياق فاشترى بتلك المائة قنادا وحمل وساق مقتديا باظمان جاره حتى دخل الهند فدخل فرهاد واكترى خانا كاملا وأدخل صناديق الامتعة ومهد لها به واصطفى قصر الشقيقة وقصر الزوجة فذهب اليه بهرام وحياه وبالسلامة هناه وقال سيدى أملى من حق الجيرة ان تسكننى بمخزن من عندك يليق بحالتى من المساكن السفلية لتلهمنى بمنتك الصواب فى الاخذ والعطاء لانى لم أتغرب أبدا فأعطاه مخزنا فى أسفل الخان وكان بابه من الخارج وبه حجرة لقنده وقد رأجرتهما عليه فشكره وأدخل الحرم والشقيقة والبضاعة فلما أصبح الصباح قدمت التجار على فرهاد وحيوه فسألهم عن أسلوب ملكهم فقالوا ان ملكنا ذو عدل وعناية اذا قدمت التجار علينا يدعوهم الى ضيافته ثلاثة أيام ويبشرهم بكل ترحاب واكرام ثم يطلب بضائعهم فيعودون الى خاناتهم ويأخذون دفاتر البضائع ويعرضونها عليه فينتخب ما يريد منها ثم يقسم ما بقى على التجار ويرسل الرجال مع الدواب لحمل المتاع من دون تعب لاصحابه ويسوق لهم المال مع الارباح ويتحفهم بما يليق فسر فرهاد بهذا النسق الحميد وقام معهم الى الملك وبهرام يتبعهم حتى دخلوا عليه فقابلهم

بأحسن بشاشة وكان بهرام جالسا في آخر المحفل فناداه الملك وسأله عن متاعه فقال أعز الله مولانا اني فقير وليس لي الا شئ يسير من القند فقال الملك من ظرفه نعم البضاعة لان القند عزيز في بلادنا وأرباحه جزيلة ففرح بهرام وقبل الارض تشكرا فاغتاظ فرهاد وقال في نفسه سينزل المطر ويحيه جميعه وجد الملك في اكرامهما وصار يأكل معهما ويوصي خدمه بخدمتهما حتى مضت أيام الضيافة وطلبت منهما دفاتر البضاعة فأقبلوا على خاناتهما وأخذ فرهاد دفاتره وبهرام تذكرة وزن سكره وعزموا على سراية الملك فلما قربوا منها سمعوا بها ضجيجا وصياحا فاسرعا بالسير فاذا الامراء يمزقون الملابس والوكلاء يضربون الوجوه ولم يكن أحد على افاقة حتى يسألانه عن الخبر فصعدا الى القصر فاذا بالملك يضرب كفيه حزنا وفزعا فارتجف بهرام وقبل الارض قائلا احفظ الله المولى مما أراه فيه فالتفت اليه وقال اعلم يا أخي ان لي ولدا واحدا ومدار ملكي عليه وما آله اليه وليس لي خليفة سواه ولم أجد لي من زينة البنين الا اياه وقد اعترته علة بامعائه في صغره فعولج وشفي وقالت الاطباء ان اعترته بعد البلوغ لم يكن له خلاص منها الا بعصير ثمرة شجرة الخلوص والمنصوص ان تلك الشجرة لا تنبت باقطارنا ولا بالقرب منها ومنذ سمعت بهذا الخبر وأنا أرسل كل عام عدة نفوس الى أقصى المدائن للبحث عليها وأعدهم بكل انعام غير التكاليف والمصاريف فمنهم من يرجع خائبا ومنهم من لم يعد الى الآن وقالت الاطباء انه يتحمل هذا الداء سنة ثم يموت فاعذروني في عدم أخذ البضاعة والتفت الى وزيره وقال اعطي كلا منهما ألف دينار ولا تدعهما يخرجان من عندنا خائبين ﴿قالت﴾ فسلم الوزير لكل واحد منهما ألف دينار فأخذا المبلغين ورجعا الى الخان فقص بهرام الخبر على صداقة فألزمته بالبحث على تلك الثمرة وقص فرهاد الخبر على خيانة فأحالته على السبب في موت الملك الكبير وتخلي التخت الى ملكهم فخرج بهرام يقصد الثمرة وفرهاد يقصد السم وصارا يدوران في الفيافي فكان بهرام ذات ليلة يجد في البحث فالتقى بفرهاد فظن ان البحث واحد فقال مولاي كن أنت في الجانب الغربي وأنا في الجانب الشرقي والدلالة على الله قال فرهاد وما الذي تستدل عليه قال الثمرة قال دعني من البحث على الثمرة ولنكن فيما هو أهم قال وما هو الاهم قال فرهاد ان الملك لم يكن له خلاف هذا الولد وقد أشرف على الهلاك فاذا مات عجلنا على أبيه بالحاقه ثم نرسل الى ملكنا ونعلمه بسعينا ونشترط عليه الوزارة فيأتي ويستلم هذا التخت من دون حرب وضرب ونكون وزراءه وقد تقربنا من السلطنة فان راعانا كان لنا الامر والا ألحقناه بهما بما بقي السم وقد وصفت لي حية توجد في هذه الاقطار بنابها سم عظيم وخاصيته انه يقتل بغتة كموت الفجأة فلا يتوهم منه ان الذي مات به مات مسموما فها أنا أدور على تلك الحية لاعجل بالحاق الوالد الولد وياتي ملكنا فان سلمنا زمام المملكة كان به والا ألحقناه بهما قال بهرام لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كيف نكفر نعمته ونجحد سوابغ

عيشه فما يكون الجواب الى الله في غد عند السؤال يوم توضع الموازين وتجرد عن
نفع المال والبنين قال فرهاد سبحان من جعلك حيوانا وصورك انسانا قال بهرام
دعني حيوان ولا أتقلد بهذا العصيان وذهب كلا منهما يبحث عن مقصده فأما بهرام
فانه ساح في الوديان والقفار وغاب عن المنازل والديار وصار ينام من خوف الوحش
والحذر على رؤس الشجر فكان ذات ليلة على شجرة شاهقة فاذا باثنين من قطاع
الطريق قد ماوجلسا صار تكئين على تلك الشجرة يتحدثان فرذكر ابن الملك المبطون
فتأسفا عليه لعدل أبيه فقال أحدهما أرى دواءه قريبا ولكن والده لم يجد صديقا
حبيبا فسمع بهرام ذلك المبشر فنزل عليهم ولم يكترث بتجريده أو قتله وخر على أقدام
القائل قائلا اني دخيل همتك وأرجوك أن تهديني الى دواء قال ثمرة الشفا قال بهرام
وأنا أدور عليها فاكسب أجرى وثواب شفائه ودعاء والده قال اللص اعلم يا هذا ان كسبي
في هذه السفرة ألف دينار فان قطعت طريقي وما شيتك لا دلك عليها فاتني نصيبي
فانتظرني حتى أقضي أربي وأعود قال بهرام مولاي هاك الالف دينار ولا أنتظر قال
البدوي نعم السبب فقام معي ثم ان البدوي ودع أخاه وأخذ الالف دينار من بهرام وسلمها
الى رفيقه وسار رفيقه على طريقه وسار هو مع بهرام فطالت المسافة فقال البدوي
أخي أنت السائر بي ويلزمك طعامي وشرابي قال بهرام لو قلت لي عنه وأنا في المدينة لاتيت
بما يكفينا لانه لم يكن معي خلاف ذلك المبلغ وهذا الزاد قد نفد قال أقرضك حتى نذهب
ونعود وتؤديه الى ففرح بهرام وقال نعم وأقسم له ايمانا غلاظا وصار البدوي ينفق كلما
احتاجا اليه ويحسبه على بهرام حتى وصلا الى مدينة الزهرة فقال البدوي اذهب
واستأذن الملك وهاهو البستان وأنا أنتظرك هنا حتى تعود فان قبلت الشرط فنعم
المطلوب والا فالامر لله فأقبل بهرام حتى دخل على الملك وقبل الارض وصار يمرغ وجهه
على التراب ويتضرع فرق له الملك وقال أيها الغريب ماذا تريد قال بهرام زهرة واحدة
من شجرة الشفا فتبسم الملك قائلا كم مثلك أتوا خاضعين متضرعين فلما سمعوا بالشرط
تنحوا ولوا راجعين قال بهرام وما الشرط قال الملك الزهرة بروح فكيف تسمح بروحك
قال بهرام يطيب لي أن أفدي ذلك الشاب العزيز بروحي قال الملك سبحان الله لاي داع
قال هو واحد خليفة ووارث ملك فاذا رأيت أن تمهلني حتى أودعها اليه وأرى شفاه
ونشاط أبيه ثم ارجع الى أعتابك ففعل بي ما تريد يكون لك الاجر والثواب قال أو ترجع
الى الهلاك قال ابعث من تثق به معي وعلى تكاليفه حتى يحصل أربي ويرجع بي اليك
واكتب علي وثيقة باني أسيرك فلا يقدر أحد أن يمنعني عن الرجوع فقبل الملك ذلك
وكتب عليه الوثيقة وبعث معه من يثق به وأحضر الثمرة من البستان وعصرها في حق
وناوله اياه وقال يشربه بمعرفة الحكيم فأخذه بهرام فرحا مسرورا وصار مع رفيقه الجديد
حتى التقى برفيقه القديم وأخذوا في السير حتى وصلوا الى المدينة ودخل بهرام داره وسلم

الحق لنحوسه وقال سدى فه بقماش حرير حتى أغتسل وآخذه الى الملك ودخل هو ليغتسل فسدته ووضعته فى الطاقة فاتفق ان فرهاد وجد الحيلة وأخذ سيفه ثم حضر الى منزله بثوشا وقال للسعادة سدى فه سدا وثيقا حتى أغير ملابسى وآخذه فسدته ووضعته فى طاقة أخرى وكان فرهاد اتفق مع أحد الطباخين على وضعه فى طعام الملك الكبير وأماولده فقربت مدته لان العام ناهض النفاد فخرج فرهاد مسرعا وطلب خنقه فقالت له السعادة فى الطاقة وكانت طاقة حق بهرام أقرب اليه من الاخرى فأخذ حق بهرام وسار الى السراية فلما اغتسل بهرام وخرج سأل النحوسة فقالت لديك فى الطاقة فأخذ حق فرهاد وخرج وقال لرفيقيه انتظرانى حتى أعود وأدفع عيشى وكان فرهاد وصل السراية وجلس بجانب الملك وكان المنجمون والرمالون ينظرون فى طالع القادمين على الدوام ويبحثون على قدوم آت يأتى بذلك العصير لان الملك أرسل فى عامه عدة نفوس فصاح أحد الرمالين البشرى البشرى أيها الملك السعيد قد حضر لنا رجل غريب بعصير تلك الثمرة فسمع فرهاد فقال فى نفسه ان كان بان للرمال وجود حق العصير فلا شك انه يرى فى الاستخراج حق السم فليس لى الا الهروب قبل أن يظهره وقام مسرعا فلقيه الرمال فتعلق بأذياله وقال هذا هو الشخص الذى تعين لى فى الفخت فاحتاطت به الامراء والوزراء فلم يجد بدا من اظهاره وقال نعم أتيت به ولكن لم أتحقق أهو هذا العصير أم لا وهر ادى عرضه على من يفهمه فاختطفوه منه وأسرعوا الى محل الفيل وسقوه منه قدرا معينا فجال الدم فى جسمه وتحرك ثم أعادوا السقيا فاستوى جالسا وشفى من ساعته ودقت طبول الهنا ورفعت رايات السرور وأجلس الملك فرهاد على الفخت بجانبه وأغدقت عليه الجوائز والعطايا من كل جانب واذا ببهرام قد أقبل ورأى ما رأى من البشر والسرور وجد صاحبه بجانب الملك وقد تراكمت الجوائز أمامه فسأل الحاضرين عن الخبر فأعلموه فاستغرب وقال فى نفسه جل الذى أصلح نيته وأبدل الشر بالخير فهل توجد حديقة غير التى كنت بها وهل يفدى فرهاد ابن الملك بنفسه بعد ما سمعت منه ما سمعت ثم تقدم بهرام وهنأ الملك بصحة ولده فرأى الحق الذى كانت به الثمرة قال سبحان الله ما أشبه هذا الحق بحقى ثم خرج من المحفل وأخرج القدح الذى معه فاذا به ليس قدحه فكر راجعا الى منزله وقال لنحوسة ما فعلت بقدحى قالت ربطته ووضعته فى الطاقة قال ليس هذا هو من أبدله وكانت خيانة تنظر من الروشن فقالت هذا قدح زوجى فرهاد لقد غلط فى أخذه فاستغرب بهرام هذا التصادف وحمد الله على صحة ابن الملك ثم رجع الى منزله وباع قنده وأعطى البدوى حقه وأخذ هو جانبا وترك للحرم البقية وهو ما يوصله الى بلده ورجع الى صاحب الحديقة لتسليم روحه ومازال سائرا حتى وصل ودخل عليه فرآه ممدودا فشاف صاحب الحديقة وقال دهشتك تعلمنى بفقدك على حياتك قال بهرام لا وحق من أبدل ذلك بهذا وقص عليه الخبر فتعجب الملك وقال الله يحمى عنك

هذه النحوسة اعلم يا أخي ان هذه الشجرة تسقى بماء الورد وهي غرس أجدادي ولها مصاريف عجيبة وطالما شاهدت الملوك اشوه خيانة من أقرب صديق لهم فصاروا يوصون واحدا بعد واحد ان هذه الثمرة لا تعطى الا لخالص الصداقة ويصونونها عن كل خائن فلم يسعني لاثبات الصداقة الا هذا الشرط وطالما أتتني من ذلك الملك أناس كثيرة لطلبها ومتى يسمعوا بالشرط يتنحوا عن الطلب ولها خاصية أخرى لا يعلم بها أحد وهو ان الثمرة اذا بلغت حد الاستواء ونشفت على غصنها تقطف وتصان فاذا صرع أحد وسحقت وشرب المصروع برئ من علته لوقته فهالك اثنين واذهب سالما حفظ الله روحك أيها الصادق ومحا نحوستك فدعا له بهرام وتوجه حتى لحق بمنزله وقد نفدت الدراهم فقال لاصالح في المكث ولكني صغر الكفين فصار متفكرا في أمره ولم ير من يعرفه سوى فرهاد فدخل عليه وقبل راحتيه وقال من فضلك أسألك أن تهبني شيأ مما أعطاك الله حتى أتوصل به الى منزلي قال فرهاد لا حاجة للهمة وسر مع قافلتي وأنا أتصدق عليك حتى أوصلك فشكر فضله ومازال حتى وصل الى بلده ودخل منزله وجلس في ركنه المعهود لامتاع ولا نقود فدخل عليه صاحبه الصبر وقال كيف كان السعي يا أخا النحوسة لا منال ولا رأس مال فأين يا أخي مزية الصداقة حيث لا سعد ولا وفاقه ألم أنهك بقولي ان السعادة ليست بسعيك والتوفيق ليس في كمائم وعيك فمن قال أجد بالجهد فأحف بالعناية فقد ضل سبل الهداية أخي ما دمت في خيمة الادبار وحومة ازورار الاقدار فعقد نفعك محاول وحسام سعيك بالخسارة مصقول فاجعلني لعذلتك أنيسا ولوحدتك جليسا فمن ذا الذي نال بعزمه مناه وأين الذي بلغ بسعيه ما يرجاه أخي خالفت نصحي فما الذي لاقيته من المنا وعدلت عن مسالك ربحي فما وعيت من الهنا لكني ألقاك في مخالفتي معذورا وفي انحرافك عن طاعتي مجبورا لان ادبارك لم يكتف بما عليك جنى وقد شب لتضاعف المشقة والعنا بسوقك الى سوق التجاره وخيبة رجعتك بالخساره فقد قطعت حنانتي عليك أوصال كبدي وخرقت شفقتي عليك حبوس جلدي ثم أجرى الصبر المدامع مشفوعة الزفرات والنحيب حتى انجرحت الاجفان بذالك العارض الصيب فسمع الصبر دعه بكفه وواري لوعاته عن الخصم بطرفه وطفا لهيبه بزلاله وطيب خاطره بمقاله * فلما سمع ممدوح هذا الحديث الغريب تأمل في معانيه وتعجب من مجاريه وقال مستفهما أوعاش بهرام بعد هذا وتلذذ بالشراب والطعام قال نعم بمؤانسة الصبر ومجالسة الامتثال لعلمه بالقول اليقين ان الله مع الصابرين فكيف يعني هذا القول من كان مؤمنا ويضجر ويسخط روحه باليأس وينهر اذا تحقق المخلوق ان الامر للخالق واليه وليس يرى الا ما قدره الله عليه فكيف يقابل أمر ربه بالعصيان ويبارز مشيئته بالطغيان وقد نهى عنه في القرآن وبشر الصابرين بأحلى بيان قال ممدوح نعم نعم ما قال الجليل ولكن أين التجلد

ياعقيل قال عقيل اذا تأمل النبيل فيما سلف من النكت العجيبه والنوادر الغريبه
وميز تداول الاحوال فى انتقال المصون والمهان من حال الى حال هان عليه ما يلقاه
وانتظر بشائر عقباه قال ممدوح قد أذكرتنى بلفظ الانتقال ان رأيت أن ننتقل من هذا
الوادى المنقطع لانه غير ذى زرع ونستبدل له بارض بهيجة النسيم لنروح الروح
فيه يسيرا وقد كنت بمفشة التريض خبيرا قال عقيل الامر لمولاى حيث مل من
الاقامه فليس لى الا طى بساط الاقاله اطاعة لامره وعزم على السفر رغما عن أنفه
لانه وجد الراحة فى انقطاعه عن الناس واطمأن على مولاه من سماع الاخبار المسيئة
فسار ايطوبان الفيافى ويترقبان كل لطف خافى وممدوح يجد فى نفسه نشاطا فى
مروره على الحدائق والرياض فترعرع جسمه وازدهى لونه فتأمل فيه عقيل وبكى
وتأوه فى سره واشتكى وقال فى نفسه وأسفاه ان لاحظ نشاطه الا دبار ساق اليه كل
مكيده ولاقاه بكل نكتة عنيده فما زالا فى السير حتى وصلا الى حدود بندر من البنادر
فالتفت عقيل الى مولاه وقال سيدى نتخذ فى هذه البقعة مقعدا مشيدا لنكون عن
الناس بعيدا قال ممدوح الرأى فيما استحسنته اغا أشتهى أن أكون فى العمار حيا
فى سماع النكات والاسمار وقد ابتهجت منذ قبلت رجاى فى الانتقال وأملى من شفقتك
وضنك بدخولنا الى هذه المدينه لنرى ما فيها من الزخرف والزينه فانفطر قلب عقيل
من تذلله فى الخطاب بعد ذلك الامر المجاب فلم يسعه الا الامتثال فدخلا المدينة
واكترى حجرة فى بعض الربوع وصارا يخرجان الى الازقة ويجلسان فى المغارات وكانت
تلك المدينة من مدائن العادل فطاب بها المكث لممدوح وصار يدور فى نواحيها حتى
تعارف بأهاليها فكان ذات يوم يتمشى بساحل البحر مع التجار للتريض فاذا بسفينة
أقبلت وهى فى أعلى زخرف وصارت تدق المدافع للسلام فردت عليها عساكر المدينة
بمدافع التحية والترحاب وأقبلت عليها الاهالى والامراء فخرج اليهم المبشر قائلا لكم
البشاره يا ولاة الاماره قد ولد للملك الثانى ولد وسماه العادل فاظهروا البشر والبشاشه
وهموا بزخرفة المدينة وأمر الزعيم برفع الرايات وتعليق السرج ثلاثة أيام وكانت عادتهم
ان المنادى يطوف بكافة الازقة وينادى بالبشارة كل ليلة حتى تنتهى أيام الزينة * وأما
ممدوح فانه ارتعد من أول مدفع ولكن تجلد بالصبر وتقوى بالجبر فلما سمع قول المبشر
ولد الملك العادل انفجرت حشاشته غيظا وحزنا فخر مغشيا عليه وكان عقيل يسمع ذلك
المدافع فصار يطوى الارض حتى لحق بالساحل وصار يتفقد مولاه حتى وجده بين أرجل
الرجال فحمله وأنزله صندلا صغيرا وقال للملاح توجه بنا ناحية الجبل فلما أوصلهم حمله
أيضا وأدخله بغارة وأرقده وصار يعالجه حتى أفاق فقابله بالبشاشة التامة وصار يداوى
جراح فؤاده ببراهم الانس وكان مراده من ادخاله الغار بعده عن سماع المدافع فلما
انقضت ليالى الزينة اكترى بعيرا وأركبه عليه وخرج به من تلك الاقطار قال ممدوح

شفيق رأيت لك حقا كبيرا فى اسكانك اياى فى القفار لان سكنى فى العمار قد حرم على
وحجب القدر توحشى الى" واندفق الدمع على خديه وانفطر قلب النديم عليه فجنح الى
تسكين لوعته فبادره بقوله عزيزى أعرضت عن سماع حديث غريبك بهرام ولم تسأل
عن ما لقيه وبأى وجه حصل تلاقيه قال ممدوح هذا وقت الاسعاف بحديثه فهو أشهى
اتحافى لأطفى به هذا اللهيب الخافى قال عقيل مازال بهرام يتقلب فى لهيب افتقاره
ويتلظى فى جذوة احتقاره والصبر يطهر ذاك التلويث بالمسامرة والاحاديث
حتى انتهى العام وطاب السفر والقيام وخرجت الدواب بالركاب وصفت السفن
للاسفار ووسق فرهاد متاعه الى الشام فخرج بهرام ورأى ذاك الاستعداد
فاشتاقت نفسه للسفر وهام قلبه لرؤية ذاك الوادى المطهر فعزم على السفر بالبلاغة
وقال انها ممدوحة فى كل حال مشكورة فى كل ما ل وهم بالتأهب فقال له الصبر
أراك أخى قد عزمت على تكرار المشقة بلا جدود فهل فارقت النحوسة يا أخا السعود
قال بهرام كيف ذاك وهى شقيقتى فخوفنى الصبر وقال الامر لله والتوكل على الله وهو
القائل لحبيبه انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء غير انى لم أجد عندك
وجود النقود وقد سافرت فى المسالفة بالقند والعين ورجعت صفر الكفين فكيف
حالك وأنت خالى *قال بهرام ان أوجد لى المان رزقا شكرت والا فبركن التجلد اعتصمت
وبات بهرام تلك الليلة يداول الفكر ولم ير وسيلة الا القرض فقال ليس لى أقرب من
جارى فصار اليه وأحب أن يختبر الامر فقبل يده وقال سيدى أحب أن أكون فى ظل
مسايرتك بأمرك فالتفت عنه فرهاد وقال الطريق أمامك لسيرك وأما الصدقة
فلفيرك فرجع خائبا وكان أمير البلد قد خصص دواباً وزاد للفقراء السائرين مع القوافل
من باب الصدقة فلحق بهم بهرام وسار على دواب الصدقة مع الحرم حتى دخلوا الشام
فاكترى فرهاد منزلا عظيما وأدخل أمتعته فيه فجاء بهرام وهنأه بالسلامة وقال أيوجد
مكان صغير فى أسفل الدار لسكنى محسوبك ودفع الاجرة قال فرهاد أبليت بك فلا
كانت جيرتك فسأل الغلمان فقال أحدهم عندنا حاصل لازوم له عندنا قال فرهاد
ادخله فيه واشترط عليه الاجرة فأخذه الغلام وأراه ذاك الحاصل وقال لاتحزن أنا أدفع
عنك القيمة فشكره بهرام على حسن صنيعه وكان له باب من الخارج فأدخل الحرم
منه وسد بابه الداخلى وصار هو يتردد الى مخازن التجار فسمع من بعض المتسببين انهم
يخرجون الى الضواحى ويأتون ببضائع وضيعة فى الاثمان فيبيعونها بارباح فافترض
بهرام درهما من صاحبه الغلام وخرج معهم وكانت دابته بطيئة السير فسبقته الركاب
فضل هو عن الطريق فأداه المسير الى برية موحشة وقد طلع عليه النهار واشتدت حرارة
الشمس فصار يتلفت يمينا وشمالا فرأى قبة على بعد فقصدها ليستظل بها فاذا هى بيت
من خشب جديد فدخل فيه وجلس برهة فاذا هو بضجة عظيمة وناس يبكون

ويصيحون وقد احتاطوا بجواد عليه شيخ مكفوف البصر وهم يقصدون البيت الذى هو فيه فقام بهرام واختفى ركنه فقدموا حتى أدخلوا ذلك الشيخ ورجعوا يضربون وجوههم وصار الشيخ فريدا فجاء اليه بهرام وحياه وسأله عن الكيفية فبكى الشيخ وقال اعلم ياولدى انه ظهر شخص من المتوحشين منذ ثلاثة أعوام تارة نهارا يكون ظهوره وتارة ليلا وهو يملأ الجبل ويقول بصوت مزعج ابعثوا من يفهم خطابى ويرد جوابى والا هجمت عليكم وهشمتكم فان أجابنى خليت سبيله وسبيلكم ولم أعد والا هشمته واكتفيت به وسلمتم منى فصاروا كلما ظهر يقترعون وكل من خرجت القرعة باسمه يأتون به الى هذا البيت فاذا سأله لم يعرف الجواب من دهشته فيصيحون فيلقونه عظاما وقد أكل لحمه وقد خرجت القرعة على" وأنا امام الملك والذين يكون هم أبنائى واحفادى والامر لله فقام بهرام وكر راجعا الى المدينة بدلالة الماشين ودخل على فرهاد وقبل يديه وقال أوصيك بالحرم خيرا فاذا أنا لم أرجع فأوصلهم لدارهم بصدقتك فقال فرهاد أجاءك رسول الممات يستأذنك فى قبض روحك قال لا وقص عليه القصة قال وما مرادك قال بهرام انقاذ الامام من الموت قال وتموت أنت بالنيابة عنه قال الله معينى ومعينه قال اذهب وانقذه وابنى لك قصرا فى الجنة فودعه بهرام ولحق بالشيخ وقد قرب نصف الليل فدخل عليه وقال قم سيدى وتوارى وأنا أجاوب عنك قال الامام معاذ الله ياولدى أن أرميك بمصيبتى وأنا أسن منك فقبل بهرام أقدامه وأقسم عليه بأيمان وثيقة فامتثل العالم وصحبه بهرام الى الداخل وجلس هو بباب القبة فاذا بالوحش ظهر بهيئة مزعجة وقال من يفهم كلامى يظهر امامى فحضر اليه بهرام ثابت العقل والجنان وقال هات سؤالك فاستعظمه الوحش وقال ما اسمك قال بهرام ليس لك الا رجل مجيب قال من أبوك الذى تسبب فى وجودك قال بهرام أوجدنى من هذه قوى الظالم وشد ملزم المظلوم فزاد استعظامه لدى الوحش فاقتلع الوحش شجرة وفتتها بقوته فتبسم بهرام ونظر الى السماء ثم اقتلع شعيرات من لحيته ونسفها فى الهواء فقال الوحش

بفضائل شهدت بعلمك دانى * وافصح عن المكنون واعلم انى
حرصا أجوب البيد عمرى لم أجد * نيلا كما يرجو الفؤاد يسرنى
وقصدت روعك للدلالة راجيا * أهنى البقاع فجد بفضلك واهدنى

﴿فقهقه بهرام وقال مستغربا﴾

يا أيها السيخ الفقيه الزيلعى * ما أنت الا فى البراعة مدّعى
مالى أرى كالبيخ قولك باردا * لو كنت تدرى سر قولك أوتعى
فانظر لمرآة التأمل كى ترى * وكفاك فى ذا الفن قول الاصمعى

﴿قال الاصمعى﴾

أطيب الارض ما للنفس فيه هدى * سم الخياط لدى الاحباب ميدان

وأشبهت الارض ما للنفس فيه أذى * تحضر الجنان مع العذال نيران

فاطرق الوحش مليا وقال شهدت لك انك أفقه علماء هذه البلدة واشهد على انى لا أعود اليها ما دمت حيا وعليك منى السلام فدخل بهرام على العالم وهنأه بالسلامة فصار يقبله ويبكى من المسرة ثم قال هيا بنا يا عزيزى الى حضرة الملك لتأخذ ما يليق لفضلك من الجوائز قال بهرام قد أحاط علمك استاذى بتعبى منذ أمس ولم أقدر على المشى فدعنى أستريح بالنوم ثم ألحق بك وهو اراده ان يتهيأ بملابس تليق بمقابلة الملوك وقام كأنه يريد النوم وخرج من القبة وجد فى السير حتى دخل منزله وأخبر فرهاد بفوزه ثم نحوسة فاشارت عليه ببيع قرط زوجته وشراء ملابس تليق بآل العلم فاخذ القرط وباعه واشترى ما رام ورام ان يغتسل من الرثاثة فدخل الحمام واغتسل وخرج فاذا بملابسه الجديدة قد سرقت والقديمة وهو غريب لا يعرف أحدا حتى يستعير منه فاغمى عليه من شدة حزنه فانطرح على الارض ومازال مطروحا حتى خرج من بالحمام فجاء الحماى وجذبه بعنف وقال قم الى منزلك فالنوم يطيب لك فيه فليس هذا خان الغرباء انما هو حمام فقام بهرام وقال سيدى قد سرقت ملابسى فكيف أخرج عريانا فرق له البلان واعطاه ازارا قديما فاستتر به وخرج فاذا الذى سرق ملابسه جالس فى احد الحوانيت وهو يلبسها وغلامه يلبس كسوة بهرام القديمة فقال له بهرام وقد تقدم اليه وصار يساره الحديث خوفا من الفضيحة أيحل لك أن تاخذ كسوتى وتتركنى عريانا كما ترى فصاح الرجل أيها الناس اسمعوا تهمة هذا الغريب النصاب وقبض عليه فقام اليه من بالسوق فقال هذا الغريب يتهمنى انى سرقت كسوته فأقبلوا باللوم على بهرام ويقولون ما حملك على أن تكون غريبا نصابا قال والله هذه ملابسى اغتسلت وخرجت فلم أجدها وسترنى البلان بهذا الازار وهو أكبر شاهد على صدقى قالوا تبا لك من نصاب بجحود هذه ملابس قطرنا وأنت لست منا فكيف تكون لك قال اشتريتها من بلدكم قالوا التتريا بملابسنا وتنصب كما تشاء ثم شدوا وثاقه وأخذوه الى ديوان الحكم وأما العالم فانه قام يسعى بكل سرور حتى التقى بأحد المارين فأخذه وأخذ بيده الى السراية وقص الخبر فقال الملك دعه يستريح حتى نحضر له الديوان ونأتى به فى موكب عظيم فامر بترتيب ذلك وأرسل اليه موكبا عظيما * وكان فرهاد قد أرق تلك الليلة فلما أصبح أشارت اليه السعادة بالخروج الى الرياض فقام وركب وخرج فشرد منه الجواد ولم يتمالك ان يضبط العنان ومازال حتى وقف الجواد بازاء تلك القبة وقد تعب فرهاد فنزل عنه ودخل القبة وافترش قباءه ونام يستريح فاتت الركاب بالموكب وتقدم الوزير ودخل القبة مع الخفة فاقى الشيخ نائما فصار يجسه جسا خفيفا فانتبه فرهاد فرأى ما رأى من الموكب فظن للقصة فنهض قائما فقبل الوزير يديه وأركبه وصار بالموكب حتى أقبل على الملك فاستقبله بالترحاب والتعظيم وشكر فضل علمه وجسارته وانعم عليه بألفى دينار وأتحفه كل

من كان بالمجلس حتى شحن صندوقا وكان فرهاد غير مطمئن ويخشى اقدام بهرام خشية من الفضيحة وحذرا على المال وكلما سأله أحد عن السؤال والجواب يقول لا حاجة في افشاء الاسرار ويبادر بحديث آخر وكان أقصى مراده ان يخرج بغتته قبل اتضاح الامر فبيناهو في الحذر والترقب وجمع التحف واذا ببهرام أقبل مكتوفا فاظهر أن فرهاد وتهلل بالفرح فقدموه الى الحكم وقصوا قصته على الملك فسبحان من غير من حال الى حال ولم يتغير عليه أحوال فقال الملك هذا يوم مشهود ولم أرض ان أعاقب أحدا فيه وأمر بحل كتافه واطلاقه وأنعم عليه بمائة درهم فرجع بهرام الى أهله غضبان أسفا وفرهاد بكل نشاط ومنال فأخذ بهرام الشقيقة والزوجة وكر راجعا الى بلده وهو يصرف من تلك الدراهم حتى دخل داره فوجد الصاحب والحرم في انتظاره والدمع يسيل من آماقه فقال الصبر أخي لا تجزع فان الشدة عدة فهون عليك ما لقيت وستري السلامة بقولي اذا اقتديت قد خصت الايام بالتداول وحفت الاحوال بالتحاول وطالما لاقت أمثالك من الادبار صروفا في الليالي السود ثم انجلى صبح اقبالها وحف بالسعود المحمود أخي ليس ادبارك نادر الوجود فالسعد يذهب ويعود وعادة الدهر في العلوم لديك ان يوما لك ويوما عليك فأي شهر لم ترفيه طلعة البدر وأي عام لم تكن فيه ليلة القدر فلا تزد أملك باليأس ملالا ولا تحمل نفسك بالكد العاطل فوق ما بها اعتلالا وتأمل في أمثال التيمورية حيث قالت

مهما سعيت لمنية مذ كنت في * ادبار وقت فهي عين منية

ولها أيضا

ذلت المنا ان ساعد السعد القدر * فاجهد ولا كلما تسعى هدر

فكن معي حتى ينقلب الطالع وارض بما تاقي ولا تمانع وتأمل في سالف الدهور فكم أبكت ضحوكا وكم أقبرت ملوكا ومازال الصبر يدير له من النصح كاسات المواساة حتى أسكن لوعاته وأخمد زفراته فكف بهرام عن الجهد والجد عامين عاطلا عن التجارة قاعدا على حصير الخسارة * فلما سمع ممدوح ذلك القول ألزم نفسه بالسكوت والاقامة حتى يسمح السعد له بسلامة وقال لعقيل قد مثلت نفسي ببهرام الغريق ومثلتك بالصبر الصديق ومازالا ماكثين بقعتهما أياما وعقيل يحضر بالقوت لسيده فتأمل الفتى حالته ذات يوم ولام نفسه قائلا الى متى يسعى هذا النصوح في جلب القوت وأنا أتناول كالمعتوه المصاب ألم يكفني منه افراج كربي بحسن مساهرته وتلطيف شدتي بظرف منادمته فأين الحساسة وأين انصاف الرياسة كيف لا أساعده بالكد فوا أسفي على عنصري الذي خاب وعزمي الذي غاب وعاب فنظر اليه عقيل فرآه متغيرا فسأله عن الداعي فأخبره مع الخجل والاسف فكاد عقيل أن يرقص طربا وقال وحق نعمة أبيك وجدك ان احساسك بشرني بقرب صحو سعدك ففرح ممدوح وطابت نفسه وتحدثا

برهة ثم قام عقيل وقصد المدينة وقام الفتى يمشى فى الفضا حتى دخل غابة كثيرة الاشجار
فاستراح لنسيمها وجلس يستظل تحت الاغصان فاذا بجدأة تصيح وتحوم بالطيران
على شجرة كأنها تريد القرار عليها فيمنعها مانع وكلما رامت القرار نفرت بسرعة وصاحت
فعلم ممدوح بالفراسة ان لها أفراخا بين أفنان تلك الشجرة وقد رأت ما هالها بهشهم فلا
تستطيع القرار ولا يمكنها الترك لحنانها عليهم فقال سبحان من ساقنى لحل مشكل هذا
الطائر فنهض وصعد الشجرة حتى وصل الى عشها فرأى بين أفراخها جوهرا ثمينا قد أصفته
الشمس فاشتد بريقه وهى تحوم على رأسه كأنها تستجير به فأخذه فاذا هو خاتم ملوكى وقد
خالته الطيرة نارا مشعلة لشدة لمعانه فلما أخذه دخلت على الافراخ بسرعة وخيمت عليهم
فنزل الفتى وا لخاتم بيمينه وقال سأقصد المدينة لانعش عقيل بلقطتى وأحقق بشراه فما
زال يمشى حتى دخلها وكان لا يدرى محل اقامته فصار يبحث عليه فسمع منادیا ينادى يا أهل
البلد اخرجوا الى ذيل الجبل لترواقتل الخائنين فقد مضت مدة امهالهما والامر لله
فسأل الفتى المنادى من هما وما جرمهما فقال غلامان سرقا خاتم الملك وهما مملوكان له
فأمهلهما اسبوعا وقد انتهى الاسبوع فقال ممدوح اسرع بى اليه فلعل الله يجعلنى سببا
لانقاذهما فجد المنادى فى السير مع الفتى وتبعه من بالسوق حتى دخل على الملك وحياه
بالخلافة وأخرج الخاتم وقال هذا ما ضاع منك قال الملك نعم وأنى لك به وأنت غريب
فقص عليه الخبر فاستغرب الملك وقال حفظ الله فراستك وصداقتك قد أجرت بوقايته
دم الرجلين وأنقذتنى من ارتكاب الظلم اعلم يا ولدى انى كنت فى بستان لى ولم يكن معى
خلافهما فنزعت الخاتم وسلمته لهما لجلالته ثم طلبته منهما فقالا انه ضاع ولم يكن فى البستان
غيرى وغيرهما فلم أشك فى انهما طمعا فيه وسرقاه ولم يخطر ببالى ان الغراب يخطف
الجوهر أو الجدأة ثم دعا بهما الملك وطيب خاطرهما بالانعام وناول الفتى صرة فيها خمسمائة
دينار وخرج ممدوح مسرورا بنيله يقول فى نفسه سأعطيها العقيل لينفق منها ويستريح
من الكد فى الطعام والشراب حتى تنفد وخرج من المحفل بهذا الامل وكان الناس قد
اجتمعا لسماع تلك النادرة الغريبة وقد حان وقت الغروب فأسرع ممدوح ليحضر لمنزله
لان عقيلا كان يحضر فى الغروب بالعشاء فصادفته فاكهة كان يشتهيها منذ أيام ولم يرض
أن يكلف عقيلا بشرائها حذرا من عدم وجود النقود فسر بها وأراد أن يشتريها فأدخل
يده فى جيبه ليخرج الصرة فاذا بالجيب قد شقه النشال وأخذ الصرة فغلب عليه الغم
فجاءه فأغاث نفسه بالتأمل فى نصائح عقيل فلما وصل المنزل وجد عقيلا فى انتظاره فقام
واستقبله وقال أين كنت سيدى الى الآن حتى تعبت وتغير لونك فخذ الراحة فى الجلوس
وأنا أتحفك بما سمحت به اليوم فبسمل الى الطعام وتسل بالحديث وانظر الى لطف المولى
الغريب وكرمه العجيب فالذى أنقذ ذينك الرجلين من الموت قادر على انقاذك ورذك
الى تختك قال ممدوح ومن الرجلان قال عقيل رجلان اتهما بسرقة خاتم الملك وأنقذهما

الله ياحد الغرباء والناس تمدح فراسته فتبسم ممدوح وقال أأنت تحدثني أم أنا أحدثك وحدثك ما كان ذلك الغريب الا ابن العادل وقص عليه الخبر وأراه شرط الجيب فبادره عقيل بالبشاشة قائلا يا حامل بشارة قال ممدوح ماهي البشارة هل طفل أنا فقلها بيني قال مولاي ماضاع منك فهو بشارة اقبال همة سعدك أوجدت سيدي منذ خرجت من ملك أبيك ما يسرك قال لا قال أدخلت محفل ملك أو ديوان حكم قال لا قال أحظيت بشهرة أو ثناء قال لا قال أمدحت بحسن فراسة قال لا قال كيف لا تستبشر بوقوع هذا كله في يوم واحد قال ممدوح فما قولك في سوء الختام قال عزيزي لو لم يكن أخذ منك ذلك لقلت قرب أجل خصمك ولم أقل أجلك تأدبا الان السرور اذا تعدد فجأ دلا يكون مصيره الى الخير فاذا اشتمل الاقبال بغتة لمن تلبس بالادبار يكون قرين الاخماد فعسى فاسمع ما قالته العبورية في المثل اذا بلغ الحظ غاية تمامه فهو دليل على قرب انصرامه فليس بعد التمام زياده ولا بعد الموت عياده حفظ الله فراستك من الغفله أرأيت كيف كانت تلك الطيره تحوم بفزعها وتصيح بجزعها حتى أغاثها الله بك فحاذاك عنها ودخلت عشها واستقرت واطمأنت برؤية أفراخها وسرت فهذا تلميح اشارة تعود عليك وحسن بشارة تساق اليك فالشجرة مملكتك والعش تختك والفراخ رعيتك وأنت تلك الطيرة أتظن ما فعله الخائنان مضرة بك بل هو مسرة لك كما كانت الطيرة تظن ان الجوهر نار فسيدك الله من فضله بان يظهر ملكك منهما ويسلب عز تختك عنهما بغير عملك دون تعب منك حتى يجلسك عليه من دون نصب كما حامت هي في اللوح وصاحت من روعها بالنوح فلما أمدها الله باغاثتك دخلت مسكنها ولم يكن به أدنى خلل وستصدق قولي بالمشيئة عند جلوسك على التخت كما رأيت وتثبت حديثي كما ادعيت وعند ذلك امتلأ الفتى بالسرور وتاقت نفسه للطعام وتناول بشهية فائقة وتسامر بفكرة رائقة ثم قال لعقيل أكلفك شفيقي بحديث بهرام وماتم له بعد التقاعد من المرام قال أسمع الله مولاي كل خير لما مكث عامين كافا عن التجارة حذرا من الكساد ولم يرض ان يتسبب بمال غيره خوفا من الفساد كاد ان يموت من شح الزمان والقوت فدخلت عليه حيلة وقالت بلوت اثنتين فهل لك في الثالثة فالاحتيال لا ينكر فخذني وتوكل قال دعيني يا حيلة الى أين أذهب وأين النقود التي بها أتسبب وقد مال ظل النحوسة علي وساق كل كساد الى فسمعت نحوسة فتصدعت وتضررت وقالت قل ماشئت فالله قادر على بعدي عنك وتجنبي منك ولكن حيث كان القول منسوبا الي فأنا أسعى في وجود النقود من جارنا الامير فان رأفته تسمح لكل حقير وأقترض لك عشرين دينارا بشرط أن تأخذني معك قال بهرام ان جادبا قترض فلك ذلك فتهيأت نحوسة وقدمت على بيت فرهاد وكان أول اقدامها لبابه وانتظرت حتى نزل من الحرم وصارت تحدثه بارق حديث من وراء الستارة وقالت يقبل أقدامك وقد توسل

باحسانك فأرسلني ألتمس عشرين دينارا قرضة لوجه الله وأملي أن لا تخيب رجائي فقال
قلة لرخاسة صوتها وقال من أخوك قالت محسوبك بهرام قال لو تدرين سوء ادراكه
وخسة عقله لعذرتيني في تهجمي عليه لقد تصدقت عليه مرارا ومانال المائة درهم الا بكرامة
وجودي وقد جحد نعمة فضلي وسافر ولم يستأذني ولكن لا ترضي رأفتي ان أردك خائبة
وناول غلامه عشرين دينارا فأعطاها اياها فأخذتها وعادت الى بهرام وهي تقول يالله من
سيد جيد فكيف تكفر انعامه وتطلب احسانه فأخذ بهرام الدنانير وتأهب للسفر
فجاء الصبر وقال ما الخبر أفارقتك الخسارة حتى هممت بالجسارة قال كيف وهي التي
نسبت في النقود من عند أصيل الجدود فاستبشر الصبر وقال أدخلت عليه قال لا
لكنها وقفت ببابه وأسمعته حديثها وسمعت لطيف خطابه قال الصبر وددت لو انها
دخلت عليه بلا حجاب أو متجردة من الثياب ولقد شعرت بالبشر قليلا اغاحيث ان
القرض بيدها فلا ريح فيه فارددوه وارتاح واعلم ان سبب النحوسة ليس فيه أرباح قال
بهرام قد اختنقت في هذه الحجرة ولا طاقة لي بدفع الاجرة قال الصبر أخي ان ساعدك
السعد طاب لك الوعد أخي القدر لا يعاند والمقدور لا يرادد وطور الناس خمسة
أجناس سعد كله ونحس كله ومنه تارة نحس وتارة سعد ومنه سعد أوله ونحس
آخره ومنه نحس أوله وسعد آخره ومنه المتوسط وهو خيرها لا سعد بارق ولا
نحس فاتك والسعد كله لا يخلو عن نكت النحس أحيانا والنحس كله لا يخلو عن بارقة
السعد أحيانا وقد أقرأ الطالع من ثم بتقلبه في دوراته وأنزل الجليل آية التداول في
قرآنه واني أراك لم تخف بسعد الى الآن وأملي بانك ستقرن به في القابل من الزمان
فاصبر وما صبرك الا بالله والافلاك الاخر فتوكل على الله فقام بهرام وودع الصبر وخرج
الى السوق يشتري بضاعة على قدر رأس ماله فرأى ازدحاما عظيما فقال في نفسه
ما اجتمعت الناس الا على خير متاع ودخل ذلك المحفل فاذا برجل تعلقت التجار به قائلين
لا تبرح حتى تؤدي كل ذي حق حقه فسأل بهرام عن الخبر فقالوا انه رجل مديون ولم يكن
له سوى صندوق مختص بالصباغة وهو غير مقبول عندهم لانه عديم الرواج فسألهم كم عليه
قالوا عشرون دينارا فتقدم ودفع المبلغ وخلص الرجل وأخذ هو الصندوق وقال سبب لي
خلاصه من الذل أحسن سبب وكان بهرام يحسن صناعة الصباغة وكان علق بهامش صغره
لوجود الالوان المفرحة وكان صغر ما بالتشكل فصار محترفا بتلك الصناعة فلما اشتراه قدم
به الى الساحل فرأى سفينة تحمل المراسي الى السند فاكترى بها حجرة صغيرة وأدخل بها
الصندوق وذهب وأتى بالحرم وصاروا على وجه الماء أياما وهو يبهج أمير السفينة
بالمساهرة ويقتات من عنده هو والحرم فاشتدت الريح عليهم ذات يوم وغلبت الملاحين
وساقتهم كما تهوى وصارت بهم خمسة أيام فلما سكنت وأفاقت نفوسهم ودقوا المراسي
وخرجوا البر واتلاف الارض ويستدلوا على وجهتهم وخرج بهرام معهم وصار يمشي على

الساحل حتى بعدعنهم فجلس يستريح فاذا بصندل مقبل من جوف البحر وهو من خشب الآبنوس وله رايتان من حرير أسود وفيه عشرة رجال بينهم فتى كالخيال والحزن يلوح فى نواصيهم لسقم ذلك الفتى فتقدموا الى الساحل وربطوا صندلهم وقام الغلام بين رجلين يرتكن عليهما حتى وصلا الى الساحل وصعدا به الى الجبل فأنزلاه فى مغار ورجعا من غيره وهما يتأسفان وعادا الى الصندل وتركا الغلام وحيدا فصعب على بهرام وحدة الغلام وقام ودخل عليه المغار وصار يصغى لما يقول فاذا به يقول يا من رد يوسف على يعقوب ويا من كشف البلاء عن أيوب فرج كربى بحرمة النبى الحبيب ودلنى على من هو لدائى طبيب قد أحاط علمك بدائى فامنن بشفائى ودوائى فدخل عليه بهرام وقال السلام عليك قد ساقنى المنان اليك فاشرح حالك وعرفنى بلبالك فتمسك الفتى بأذياله وصار يقبل يديه وقال اعلم يا سيدى انى ابن ملك الجزائر وكنت فى دراية العلوم على جانب عظيم فلما بلغت الحلم هم والدى بزواجى وأمر الوزيران يحضر بصورة كل صبية فريدة الجمال من أبناء الملوك والوزراء وما أشبه ذلك فصار الوزير أياما فى هذا البحث حتى استحصل على عدد كثير وعرضهم على فلم تمل نفسى الى احداهن أبدا فاغتم والدى وصار يهددنى ويكدرنى وكلما أمالنى اليهم لم ازدد الا نفورا فقال وزيره اعلم سيدى ان تنحيه عن الميل الى هذه العذارى لم يكن الا لامر يعلمه الله فدع التهديد واهمله حتى يروم التأهل من نفسه فكف عنى الملك وعن خطابى فمر على ذلك ولعبت بى الافكار وزادنى الاسف فكنت ذات ليلة أتأمل فى تلك التصاوير وأشوق نفسى اليها لعلها تشغف باحداهن فغلب على النوم فرأيت فى المنام عذراء تخاطبنى بقولها ياتاج الدين لو كنت أنا ممن يميل الى الرجال لكنت أهلا لذلك فانتبهت وقد أخذ حبها بجامع قلبى وخيالها يتثنى أمامى وأنا أحسن صنعة التصوير فصورتها على حسب ما رأيت وصرت أستدل عليها من السياحين حتى عرفها أحدهم وقال هذه ابنة ملك الشين ومن أخلاقها انها تكره الرجال وقد عرفت أباها بذلك وقالت له ان زوجنى بالرغم عنى قتلت نفسى فتحقق عندى ذلك من قولها لو كنت أميل الى الرجال فاسودت الدنيا فى وجهى ولم يسعنى الا الكتمان لانى لو أخبرت والدى لجد فى طلبها وان هى لم تقبلنى كيف تكون شهرتى بين الملوك الذين عرضوا على صور بناتهم وكيف يكون تشمت تلك العذارى فى عدم قابليتها اياى فكتمت سرى عن الجميع وصرت أرجو الله الذى قدر حبها على ان يرسل لى من أشكو اليه لوعتى ويواسى بتدبيره جراح شدتى فارسلك الى قال بهرام اعلم يا ولدى ان لى شيخا من رجال الله مقبول الدعوة مهما قال طال اغما كيف يرضى والدك بانفرادك فى هذا الغار قال الفتى ان هذه المدينة ليست لنا وانما هى الشين مدينة والدا الصبية ولى أعوام أسوح بالبلدان ووالدى يأذن لى لشدة مرضى ولم أجد راحتى الا فى هذه المدينة لكونها موطنها فلعلى أراها أو أرى من يراها وأمرغ خدى فى أرضها وألثم ثراها والرجلان اللذان

أدخلاني الى هناهما وزيرا بي وأنا أرجوهما في انفرادي احيانا في هذا المقار يومين أو ثلاثة
للاستغاثة وأنا بعيد عنهما حذرا من ان يطلعا على حالي أو يسمعا قولي ثم يأتيان فامضي
معهما الى الصندل ويجوبان بي في تلك البحار وهذه حالي قال بهرام لا بأس عليك وأملي
ان تقهاني ستة أشهر ثم عد الى هنا تحظي بمرادك ان شاء الله ثم ودّعه بهرام وقام الى السفينة
وأخرج الحرم والصندوق ودخل بهما الى الخان المتعلق بالصدقة وجدّ في البحث على
مراكز ابنت الملك حتى اهتدى الى بستان لها تتريض فيه فلبس ملابس النساء الزهاد
ودخل البستان وهي فيه وجلس بجانب نهر وأعلى صوته بالذكر والتهليل فسمعته الصبية
فأقبلت عليه وهو ملثم لم تر الا عينيه فقبلت يديه وقالت أسألك أيتها الزاهدة العابدة
ان تدعي لوالدي بالنصر ثم بصرف فكرته عن زواجي قالت الزاهدة كيف ذلك أضرك
بدعائي قالت الصبية اني لم أقبل الرجال قالت عرفيني الاسباب حتى أقنع بعذرك قالت
الصبية اعلمي ياوالدتي اني مغرمة بالسياحة لكني أجوب في حالة التنكر لرفع التكليف
ومداخلة الناس وتفقه أخلاقهم فقدمت في أحد الاسفار على مدينة وقد رست سفينتنا
على ساحلها فرأيت صبية تصيح بالسوّال وتبكي بكل حنانة فأرسلت من أتى بها وأدخلها
عندي وسألتها عن حالها وقلت كيف اباح أهلك اباحة الجمال لذل السوّال فاشتد
بكاؤها وقالت لو لم أخش الاشاعة لاطلعتك على أسراري فاقسمت لها بأيمان وثيقة
اني لم أتفوّه بها لاحد أبدا قالت سيدتي اني ابنة شاه بندر تجار العراق وعمي شاه بندر
تجار بغداد وله ولد هو مغرم بي وأنا مغرمة به وقد اتفقت الآباء على تزويجنا ببعضنا
عند رشادنا ولما حان الوقت وهم الابوان بالزفاف جاء مكتوب الى والدي من أخيه يقول
ان ولدي لي بعلة الرعشة ولم يضبط نفسه وقد وصفت له الحكماء صحراء في اليمن اذا دفن
في رمالها شفي ويتقوّت باللبن والافلا براءة له وقد بعثه والده الى تلك الاقطار والله
الشافي فلما سمعت بذلك غلب على الغرام وقلت لا وسعة لي في الاقامة بل أسافر اليه فاذا
مات قتلت نفسي وان شفي عدت معه الى أقطار عمي فاخذت لباس زفافي والحلي
وخرجت آبقة من عند والدي حتى دخلت اليمن وقدمت عليه وقد ضجرت الخدمة منه
فعرفتهم اني امرأة وهبت نفسي لخدمة المرضى والغرباء منذ أعوام فشكروا فضلي
وسلموه الي وصاروا كل أسبوع يأتون بزادي ويعودونه ومازلت به حتى نقد العام وشفي
بغتة وسكن رجفانه فتأمل في وجهي وقال ابنت عمي قلت نعم قال وما الذي أتى بك
وكيف رضي عمي فقصصت عليه الخبر فأطرق مليا ثم التفت الي وعانقني وقال عزيزتي
باي شيء أكافئك قلت سلامتك هي أشهى مكافأة قال من تمام جميلك استحمامي وتغيير
ملابسي فقمت به على النهر وغسلته والبسته قال أروم ان أراك بملابس الزفاف قلت
نعم وأنا أشتهي ذلك سرورا لشفائك فقمت وتزينت وجلسنا نتهنى بعضنا ونتسامر حتى
طلع النهار ومضى ظلام الليل فقلت من فضلك ان تنهني على صدرك برهة لان لي عاما

أنام مرتكئة على هذه الشجرة وأنت نائم على صدري قال أحب لو ساعتك المتلة لأعتنك
فيها فلبست قميص نومي وتجردت من الحلي ونمت فلم أنتبه الا والشمس قد كوتني حرارتها
فصرت ألتفت اليه فاذا به قد أخذ ملابس زفافي والحلي وأبق به وتركني فعلمت ان له
عشيقة يهواها فاخذ متاعي اليها وعزم ان لا يرجع الى أبيه لانه ان رجع لا يزوجه بغيري
فلم أقدر ان أعود الى أهلي ولا الى حرفة أتعيش منها فصرت على وجهي اسأل الناس كما ترى
فلما سمعت حديثها انفطر قلبي عليها فناولتها صرة فيها ما تستغني به عن السؤال مدة وقد
نفر قلبي من الرجال نفورا شديدا وآليت على نفسي اني لا أتزوج أبدا فقالت الزاهدة
أي ابنتي اعلمي بانني لم أتزوج الى الآن حذرا من ان أقع في أحد الخائنين منهم ولكن لما
بلغت سن التفقه وتأملت في كتابه العزيز وجدت البنين أعلى نعمة وأشهى منة
وصرت كلما أرى الصبايا من الامهات يرضعن تلك الاقمار وهم يترقصون أمامهن
كنجيمات الاسحار تشتعل بالصدر حسرة وبالقلب جمرة وقد فات وقت قابليتي للولد
وعاقني عن حلاوة ذلك الامل هذا الصدد فتجردت مما امتلكته ليأسي من البنين
والبنات حيثما أدركت زينة الحياة ووهبت ذلك المتاع لمن تمتع به من الاهل والاقارب
وصرت أجوب القفار مكاثرين بالذكر في كل جانب فاخشى ان تقرن دعوتي بالاجابة ثم
تعين ما وعيته فتسخطين علي وعلى ساعتي التي فيها دعيت فالصواب ان استرحم من خلق
الظل والحرور ان يحوم من قلبك هذا النفور ثم ناولتها الصبية مائة دينار وقالت
تصدقي بها ولا تنسيني من الزيارة وقد تشوقت الى وجدان الولد فقالت لم تقل الزاهدة
ما قالته الا عن بصيرة ولكن رماني النفور بيد قصيرة فقام بهرام من وقته وصار يجد
في البحث على روضة مشكورة وبقعة عن أعين الناس مستورة حتى وجد قطعة
أرض بين الجبل والبحر وأحضر العمال وبنى بها بيتا يحتوي على سبع مقاصير ثم أسرع
في البناء حتى انتهى في أقرب وقت فلما انصرفت العمال أتى بذلك الصندوق وصار
ينقش على حيطان كل مقصورة ما اصطفاه من الرسوم والصور ويكتب تحته معناه خطا
حتى أتى الى المقصورة السابعة فنقش في أول حائط صورة ابن التاجر والصبية نائمة على
صدره وعلى الحائط الثاني مشركا من عباد الاوثان وهو يخاطب ابن التاجر بتهديد عظيم
وأعاد رسم المشرك في الحائط الثالث والفتى يتذلل بين يديه ويمرغ خده في الثرى وكأنه
لا يقبل منه قولا وعلى الحائط الرابع ذلك المشرك يسحب الفتى بعنف وهو لابس تلك
الملابس ومتزين بذلك الحلي في زي النساء وكان الفتى خالي العذار والصبية نائمة تحت
الشجرة التي هي ابنت عمه وهو قد لبس ملابسها وحليها وكتب تحت الصور ان هذه
الصبية خدمت هذا الفتى عاما واحدا وهذا المشرك يريد ان يأخذها ليذبحها قربانا لصنم
جديد أبدعه ملكهم وقد ظهر له والصبية نائمة وقال اني أجوب القفار مدة على صبية مثل
هذه لاذبحها قربانا فلم يتهيأ لي أحسن من هذه في الجمال فخل عنها وان لم تخل عنها قتلتك

وأخذتها بعد موتك لا محالة فتفكر الفتى وقال فى نفسه اما موتى فسهل واما موتها
فأصعب موت لانها ترى الاهانة حتى تصل الى بقعة الذبح ثم تذبح فالاحسن انى أفديها
بنفسى وهى تنجو وتتسلى عنى بمن يتزوجها غيرى ثم قال للشرك حيث لم يمكن التخلص
فانتظر حتى أوقظها وأرسلها لك فخذها وافعل كما تريد وأتى هو ولبس لباسها وحليها وسلم
نفسه اليه ولم يعلمها بشئ فانظروا أيها السامعون فى حدود هذه الصداقة حيث كافأ
خدمة عام واحد بعمره العزيز فليت شعرى ما الذى تخيلته فيه بعد انتباهها اعلمت ما حل
به فرضيت ورحمت أم خالته خائنا فسبت ولعنت ثم قفل البيت وأرخى على عينيه
عصابة وأقبل على الملك ودخل عليه وقال له أريد الخلوة بك فقام الملك الى الخلوة مع بهرام
وقال اعلم سيدى انى مريد لاحد الاقطاب وقد عسر عليه عدم خلفك وانتقال ملكك الى
خصمك بنفور ابنتك عن الزواج فالتجئ بالاقطاب واحدث بيتا بين البحر والجبل فرها
بالسير اليه والمكث فيه سبعة أيام ثم تعود الى السراية واجعل قصدك نزهتها ثم قابلها
واسأل عن كيفية مزاجها فلعلك تسمع منها ما تريد وتحب وناوله المفتاح وقال تردد على
البيت بعد خروجها فلعلك ترى شيئا فيه وزخرف البيت بالفراش لانه خال عنه فكاد الملك
ان يطير فرحا بهذه البشارة وساق كل ما يحتاج اليه البيت من الاثاث وشحنه بجيد الطعام
فى أقرب وقت ثم دخل على ابنته بشوشا وقال قرة عينى رأيت بيتا بين البحر والجبل وهو
طلق الهواء خالص النسيم فاحببت ان تمكثى فيه مدة أسبوع لتتلقى تلك الاهوية الشافية
ففرحت وقامت بمن تريد من الجوارى وقدمت على ذلك البيت وصارت كل يوم تمكث فى
مقصورة وتتأمل فى تلك العبر وتتلو معانيها حتى انتهت الى المقصورة السابعة التى هى
عين المقصود ورأت ما فيها وتلت معانيها فغاب عقلها وانفطر قلبها وتبدل النفور بالرحمة
والشغف فتذكرت ما قالته الزاهدة فى حق البنين فحنت جوارحها الى شوق الولد
وصارت تدق الكف على فرصة وتقول من لى ببنت التاجر حتى أعرفها صحة الامر وصداقة
ذلك الفتى ومن لى بمعرفة أبى حنانتى للولد وميلى الى الرجال فلما عادت فى الغدوة صباحا
دخل عليها والدها وقال ما رأيت عزيزتى من خاصية ذلك البيت المبرور قالت كل حظ
وسرور وقد آليت على نفسى ان لا أخالفك فى كل ما تعلق به رضاك قال انك لم تخالفينى
أبدا الا فى بحث الزواج قالت وهو أيضا قد سلمتك الامر فيه فسر الملك وقبل عينيها ونزل
وبشر وزراءه برضاها وأرباب دولته فهللوا للفرح وهو ابتزين المدينة فقال نعم انما
أنتظر قدوم الشيخ فاذا من الله على بلقائه تم سرورى فافعلوا كما بدا لكم وابقوا الزخرف
لمقابلة الشيخ وصار الملك ينتظره كمواسم الاعياد * واما بهرام فانه مكث فى منزله ذلك
الاسبوع للاستراحة واقترض دراهم واشترى ملابس تليق بالمشيخة فلما كان اليوم
التاسع اغتسل ولبس ثم خرج يستنشق الاخبار فوجد البشر يلوح على الناس وكل
يتكلمون فى سرور الملك برضاء ابنته بالزواج فرجع وأخبر الشقيقة والزوجة ببشارته

وحسن سمته وصمم على المسير غدوة لان الوقت عشى فقالت النحوسة عجل وسرفا يصبح
الصباح الا وأنت بجانب الملك مبتهجا فقام ومشى وكان المحل بعيدا عن البلد فخرجت
عليه قطاع الطريق نصف الليل وجردوه من الثياب وضربوه بالاسلحة حتى بطلت حركته
وظنوا انه مات فتركوه طريحا على الارض فلما سمع ممدوح استوى قاعدا وقال بشرنى بموته
وراحته من هذا العيش النكد قال عقيل كيف يكون ذلك البشر بالموت بعد بلوغ المنى
معاذ الله أن يموت المدحور فى كهف ادباره لاسيما انه من الصابرين فلا بد من رجعة السعد
وعود الاقبال فاذا خرج من الظلمات الى النور واستراح فى الظل بعد الحرور فقد
طاب الموت فانا لله وانا اليه راجعون * قال ممدوح كيف العمل ان طال العمر وترادفت
الشدائد الثقال قال عقيل يدفعها الصبر والتطوع والامتثال فان انجلت السريرة
بصدق الايمان رأت كل ما لاقت من شدة ولدة نفس من البهتان وتقلدت بلا مئ
الاجر فى التطوع والصبر عزيزى الانسان لا يخرج عن ثلاثة اسماء الاول اسم مولود
والثانى اسمه المسمى به والثالث جنازة ولا اسم بعده فاذا استرشد الانسان وعلم باسميه
الماضى والحالى صار فى انتظار الثالث وهو واقع به لا محالة تحقق ان كل ما كان فيه هو وكل
ذى روح مقرون بالزوال عند وقوع الثالث فيحقق التأمل للمدرك بان العمر لمحة بروق
وما العيش الا عيش تلك الدار حيث لا نهاية لعيشها الابدى ولا فناء لنسيمها الازلى
وليتفقه الانسان فى نفسه اذا هر عليه سرور وأعقبه غم أيمكث ذلك السرور مع الغم
أو يمحوه فاذا علم محو ذلك بذلك وعكسه فى اللمحة التى هو فيها يصدق فى الحال بان كل
ما كان زائل فلا يضاعف الغم بالندامة واليأس ولا يغتر بالفرح فالاريب طبيب نفسه
ومالك حسه فانشرح صدر ممدوح وصمم على الصبر والرضا وقال لعقيل قد بردت بتحملك
حشاشتى وهان على بقولك ضيم شقاوتى وتمسكت بالصبر فى كل أمر فتبسم عقيل وقال
حتى أرى وأتحقق وان كان قول السيد عند العبد مصدقا فاتم الحديث حتى سمعا ضجة
فنظر عقيل فى وجه ممدوح فقال ممدوح هيا بنا اليها فلعلك تقف على ما يثبت قولى لديك
فقاما ودخلا المدينة وجلسا عند أحد التجار فاذا ركبان قادمون برايات البشر وبأيديهم
رقاع يفرقونها على التجار فناول أحدهم رقعة الى التاجر الذى جلس عقيل ومولاه عنده
وكان التاجر أميا فأعطى الرقعة لممدوح فاذا هو اعلان ومضمونه نبشركم يا رعايا بابان
القصور الاربعة قد تم بناؤها على أحسن حال وانها تحتاج الى الزخرف والزينة فكل من
كان عنده متاع نادر الوجود يليق بمنازل الملوك فليحضر به والذى لم يكن عنده شئ من
ذلك فليحضر وليمة حسن الختام وقد رتبناها للذوات الشاهانية قصرين وللرجال
السلطانية قصرين فجعلوا بالحضور لتنالوا الفوز بالحبور فكاد عقيل أن يمزق الرقعة
ويدرسها من شدة أسفه على مولاه وصار يتأمل فى وجهه فتلا ممدوح الرقعة ولم تتغير فيه
حالة بل أبدى البشاشة قائلا بارك الله فيهما لاصحابهما وجعل التمتع نصيبا لاربابهما

فتبدل

فتبدل كرب عقيل بالانبساط ثم أخذ ممدوح بيد عقيل وصارا الى مخدعهما فلما غابا عن
الناس انكب عقيل على أقدامه قائلا أحييت عبدك بما أبديته من الصفا بعد ان كان
قلبه قد شفا فتبسم الفتى وقال أما مهذبي فمن نصحك وأما تأديبي فمن حسن خلقك
وحقي أنا ان أوالي هذه القبل لانى ان لم أكن لحقوقك شاكرا أكن معاذ الله بنعمة
الرب كافرا فضمه عقيل وقال عزيزي وحقك لو أمكنني لجعلت من قلبي غذاءك
وروحي من كل سوء فداءك فصار كلما ينزلا المدينة يجدا الهمة في اجتماع البضائع الثمينة
الغريبة وتأتي بها أصحابها وتعرضها على ممدوح لما رأوا فيه من الحذاقة والمعرفة وهو
يفرزها ويقول هذه تليق بقصور الملوك وهذه لقصور الانجال الكرام فيخفق قلب عقيل
خوفا عليه من تأثير الحرص على متاعه وانحراف صحته من المكايد وصار يقول في
نفسه الى متى أرضى بمكايد هذا المصون وان تجلد بالصبر ولازم الامتثال بالجبر فلا
يسعني الا البعد عن هذه الاقطار ولكن جنس النقود مفقود فكان عقيل متفكرا في
أمره حتى حان الغروب وصار الفتى في منزلهما وتأخر عقيل لجلب الطعام فجاس ممدوح
في المخدع ينتظره وكان بجواره خربة فسمع فيها أنينا فقام واتبع الانين فاذا به فتى مطعون
بالاسلحة وهو على آخر رمق فأسرع ممدوح بالماء وسقاه وغسل وجهه فاستروح الغلام
وسأله عن خبره فقال أنا ولد سيد قبيلة العربان وكنت مارا بالليل فلاقتني أخصام أبي
فجردوني وضربوني بالسلاح حتى انقطع نفسي فظنوني مت فأتوا بي ورموني في هذه
الخربة فاذا أردت اتمام صنع جميلك فاذهب الى أبي وبشره بحياتي وهو بالوادي الغربي
وبينك وبينه يوم وليلة وان شاء الله سيكافئك بمعروفك ويأخذني فرجع ممدوح الى مأواه
فوجد عقيلا قد حضر وهو في انتظاره فقص عليه خبر الغلام فقام معه عقيل الى الخربة
وحمل الغلام وأتى به الى البيت وتركه مع ممدوح وذهب هو لوالده وقص عليه خبره فشكر
فضله وقدم اليه بعيرا يحمل زادا وأتحفه بمائة دينار وقدم معه بعشرة رجال من قبيلته
وأخذ ولده فسر عقيل بالدنانير والزاد والبعير سرورا جزيلا وقال سيدي قد حفنا لطف
المعبود وستنال بعونه كل أمل ومقصود قد اشتقت منذ أيام الى ان أنقلك من هذه
الاقطار وما كنت أجد الى ذلك سبيلا لخلو كفي من كل ما نحتاج اليه من أدوات السفر
قال ممدوح أحمد الله الذي ألهمك هذا الخاطر لاني مشوش الفكر وأخشى أن يزاد على
القهر لما أرى فتري مني علامة انقباض فتتغير بعد ان طاب خاطرك بجلادتي على ما لقيت
وانشرح صدرك بجسارتي ورضائي في كل ما رأيت قال عقيل نقصد الساحل في غد وأي
سفينة نزلنا بها نتوجه الى أي بندر كان فلما أصبحا حملا بعيرهما وقصدا البحر فاذا بسفينة
عازمة على الشين فسلما رئيسها أجرتهما ونزلا ببعيرهما حتى وصلا الى الشين ودخلا مع
الاصحاب وقطنا بين أغراب وأحباب فلما طاب المقر وانمحى عناء السفر قال ممدوح قد
راق لنا الحال واستقر خاطرنا وقد تركنا بهرام طريحا بالبرية فليت شعري ما تم له قال عقيل

نهم أعرض على المسامع المنيفة انه مازال طريحا جريحا حتى لاح عليه الفجر وحفه الصبا بنسيمه فانتعشت روحه وانتظم نفسه فاستند الى حجر وصار يسأل المارين عليه فى شئ يستتر به فحن على ذله أحدهم وألبسه ثوبا ورأف به آخر وأركبه حتى أوصله الى منزله فدخل ورقد أياما والحرم يبكى عليه وهو ملقى لا حراك به فلما حان وقت وفود التجار قام قيم الخان بغسله وبسط فراشه حتى هيأه كما يجب وقدمت التجار من كل حدب وكانت نحوسة تتلظى بحب فرهاد فاذا به أقبل مع تجار مصر وكان أعظم قادم فلما سمعت به طارت فرحا ودخلت على أخيها وقالت قد شرف أرضنا مولانا فرهاد قال بهرام الحمد لله يحضر صلاة جنازتى أحد من أهل وطنى ثم يوصلكم الى بلدكم وصار يبكى فقالت ما يبكيك قال لو نالت جائزتى ولم أبلى بهذه المصيبة لجعلت لقدومه وليمة فى هذه الليلة قالت ليس هو محتاجا لوليمتك وصممت ان تدس الخبر اليه لينال هو الجائزة فلما كان الصباح تهيأت وقدمت عليه وانتظرت حتى خرج من حرمه وقبلت يديه قال من أنت قالت محسوبتك نحوسه أتيت لاعرض عليك نكبول أخى وخذ لانه لقلة ادراكه وعقله وتدرك أنت المسئلة لتحظى بما أنت أهل له من النهم وقصت عليه الخبر ثم قالت الرأى رأيك السديد انما أريد ان تتهيأ بملابس الاقطاب وتذهب الى البيت فلا يشك الملك بانك هو فيساق اليك الخبر كله فتحرك طمع فرهاد وتمكن حبها منه وقال نعم قولك لو كان أهلا للخير لاخذتها وسلمتها اليه وقلت هذه جائزتك انما هو مشؤم الحركة ومنزوع البركة ألم ترى كيفية همتى واكتسابى فان رأيى وعزمى يسوقانى لكل نجاح وادراكى ورشادى يوالينى لكل فلاح قالت نعم سيدى أعرف ذلك وأنا وحق ابهتك كرهت عيشى معه فان طاب وقته بنفوسك وهبت نفسى لك وصرت بينكما والا تبرأت عنه ولازمت خدمتك بالكلية قال فرهاد وأنا رضيت بهذا الرأى فمكث فرهاد أسبوعا حتى ارتاح من سفره ثم أمر غلامه أن يذهب ويشترى له كسوة المشيخة فجاءها الغلام وتهيأ بها فرأته السعادة فقالت الى أين وما هذه الملابس والهيئة أعامت حولك النحوسة وامتثلت لامرها فكيف تخرج بهذه الهيئة امام خدمك وترضى انحطاط شرفك وتقبل خذلان همتك ألم تخش عاقبة أمرك اذا فشا عنك هذا وأنت غريب فيتجنبك كل أريب وقريب لان من غير هيئته أضعف هيبته وقد قال زعماء الصواب لم تتغير الهيئة الا بارتكاب أخى ما الذى لقيه بهرام الصادق الصديق الخير الشفيق من صحبتها النحوسه وعاشاتها المكوسه ألم تر كيف أبطلت عوامل صداقته وبراعته وحيلته فعلام تكفر أنعم عيشك الرغد وتعاهد تلك المشؤمة بالعجبة وتعود ألم تعلم انى لم أجتمع معها فى منزل قط واذا فارقتك تندم على ما فرطت فاغتاظ فرهاد وقال على م أندم وأنى لى الندامه وبكف همتى عنان الربح والسلامه فلست ممن يصغى لقول العاهرات ويكترث بحديث الفاجرات فاذا امتثلت كنت لك ولها والا كونى لمن

تشائين وأنا لها فضحكت السعادة وقالت والله ما الطرد والاقعاد بيدك بل الامر لصاحبه وقد عن لي ان الادبار سيلتفت اليك وستدمع علامته بين عينيك ❊ وقد قالت التيمورية في أمثالها ❊

ان تم أمر تمافراقب يافتى * نقصانه عما قليل وانتظر

أعني ان الفلك برج يدور فلا حزن يدوم ولا سرور فان قدمت عليك النحوسة فعليك مني السلام وقد فارقتك وانقطع الكلام ثم قامت الى حجرتها ولم يكترث فرهاد بقولها بل قام بتلك الهيئة وقصد ذلك البيت كما عرفته نحوسة فوجده مغلوقا فجلس على مصطبته وكان الملك يرسل كل يوم من يبحث على وجود الشيخ فجاء أحد الغلمان فرآه جالسا فكر راجعا وأخبر الملك فقام بنفسه وقدم عليه هو ووكلاؤه ووزراؤه وقبله بين عينيه وأخذه الى القلعة وقال سأشكر فضلك ماهب الصبا واستخيرك فيمن ترضاه للمصاهرة فضحك الشيخ وقال حتى أفاوض رجال الغيب فتناوله صمرة فيها ثلاثة آلاف دينار وخاتما من الجوهر مقود بطرفها وقال لك مثلها كل عام وهذا مفتاح البيت * وكان فرهاد يجهل بالقيام حذرا من التأمل في وجهه فقال الملك متى تزورنا قال بعد أيام قال وأين مكنك قال بين الجبال والكثبان ثم أخذ الدنانير وخرج يقول أكان هذا الخاتم والصرة يليقان بذلك المعكوس فلا يساق الخير الا لاهله وخرج من عنده مسرورا بما لقيه فاجتاز من طريق البحر وعدل عن الطريق خوفا من ان يراه أحد ويتبعه وكانت مسافته طويلة فجلس يستريح بالساحل فعن له أن يغسل وجهه فتقدم وتناول المياه من البحر فلما أطأ وقعت الصرة والخاتم مربوط بها فغاب عقله وطار قلبه وبهت ساعات لما لحقه من الغم والاسف ثم يئس وقام الى منزله خائبا فقسر بل بالفكد وتمرض حزنا من شدة طمعه لانه لم يذق قبل ذلك حسرة الخسارة فلما أفاق ونزل من الطرم أتته نحوسة وقالت لا بأس على مولانا كادت روحي ان تفديه لما سمعت باخراف مزاجه فقص عليها الخبر الذي تسبب في مرضه قالت لعنة الله على خيمة بهرام لحقت سيدي فأدته الى الاسف الشديد وجعل الله تلك الصرة فديته لروحك ومالك

وكان فرهاد من دهشته على المال نسي المفتاح في الجيب فلقيته السعادة فاخذته وقدمت به على بيت بهرام ووقفت على بابه حتى مر عليها أحد العواد فقالت سلم على بهرام واعطه هذا المفتاح وهو يعرفه فدخل العائد وأعطاه اياه قال بهرام ليت شعري ما تم للملك حتى فرط فيه فلما أخذ المفتاح صمم على النقل الى ذلك البيت واكترى دابة وأخذ الحرم وصار اليه وفتحه ودخل فاذا فيه اثاث كثير وطعام مدخر فسر سرورا عظيما وانتشق ذلك النسيم الصافي فطابت نفسه وشفيت جراحه فخرج يوما يستنشق الاخبار فرأى

الاستبشار فى الناس وسمع بالثناء على الشيخ حيث رضيت ابنت الملك بالزواج بكرامته فسأل
أحد المسارين فقص عليه المسئلة تفصيلا فاستغرب وصار يقول ترى من صادف ذلك
السفر الحاضر من السعداء ورجع وأخبر الزوجة فسمعت نحوسة فقالت كفاك هذا
البيت بما فيه جائزة ولا تسأل عن الخبر بما يوجد ذلك السعيد فيأخذ منك البيت أيضا ولم
يمكنك اثبات نفسك وكان مرادها التحذير عن التفتيش لئلا يتضح كذب فرهاد فيفتضح
وتؤخذ منه الجوائز فقال أبيع البيت وأرحل الى بلادى قالت حيلة لم يكن لنا بيت
فى بلادنا وقد ملكت صحتك فيه قال أأنس صاحبى وأزواجى جياعا وأتنزه أنا فسمعت
نحوسة فحزنت على فراق فرهاد فسارت اليه وأخبرته وقد ظهر قلبه حبها فقال حيث
ملكت صحته أخشى وجوده فى هذا البلد ولا أريد بعادك عنى فانا أحضر صاحبه وحرمه
لتكونى بينهما وكيف يكون خروجه هو قالت عليك حضورهما وعلى ان أخرجه أنا
واتفقا على ذلك وصار فرهاد يتأسف على امتلاكه هذا البيت ويقول كان مفتاحه معى
وخلته وقع مع الصرة فمن ذا الذى أداه اليه ولكنى أحضر له الصاحب والحرم حتى أبيع
وأتبضع وتكونى معى ثم أرسل فرهاد الى مصر لاحد التجار فجهزهم وأرسلهم فجاءت
نحوسه وقالت كم أسعى لكم بخير وأجازى منكم بسوء أخبرت سيدى فرهاد فأمر باحضار
الحرم والصاحب على طرفه نظر الوجود صحتك فشكر فضله فدخل فرهاد حرمه
وحكر خيانة وصار يتأسف وتتأسف هى معه وتقول من أطال المفتاح لهذا التعيس
فسمعت سعاده فقالت اما تكتفى بالدنانير والخاتم أنا وجدته وأرسلته له لعدم لزومه عندك
فاغتاظ فرهاد وقال حق لى النفور عنك قالت لا أسف لى على نفورك حيث انى سعاده
والاسف لك حيث ان النحوسة مالت اليك قال وما العائد على من نفورك أأهب لك
أموالى ومتاعى الذى استربحته بكرامة عقلى ورشادى فضحكت وقالت طالما سلب
الغرور والكفران أنعم مثلك وستعلم قوة رشادك وثبات عزمك اذا زالت عنك النعم
وغشيك كرب النقم فلم تمر مدة يسيرة حتى حضر الزوجان والصاحب وأما البلاغة
فقد توفيت فدخل عليه الصبر وعانقه ثم جلسا فقال انى أجد نفحة عرف السعادة بوجود
هذا المنزل ووجد ان كل ما نحتاج اليه فقص عليه المسئلة قال قرب وحق صداقتك اقبال
وقتك فلو واجهتها لقلت انحى ادبارك وماذلك عليه بعزيز فلما دخل بهرام محل نومه
جاءت نحوسه الى شطارة وقالت قد جرب زوجاته فى كل أسفاره ولم يعتن بك فلو أخذك وسار
للحق ابن الملك واعلمه برضاء ابنة الملك معشوقته وأخذ من الجائزة مالا حساب له فدخلت
عليه الشطارة وقالت لو كنت محسوبة من الزوجات لجربتنى ماذا عليك لو لحقت ابن
الملك وأعلمته برضاء محبوبته وتكون لك جائزة نيلة قال نعم ما أشرتى وصمم على ذلك فلما
كان الصبح أخذها وتوجه الى الجزائر وترك الحرم والصاحب فى بيته وسارا حتى
دخل الجزائر فسأل بهرام عن ابن الملك فقيل له قد زاد مرضه فأغلظ على أبيه وخرج الى

البحر وسافر الى الشين فعلم بهرام انه قد أحصى مدة وعده اياه فلما حانت لم يمكنه المكث وسافر ليلقاه فكر بهرام راجعا الى الصين ومدة السفر شهران فدخل المدينة وأرسل الزوجة الى المنزل وقصد هو ذلك المغار بعشمه انه في انتظاره فرجع بالفضاء مشاعيل كثيرة وطبولا تضرب ووجد اثنين متعانقين فأسرع المشي حتى تقدم اليهما وأمعن النظر فاذا هو ابن ملك الجزائر مع صاحبه فرهاد فهوى الى الارض قاعدا فقرب رجل فسأله فقال هذا ابن ملك الجزائر صهر ملكنا وهذا شيخنا الاجل الذي تسبب في رضاء ابنة ملكنا وانتخب له هذا الصهر فزوجها اياه فاسودت الدنيا في وجه بهرام وكان السبب في ذلك ان الملك لما بالغ مناه في رضا ابنته بالزواج آلى على نفسه انه لا يزوجها الا بدلالة الشيخ فلما انقطع الشيخ وطال الانتظار قلق الملك ووزراؤه وكان السيخ قال له لما سأله عن مراكزه انه يأوي الى الجبال والقفار فصار يبعد في البحث عليه وجعل لكل من دله عليه ألف دينار فطاف ينادي في المدينة بذلك فسمع فرهاد فظن ان بهرام قدم على الملك بابن ملك الجزائر وأخبره بحقيقة الحال والبحث عليه للمعاقبة وأخذ الجائزة فدخل على السعادة يبكي وقال أغيثيني من هذه الفضيحة فقالت وتعرف قدري قال نعم قالت اتسم بسمة الزهاد وأنا أسوقك لدرك كل مراد فتزيا وخرج وهي تسوقه حتى انتهيا الى الغار المعهود فقالت اختفي هنا وصارت هي تتريض فدخل فرهاد فاذا هو بابن الملك وهو ينتظر شيخه بهرام على حسب الوعد فلما رآه الفتى وقع على أقدامه وقال أغثني بهمتك وبشرني بما تم من كرامتك فأدرك فرهاد المسئلة فبادر بقوله يا لها من بشارة أيها الصنو العزيز قد رغبت في الزواج وأتيت لاخذك لعقد الاملاك وقال في نفسه أقدم به على الملك ويتم سروري لان ذلك المكوس لم يصل اليه فطابت نفس الفتى وامتلأ قلبه سرورا وهمة فأخذه فرهاد ونزل به الى الصندل واغتسل وتعطر وقدم به على أبي العروس فلما دخل به عليه قام الملك على قدميه وقال استاذي أنا أبحث عليك منذ أيام لتدلني على صهر موافق فضحك فرهاد وقال قد جئتك به وهو هذا العزيز ابن ملك الجزائر وانما أتى متنكرا حذرا من عدم الرضا فاذا وقع التراضي أتى بكل ما لزم من مملكته فعانقه الملك وقبل بين عينيه وقال وحق فضل كرامة شيخنا الا كافه بادنى شيء بل أقوم أنا بالنيابة عنه وأمر برفع رايات الافراح وزفاف العروس اليه ومكث أسبوعا لا يخرج من الحرم وقد رتب الملك موكبا عظيما لصهره فلما خرج لتقبيل يد والدها أمر الملك بحضور الموكب وركب الشيخ والعروس وطافا بموكبهما فلما أداهم الطواف الى ساحة المغار تذكر ابن الملك أيام مكثه فيه وملاقاة شيخه به فترجل للاستراحة فصار ابن الملك يعانق فرهاد ويقول بارك لي فيك ربي حيث كنت سببا لانقاذي فصادف دخول بهرام في تلك البرهة فرأى ابن الملك والشيخ متعانقين فسأل أحد الناس فأخبره كما تقدم فصعد على التل وصار يحثو التراب على رأسه ويقول واخيبتاه وكانت نحوسة تعزبه في حاله والشطارة

تبكى على خيبتها معه فقال للنحوسة قد دهتنى صحبتك فدعينى واذهبى عنى والشطارة أيضا فلا حاجة بهما معى وجودك منى وخليانى ألقى وعدى وأبث حزنى الى عالم السمر والخفيات والبيت امامكما وأنا أقدم عليكما بعد فراغى من شغلى الذى أنا فيه فسارت نحوسة وشطارة فقالت شطارة لنحوسة قد أبطلت عملنا وخيبت أملنا وضجرنا من صحبتك ولم ندر كيف الخلاص منك فاغتاظت وكانت تترقب وسيلة لتخلصها من بهرام وطوقها بفرهاد فقالت سبحان الله أسعى لكم بكل خير وأنا عندكم مذمومة ولم أدر ما الذى جبرنى على صحبتكم وحق حبى لم أعلمه وانى لا أذهب معك ولا أدخل بيت بهرام مهما عشت أيد الآباد وسأذهب الى من يرغب الفتى ويدرى بقيمتى وانفصلت منها وتوجهت نحو فرهاد وكان بكشك البستان مع ابن الملك وبعض من الحكماء فدخلت النحوسة عليهم ونادت على فرهاد وأعلمته بالقصة فقال هذا الذى كنت أتمناه وعقد عقدها عليه فى الحال وبعثها الى بيته وكان قد ترك السعادة فى الفضاء ولم يسأل عنها فلما جاء الليل صارا الى ذلك الفضاء وقال لها اسمعى ما أقول قد ذهبت الزوجة الجديدة الى منزل زوجها فما قولك قالت تفضل قد كنت لك بأمر من أدار الفلك فما قصدت طريقا الا وكنت ممن فيه سلك وقد تم أمرك وأقعدك الدهر عن الامل وأحبط منك العمل ورقص امامك الغرور فأنت فى طغيانك معذور وقد قالت التميورية فى أمثالها

مادام دهرى بالسعود يؤمنى * فكمال سعدى بالسيادة قد ثبت
وأنا وراه ومقلتاه امامه * بالوعى ان ضل يوما والتفت

فاذهب فلست لك بعد ذا فان طاب لك الوقت يا حبذا فصار فرهاد نحو العروس وفاده الغرور والخؤون ولسان حاله يقول وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وأما بهرام فصار يبكى غدوة ومساء حتى نفد نفسه فقدمت عليه الصداقة وقالت سيدى لك البقاء قد توفت حيلة فى غيبتك وتشاجرت شطارة ونحوسة وقد أقسمت أن لا تدخل بيتنا والشطارة تريد طلاقها منك قال وقد فعلت ولم يبق لى من الزوجات خلافك قالت وأنا لا أفارقك الى الممات قال جزاك الله خيرا فتوجهى وأنا لاحق بك فصارت الى البيت وتأمل بهرام فى حالته وقال ما الداعى الى هذا العيش النكد فالله يعلم بضيمى وقهرى ويشهد بيأسى وعذرى وقام مسرعا الى البحر وقال اللهم انى أسألك برفعة جاه نبيك المخصوص بالسيادة أن تغفر لى وتجعل آخر كلامى الشهادة وقذف نفسه فيه فعلته المياه حتى غاب عن وجوده ومكث ما مكث لا يدرى ولا يعقل ثم أفاق فاذا هو فى سفينة عظيمة وحوله ناس كثير ورأسه على فخذ طبيب وهو يقطر له مقطر العنبر فقطن فخاطب نفسه وقال انى لك يا بهرام بهذا العز والانعام فرام أن يستقيم على قدمه فاذا أعضاؤه قد يبست من الغرق فمازال الطبيب يلين عروقه بالادهنة حتى لانت وانفك تشنج أياديه فوقع من كفه قص أزرق كان كبشه مع الرمال فلما رآه الطبيب صاح قائلا وجدنا منيتنا

بخزائك الله خيرا وهاج من بالسفينة وخرجوا مع الطبيب الى الساحل وقالوا لبهرام دونك ومافيها من اللباس والطعام حتى نرجع وصاروا حيث شاؤا فصار وحده فتساند وقام يمشي فأحس بثقل شئ فى صدره فادخل يده وجسه فاذا هى الصرة التى وقعت من فرهاد قد قذفتها المياه داخل ملابسه فجلس يتامل فى وجود الصرة ويتفكر فى خروج أهل السفينة والليل سادل أستاره فاذا بنور يلوح وعطر يفوح وقد بانت له عذراء مائسة القد عنبرية الند وهى تخاطبه بقولها عزيزى لا راعك الله بدهشه ولا أفزعك بوحشه فالسلام عليك منى مالاح القمر وأبهج بنور البشر فقام بهرام على قدميه وحياها بأعظم تحيه وقال مولاتى أدام الله ظليل سناك لكل حبيب وأجرى رخاء شفقتك على كل غريب ان وافق الارادة أن تنعمى على العبد بمن هى السيدة والى من تنسب الجيدة فتبسمت وقالت كنت شقيقة لفرهاد واسمى السعادة فلما قدمت نحو ستك عليه فارقته وأقبلت عليك حيث انى لم أطأ أرضا اغبرت بظلامها ولم أدخل روضا أظلم بوجودها وقد جئت لصحبتك بأمر من جلى من الشقاوة لوح ناصيتك قال مولاتى وأنا عبد رق لك مادمت حيا انتشق من طيب محبتك أرجاء ريا قالت بارك الله لك فى اقبالى عليك وقرب كل ربح اليك ثم دخلت مقعد السفينة المعد للعرم فتبصر بهرام فى حالته وقال كيف أتقرب من أنس سيدتى وأنا بملابس رثة وقد أجازتنى خدام السفينة بالتمتع بما فيها فقام ودخل أحد القمرات فوجد بها الصناديق ففتح صندوقا منها وأخذ خلعة عظيمة ثم اغتسل ولبسها وغسل ملابسه ونشرها وقال اذا طابوني بكسوتهم لبست ثيابى وأعطيتهم متاعهم ومكث يستظل بأنوار السعادة ثلاثة أيام وكل ماهم بالتوجه الى بيته أمرته السعادة بالانتظار فلما كان اليوم الرابع أقبلت خدام السفينة عليه وبينهم رجل افرنكى فنزلوا فيها وصار الافرنكى يقبل يديه ويقول بأى مكافأة أقابل حسن صنيعك قد تعلم ياسيدى انى ملك الافرنك ومنذ بليت بكف البصر وأرشدتنى الحكماء أن لا شفاء لعينى بدون هذا الغص وأنا أحرر لكل أرض اعلانا للبحث عليه والاطباء يقولون انه يوجد بقعة من هذا البحر ولى عام فى هذه المدينة متنكرا انتظر اغاثتى به فلما من على الله بوجودك وأخبرنى الطبيب بانك أشرفت على الهلاك حتى تحصلت عليه علمت بالقريحة انك رأيت الاعلان واهتممت فى البحث عليه حتى وجدته وقصدت به سفينتى ومازلت قابضا عليه حتى أفقت وسلمته الى الطبيب ولم تبدله شيأ لانعقاد اسانك ولعلمك انه يدرى كيفية الاكتحال به فأرجوك أن تقبل منى هذه السفينة بما فيها وهاك ألفى دينار ولك كل سنة مثلها وانى أستودعك الله ثم قبل بين عينيه وصار الى بلاده فقام بهرام وتوضأ وأدى سجدات الشكر وأمر الجماعة بانتظاره وتوجه الى منزله فوجد الصاحب فى انتظاره فأخبره بما نال بروحانية وجود السعادة فتهلل وجهه بالسرور وقال الحمد لله الذى أبدل عنائك بالهنا وشدتك بالرخا فاسع الآن

كما تشتهي فان سعيك بالنيل مقرون وبالفوز مشحون قال أخي قد عزمت على السفر
قال نعم قال فكن معي أنت والصداقة حيث لم يكن لي سواها قال الصبر والله لست
محتاجا الى غيرها وكان بجواره رجل فقير فاسكنه في بيته بلا مقابل وأوصاه بالاقامة حتى
يعود وخرج بالصداقة والصبر وحمل المرامي الى الهند ثم التفت عقيل الى مولاه وقال
تأمل سيدي في بدائع الالطاف حين أقبل السعد كيف نال بهرام حظه بلا تعب وكد
أكان يدري أن الغرق يعقبه السلامة أم كان يعلم ببقعة الفص وخاصيته أكان
يعرف ذلك الافرنكي أو رأى اعلانه وعليك التأمل أيضا فيما قاله الافرنكي وفي فهمه
حيث ظن انه رآى الاعلان وصار يبحث على الفص ولما وجده قصد السفينة وصار
قابضا عليه حتى سلمه الى الطبيب والحال أن القبض كان على الرمل من حال الغرق فتدبين
لنا التميزان لحظ مساعدة السعادة بيدي كل نجاح ويسوق كل فلاح وقد أحاط علمك
سيدي بسعيه السالف وكده التالف فسبحان من بلى بالادبار ادبار مركب ولزمه برجمة
الخيبة باب مجرب قال ممدوح وحق عزتك لقد نلت حظا وافرا بسعد بهرام حتى تخيل لي
اني أناهو وكدت أجد بفمي حلاوة عاقبة صبره وتصورت أن سطوة السلطنة ردت الي
وزال عني الغم والقلق بعناية رب الفلق قال ممدوح أكافك بانصوحي بنبذة من
حديث ذلك الفظ المغرور وهل رأى لما رآه بهرام شيأ من الغيظ والدحور قال عقيل
أعرض على المسامع المنيفة انه لما صار الى منزله وزعم انه نال المنا بامتلاك محبوبته واختلى
بها أشارت اليه ببيع جميع البضائع وجعلها نقودا خالصة ولما يرجع الى بلاده يترقب
عقار كل مديون وضياع كل مظلوم ومسجون فيأخذها بادنى قيمة حتى يصير من أكبر
الاغنياء وأفخر الامراء ثم ينتقل من درجة الامارة الى رتب الوزارة فيتقرب من
السلطنة ثم يجذب قلوب الجند بالانعام فيميلون اليه ويتوسلون بوجه يجوز به خلع الملك
أو موته الى أن يتولى السلطنة فسر بذلك وساعده الغرور فباع بضائعه وضم مبالغها
على نقود جوائزه فتضاعف المال فقالت نحوسة أروم أن أتفرج على بلادهم أرها
وأنا مشمولة بشرفك ونجعلها تريضا وسياحة وخرجا على ذلك الرأي وأما بهرام فما زال
على سفره حتى دخل الهند فرآها بندرا عظيما مخضرة الاشجار ملونة الاثمار عالية
القصور زاهية السرور لكنها خالية من السكن فمكث على ساحلها ينتظر مرور
أحد يأنس به فلم ير أحدا فلما أقبل الصباح أقبل صياد بصندل فنادى عليه بهرام
وناوله دينارا وقال صد لي به سمكا ففرح الصياد وصار يصيد له بكل نشاط فقال له
بهرام ما أطيب مدينتكم غير ان سكانها قليل فضحك الصياد وقال سيدي ان ملكنا ذو
سياسة ورياسة وله جواسيس شتى بالمدائن يستطرقون السمع ويعرضون عليه الامور
وقد أخبروه بان قافلة من العجم قد ساقوا شيأ من الخمر وجاؤا به على سبيل التجارة ليأخذ
منها الملك ثم حاشية دولته ثم تباع للاهالي فيقتل هو وكل من تناول منها شيأ وملكهم

يترقب الفرصة بجنوده فعند تمام المسئلة يقدم ويأخذ ملكنا بدون حرب ولا ضرب
وصمموا على دخولهم ليلة الجمعة فذهب الملك وجنوده الى البر الشرقى مسافة أيام وهم
يحفرون انفاقا ويحشونه بالبارود فى ممرات القافلة فاذا دخلت وداست الدواب على ذلك
اللغم خرجت عليهم النار وأحرقتهم ولم يكن لنا فى اتلافهم مدخل لان ملك العجم ان علم
بعلومية ملكنا بسيسته توضحت العداوة ووجب الحرب فبهذه السياسة نهلك
أخصامنا وتسلم نفوسنا وقد تم اعمال اللغم فى هذه الليلة وفى غد سترى العمار كما يجب
فقال بهرام اللهم سرنى بسلامتهم فلما كان نصف الليل سمع بهرام صوت البارود وصياح
الرجال والدواب فقال لا يحيق المكر السيئ الا باهله فلما طلع النهار رأى الناس ترجاعة
جماعة ويهنى بعضها بعضا بالسلامة فتأهب وصمم على مقابلة الملك وخرج الى الساحل
فرأى شخصا من الاعاجم وقد تحرقت ملابسه ولحيته واسود وجهه وهو يشرب من
البحر ويبكى فقال بهرام ان وجدوه قتلوه فاتا أخفيه فى السفينة فلحق به وأخذ بيده وقال
لا تخف تو ار عندى فانزله عنده وغسل وجهه بيده وتأمل فيه فاذا هو فرهاد فصاح الله
أكبر مولاى ما الذى قرنك بقافلة الاعاجم فبكى فرهاد وقال اعلم يا أخى انى رأيت وفرة
النقود فقلت أتريض بالسياحة ثم أعود الى بلدى فدخلت المدينة ليلا ولم أرض
المبيت خارج البلد فدخلت فامن اللصوص فدخلت فاذا بنار تأججت من تحت أقدام الدواب
فاسرعنا بالسير للتخلص منها فكلما سرنا زاد التأجج وارتفع اللهيب حتى احترقت القافلة
عن آخرها ولم ينج منها الا أنا والحرم ولم يبق لى وحق جبريتك ما أتقوت به ويستر عورتى
فتركت الحرم بين الصخور وجئت ألتمس القوت واللباس من أهل الخير فقال بهرام
سيدى أتيت الى محلك وملكك وأخذه ودخل القصر وغسله غسلا جيدا وأطعمه والبسه
وحكى له ما سمع من الصياد قال فرهاد اعلم يا أخى ان الاعاجم كانت قافلتهم مع قافلتى وهم
صمموا على الدخول ليلة الاحد وأحبوا الاستراحة يومين بالضواحى قال بهرام أنا أذهب
الى الملك واعلمه بالمسئلة وأعرفه بظلامتك وآخذك معى فان كان منصفا عوضك
الخسارة وان لم يصدقنى لجهله بخلقى لانى غريب فهذه الدنانير نصف لى ونصف لك
فطابت نفس فرهاد ثم صار بهرام الى الملك فقابله باحسن مقابلة وأضافه ثلاثة أيام فلما
كان اليوم الرابع قال بهرام أحب أن أسمع الملك أصدق الخبر ليحترز على مملكته ويؤجر
بالثواب فقال الملك وأنا أحب أن أسمع ذلك فقص عليه الخبر وأخبره بدخول الاعاجم
ليلة الاحد وظلامة فرهاد فتأثر الملك على فرهاد وأمر بحشو اللغم كما كان فحشوه وردوا
عليه التراب فلما كان نصف الليل خرج البارود وتأججت النار من بعيد وسمعوا ضجيج
الاعاجم ففرح بهرام فلما كان الصباح وجدوا بعضهم قد تخلص حيا ونجا من الحريق
فقبضوا عليه وقرروه فاقر بتلك المكيدة فالتفت الملك الى بهرام وقال جزاك الله يا أخى
عنى خير الان سلامتى وسلامة رعيتى جعلها الله على يديك لا سيما أجرى بتعويض

خسارة ذلك الرجل المظلوم وأهداه بأربعة آلاف دينار وقال أتنى بذلك التاجر
لاطيب خاطره بالتعويض فشكر بهرام احسانه وقدم مسرعا الى السفينة ليبشر
فرهاد فاذا به قد أخذ كل الدنانير وذهب فخرج بهرام وسأل الملاحين قالوا خرج بعد
توجهك يحمل شيأ تحت ابطه ونادى على أحد الصقادل وتوجه الى البر الشرقى ولم ندر
أين ذهب فتأسف بهرام على حرمانه من التعويض فقال كنت أنا قلت له على ذلك حذرا
عليه من الفضيحة قالت فسر ممدوح سرورا عظيما وصار يتأمل فى صداقة بهرام وصار
يستغرب أخبار فرهاد بصدق خبر الاعاجم وتوسط بهرام فى التبليغ من دون مشقة
وأخذه الجائزة وذلك لخلوص نيته وحسن سعيه لفرهاد وخيانة المذكور له قال عقيل
أيد الله مولاى ألم يقل الله فى كتابه العزيز فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى
ومن عمل صالحا فلنفسه فيجب على كل من تقلد بالسعادة ان لا يكترث بفوزها ولا يغتر
بعزها بل يجعل انقياده للتواضع وارتباطه بالخضوع ويحسن معاشاته مع الاسافل
والاخوان بصدق التودد ويراعى من استحق المراعاة بمواساته من ذويه وجيرانه مع
اتخاذه الحمد وردا وعصا التوكل فى الاثناء والاطراف مستندا حتى يتمكن من وداد ذوى
صحبته ويثبت فى أفئدتهم خلوص محبته وهو متمسك بعروة الصداقة فى القول
والعمل مصفر عن حقيقة ما جاء فى المثل اذا زار مصباح السعادة فى أركانك فاجعل
من ذلك الود الرأفة بجيرانك وخله وديمة لديهم فربما طفا الريح مصباحك
واحتجت اليهم وقد قيل أيضا

أن أقبل الاقبال فاقبل ما ترى * فحظك والهفوات عين صواب

فالصواب ان يجعل السعيد سعيه فى كل ما استحسنته العقول فى كل معقول ومنقول
ويعلم ان الثروة وليمة أحبابه كما ان الشدة محك تجارب الاصحاب فان أدى فى وليمته أو فى
الاكرام لمن زار بان له فى الشدة اكسير الود خالص العيار فاذا انعكس الطالع جنح
لمواساته وهو اعساواته وزجروا كل شامت فيه وغدروا بكل من يناويه لان
الانسان مهما تحلى بحسن الاخلاق لا يخلو عن حاقد وحاسد ولا يسلم من مراقب
وراصد قال ممدوح نعم القول لمن تقلد بالاذعان وتمنطق بالعرفان ولكن ان غلب
الجهل حل عرى هذه الحقيقة وأبدل بالسموم رخاء تلك الحديقة فأسفى على أيام
سلفت وأنا فى أكناف الجهل ككرة الاطفال لاسيما انقيادى لنفاذ أخس الرجال فبادره
عقيل حذرا عليه من حرارة الاسف وخجله فقال سبحان الله يا مولاى أكنت فى تلك
الايام فى سن فرهاد وبهرام ألم تكن حديثا معفو الفعال قال ممدوح قد عن لى وحقك ان
الذى جلى مرآة بهرام بعد يأسه قادر على أن يردنى الى ملك أبى بقدرته ويريني نكبة
هذين الخائنين بارادته فهو ذو البطش الشديد الفعال لما يريد وقد رأيت ان أؤدى
سجدة الشكر بالنيابة عن بهرام حيث طاب عيشى باطمئنانى عليه وساعدنى نسيم هذه

البلدة فزكت نفسي ووافق هواها هواي فان رأيت ان تسمح لي في الغداة ان أسيح في بلجة أسواقها وأمتع العين في غريب اثراقها ليزكو صفاء قلبي ويتجلى بسماع حديثك أثر كربي قال عقيل ان شاء الله وهو الذي يحفظك من كل ما أتوقاه فلما كانت الغداة عزما على ما صمما عليه بالامس ودخلا المدينة فاذا بها أمتعة غريبة الهيات شهية الصفات قال ممدوح لو كان لي رأس مال لتبضعت في هذه الامتعة وشغلت نفسي عن كل أفكارها وأنعشها بحلاوة المكاسب وأملي بعناية الله ويمن صحبتك الربح وحسن السلوك قال عقيل لك ذلك انما نحتاج الى مدة يسيرة حتى نستوطن بها ونتعارف باهلها فنقترض منهم نقودا ونجعلها رأس مال ثم نتداول في الاخذ والعطاء واذا كانت المعاملة بالصدق لا ترمي بالخطا وصارا يتردادان على التجار ويتعارفان بأرباب الخانات حتى تفقها في الاسعار وأحسنا التودد بكل حبيب وأخلصا الالفة لكل صاحب وغريب فكانا ذات ليلة بعض من محافل الاصحاب فاغدقت السماء بالمطر وزهى صوت الرعد وانهدر السيل كأفواه القرب ثم اشتد البرق والرعد ونزلت صاعقة فرجت الارض رجا وصارت الناس في دهش من فزع صوتها ونزلت على رأس الجبل فهشمت الاوتاد وفتتت بفزعها الاكباد وطغى السيل واتهمر وصاحت الناس الله أكبر وما زالت تموج حتى بدا الفجر الصادق فسكنت شيأ فشيأ وأخذت في القرار وتلا الناس وله ما سكن في الليل والنهار فاسرعت الناس الى منازلها واطمأنت على عيالها وأقبلوا على الملك يهنونه بسلامة نفسه وبلده فركب والقوم حوله حتى وصلوا الى بقعة الصاعقة فاذا بها قد هدمت صخرة من رأس الجبل فصادف تلك الصخرة والصخرة التي سدت باب مغارة ذخيرة عقيل ففتتتها وصارت جذاذا وانكشف المغار المعهود فلما عاين عقيل ذلك طار فرحا وأيقن بالفوز وعود السعود الى أصيل الجدود وما زال يكتم أمره عن مولاه حتى رجعت الناس واستقرت فمكث تلك الليلة ثم استأذن مولاه في المغيب عنه يوما وليلة فاذن له فصار وبحث على صندوقه فوجده كما وضعته يده فشكر وحمد وابتهل حيث كان الادبار غطى على متاعه فلما محا أوقات الحصار مكور الليل على النهار جعل المصيبة فرجا للضيق والاصابة مخرجا لذخر الملك الصديق فاحتال يوما وليلة حتى صحبه الى باب المغار واستعان في شيله ببعض الفقراء المارين للسؤال وأمدهم بما يرضيهم وكان البعير حاضرا فحملوه وصار الى الخان ودخل به على سيده في فحوة النهار فقبل الارض قائلا الحمد لله الذي من علينا وهذه بضاعتنا ردت الينا وناوله المفتاح فاخذه ممدوح وفتح الصندوق وهو لا يدري ما هو وما فيه فوجد الاكياس بختم والده العادل فاستغرب وقال كيف أقول أسرقت أم نقبت يا عقيل وهذا الختام يقول ان المال مالي وما فيه من النقود من حمام مالي فتى يا شفيق تمثلت بسليمان وعقدت اللواء على الجان حتى أتوك به من خزينة العادل بلا مطل ولا مقابل فجلس عقيل

على ركبتيه وقص الخبر عليه وقال اعلم ياسيدى انى فى يوم عزيمتى الى الشين كان مرادى أخرجه وان أتحفك بما فيه وتتنعم فى غربتك كما تشتهى وأمسكت عن افشاء سره اليك حيث كان الادبار شابا فى عزمه مكبا على عنه وشؤمه وخفت أن يكون سرق أو نقب عليه فتتضاعف لوعتك فاكون أنا السبب وأصير كالباحث على حتفه بظافه فاستأذنت منك بداعى مقابلة شيخ فلما وجدته قد سد بالصخرة التى قد فتتها الصاعقة رجعت خائبا أكابد الزفرات وقلت لك ان الشيخ قد مات وتذكرت ماقيل فى المثل

سدت بصلب الصخر ان هى أدبرت * وبدون مس ذاب ان هى أقبلت

فيالها من اشارة نطقت الى مولاى بالبشارة فهذا وحقك أول ظهور اقبالك ومراعاة صلاح حالك فقام ممدوح وعانق عقيل وقبل لحيته لما قرت عينه بمرآة الامانى وعبره عن مخبآت المعانى وقال ماقولك بانصوحى فى التجارة قال دونك والانتخاب فاى متاع رغبت فهو عين الصواب قال نقد ذخر موجود فى هذه المدينة وأشهى مقصود لمن رغب الزخرف والزينة قال عقيل عليك بشاه البندر لنجعله المستشار ونقبل منه ما استحسن واختار ثم أدخلا الصندوق الى الخزانة وأحكما عليه الاقفال وخرجا قاصدين خان ذلك المستشار حتى وصلا اليه وعرضا المسئلة عليه وقال عقيل ان مولاى غريب وقد اتخذك فى غربته خير صديق وحبيب وجعلك أصدق نصيحته خطيبا ولنجاة أمله مجيبا وهو يريد الاستبضاع باعلى بضاعة نادرة الوجود فى الموجود خفت فى الحمل وثقلت فى الثمن لم ير مثلها فى العراق ولا فى اليمن قال الشاه على العين والاحداق وسياق منى مارام بغاية الخلاق لكنى أروم الدراية برأس ماله لاتصور مايليق بذلك المقدار وأقوم باعداد ذلك من البحار قال عقيل رأس ماله بعون المعين يكاد أن يكون صعادلا لاذخر خزائن الشين فكل متاع انتخبناه باستشارتك لايخرج من عندك حتى يساق اليك ثمنه بالتمام على حسب المرام حيث ان الغريب مجهول الاخلاق فى العهد والميثاق قال الشاه معاذ الله ان تقتطف من شجرة اخلاقكم ثمرة الخطا والله لاعطينكما متاعا لم تحظ به الملوك وهو عندى منذ سنوات متروك فتفضلا الى الخان الكبير فقاموا معه حتى دخلوا ذلك الخان فتقدم الشاه الى مخزن مختوم بختام ملك الشين فازاله فاذا فيه خمسة صناديق من حديد محكمة بالوثاق الشديد فبسمل التاجر وحل وثاقها واخرج المحافظ وهى من خشب الآبنوس المحلى بالذهب والفضة ثم أسفر عن ذلك الجوهر الفريد وعقائد الدر النضيد والاقمشة العديمة النظير من كمخ ولاهور وحرير فلما رآها ممدوح أعجب بها وقال تساق الى باسرها فارنى أيها العارف دفاتر الاثمان لاسوق اليك القيمة قال الشاه اعلم ياعزيزى ان هذا المتاع فى حيازة ملكنا منذ ادخر عندى ولايجوز لى ان أقوم فيه بالتصرف وحدى لان اعداده كان لبوران ابنة ملك العجم وهى خطيبة ممدوح ابن العادل فتبا لدهر خانهم

وهدم أساس بنيانهم وكانت رسالة العادل الملك بطلبه بواسطة ندبه عقيل فالتزم الملك باتخاذه من اقصى البلاد ومهده كما ترى فلما حل ما حل بهم من الفقد لم نجد من يقوم بدفع أثمانه ولم يمكننا رده فقسط الملك قيمته عليه واداها واتخذه ذخرا وجعلني محافظا عليه فصار عندي الى الآن وكان بعون الله كأنه محفوظ لهذا السيد السعيد باهر من هو فعال لما يريد فاطرق ممدوح حتى كاد ان يغمى عليه وصار عقيل يتكئ على يديه كأنه نشط بوجود المتاع ويقول الحمد لله الذي أمدنا به على حسب رغبتنا وأملنا ان نعرض على الملك مسئلته ونأتينا بالرقاع ونسوق اليك المال ونأخذ المتاع في غد ان شاء الله وبادر الى القيام ومازال يهلله بالبشائر حتى وصلا منزلهما فقال عقيل مولاي لم تأثرت الى هذه الدرجة التي أراك بها من وجود مالك الذي يشرك وجوده بكل سعادة ألم يكن هذا توفيق الله اليك وقد أتم برده عليك حيث حفظه الى الآن في خانه وصارت قيمته في المغارة بحيث ان المتاع هو المعين والمال هو المقنن ألم يكن هذا أغرب اصف منه فتأمل في سعادتك التي أمدك الله بها ومحونحوستك التي كنت عليها قال ممدوح لم يكن تأثري كفرانا للنعمة ولا انكارا للمنة فحمدا وشكرا لله على كل حال وانما تغيري لمطلبي الذي كنت أشتهي ان أشتغل به لاجل ان أتخلى عن سوء أفكاري فكيف أبيع هذا المتاع وهو معد لعروسي وكيف يهون علي ان يتمتع غيري وغير تلك المصونة بلبسه ومسه فعدم امكان التجارة به أوقعني في دهشة الافكار حيث كان مرامي التسلي بحلاوة المكاسب وقد حبس المال فيه فضحك عقيل وقال تتزين به من هو لها ويتمتع بها من هي له ان شاء الله أيستحيل لديك هذا القول بعد ما رأيت ما رأيت من غريب الطافه أكنت تدري ان هذا المتاع مازل محفوظا لك أكنت تعلم ان هذا المال لاحق بك فاحسن سيدي خلوص توكلك واجعل بعناية لطفه توسلك فلا خاب من توكل عليه ولا خسر من سلم عنان التدبير اليه فلما كانت الغداة أخذ عقيل الصندوق وحمله على بعيره وقال لا تتعب أنت نفسك وصار به الى خان الشاه فوجد رقاع المتاع امامه فسلمه المال واستلم المتاع وعاد بالصناديق الى غرفته وصفها امام سيده ففتح ممدوح ذلك المتاع وصار يتأمل في التاج والسوار والعقد الجوهر وهو يقول أين تلك الجبهة والساعد والصدر فليت شعري من وجد هذا المتاع لها هي على قيد الحياة أم ورد عليها رسول الممات ومن المعلوم ان النفس اذا تخلصت من سجن الاحزان وانسابت من قيد الاشجان تحركت ثوريتها المعهوده وتوهجت جمرتها الموقوده فان لم يقبض كف العقل عنانها وتمسك بينان الاملاك زمامها ماحت لشوقها المفرط في فيافي الشهوات كالضرغام وأنشبت اظفار عزمها الكل مرام فالسعيد من عصاها والكامل من لجمها تخلف عن هواها وانرجع لما نحن بصدده ولما رأى ممدوح نضارة ذلك الحلي وتذكر من كانت ستتحلى به سالت مدامعه كماء الغيث على وجناته وصار

يتنفس الصعداء من زفراته فقام عقيل وأدخل المتاع فى صناديقه وبادره بقوله مولاى قد ذهلت عن حديث عبدك بهرام حين ما تخلص من ادباره وسلك مسلك اقباله فقد كانت أول همته بناء الجوامع لما دخل بلده بتلك الثروة واكترى منزلا كبيرا وصارت تزوره الاحباب والاصحاب وتخاص له الود وتهنيه بالسعد كما جاء فى المثل

أنت الحبيب اذا ما كنت ذا ذهب * فان فرغت رأيت الحب قد ذهبا

ثم ان بهرام اشترى أرضا وباشر فى بنائها منزلا كبيرا وخانا عظيما لبضاعته وبضائع الغرباء بلا مقابل وصار فى أرغد عيش الى ان مضى العام فلما أقبل العام الجديد اشتاقت نفسه الى السفر فقال الصبر عزيزى قد طاب وقت الارباح ورقت لانتعاش الروح الرياح فأجر غليونا وراود السعادة فى التبضع فاشارت عليه بالملح لانه مصلح فاستأجر باخرة وشحنها ملحا ونقل الحرم وعزموا على أقطار اليمن حتى قطعوا نصف المسافة فثارت عليهم ريح عاصفة وقطعت المراسى وساقت الباخرة الى وجهة غير المقصودة فهمت الملاحين بتجديد الاوتاد فقالت السعادة قل لهم دعوه يسير على وفق اتخاذ الريح فامرهم بذلك وقال ان كان قائدنا السعد فقد طاب لنا الوعد فلو هب السموم لكان ارق من النسيم ولو ضل العبد لعاد الى الصراط المستقيم فدعوا الرياح تسوقها كما ترى وبعون الله سيحمد السرى فساقتهم الريح أسبوعا كاملا وكانت المسافة التى قطعت بمقدار شهر على حسب شدة جريانها فلما سكنت اذا بهم على ساحل مدينة مسورة بسور من حديد وله باب عظيم لكنه قد سد بصخرة كبيرة فتأمل بهرام وقال ما أحصن هذه المدينة وما أقدر ملوكها ولا بد لها من عدة أبواب حتى استغنوا عن هذا الباب وسأمر فى غد على سورها فالباب الذى ألقاه مفتوحا ادخل منه فلما أصبح ركب جواده وسار حول السور الى المساء فلم يجد له بابا خلاف ذلك الباب فاعياه البحث أياما يسمع أصوات الدواب ومحادثة الرجال من داخل الباب فمكث أسبوعا ينتظر مرور أحد عليه حتى يسأله عن الخبر فلم ير أحدا فضجر واخرج من بالباخرة فلم يقدروا على ازالة الصخرة فحفروا تحتها الغما ووضعوا فيه بارودا وأطلقوا فيه النار فتفتتت الصخرة فوجدوا بينها وبين الباب رجالا موتى وبجانبهم المفتاح فوضعوه على القفل فانفتح الباب ودخل بهرام ومن معه فاذا باهل المدينة قد أحاطوا به والملك بينهم فلما دخل بهرام عانقه الملك وصار يشكر صنيعه ثم أخذه وسار به الى القلعة وزين المدينة وصف الموائد باشهى طعام وجلس بهرام بجانب الملك فلما وضع يده فى الطعام لم يجد فيه ملحا فقال فى نفسه قد نسى الطباخ فتقدم صحن آخر فتناول منه فاذا هو مثله فقال الملك أخى أراك لم تأكل بشهية ونحن أيضا مثلك ولكنى سأوضح لك السبب اعلم ان هذه المدينة تحتوى على سبع مدائن والخصب بها كثير والرزق فيها غزير وطالما حسدت الملوك أجدادى عليها وصاروا يتحاربون فى كل وقت ويترقبون أخذها فضجرت أجدادى من الحرب والضرب فقرر أيهم على بناء هذا السور وشرعوا فى بنائه

وصار كل ملك يوصى ولى عهده فى الهمة فى عمله حتى انتهى فى مائة سنة وكان اتمامه
فى عهد والدى فلما توفى والدى صار الملك الى وصارت المدينة فى غاية التحصين ولم تتمكن
الاخصام من الدخول الينا لمتانة هذا السور وكان أكبر غلط الملوك حيث لم يحدثوا فيه
الا بابا واحدا وهو الذى فتحته أنت وله سبع حراس وهم الذين وجدتهم موتى ورأيت
عظامهم وكانوا يقفلونه ويبيتون خارجه قياما الى الصباح وكل ليلة يتغيرون ولم يكن
لنا داع نحتاجه من الخارج خلاف الملح وكان مبيتهم فى الخارج لمناظرة سفن الملح لان
بقعة بحرنا لم تهدأ أمواجها الا ليلا فاذا مرت السفن اخرجوا ما فيها ودفعوا ثمنه وادخلوه
لنا ولم يدخل علينا أحد من الخارج حذرا من دسائس مكايد الرجال فتزلزلت الارض
ذات ليلة ووقعت تلك الصخرة من الجبل فسدت الباب ولم يمكن الرجال ازالتها لكبرها
ولم نتمكن من اغاثتهم فمكثوا مدة ثم ماتوا جوعا ولنا أعوام نأكل بدون ملح كما رأيت فمن
تمام فضلك ان تسوق الينا تجار الملح ولك خير المكافأة مع الثواب الجزيل فضحك بهرام
وقال أنا هو تاجر الملح ولم يكن فى سفينتى خلافه شئ فصاح الملك على أرباب دولته لكم
البشرى قد ساق الله لنا بغيتنا بواسطة هذا السيد الكريم قد فتح باب سجنكم وأهداكم
بملحكم فصاحوا معلنين بالحمد والشكر وقاموا معه وقدموهم الى الساحل ودخلوا الباخرة
وصاروا يضعون القطعة منه فى الماء كالسكر ويشربونها لاصلاح جوفهم فاخذ الملك
نصف ما فى الباخرة وفرق انصافه على الرعية ثم ساق الثمن الى بهرام مضاعفا وأتحفه
بحلى وأقمشة وتعاهدوا مع الملك بارسال السفينة مشحونة بالملح فى كل عام وخرج بهرام
بفوق ما أمله من الارباح وعزم على اليمن حتى دخلها وأقام بها أياما يبيع ويشترى
ويتصدق على المساكين حتى فشا ذكره وصارت تقصده الفقراء فكان ذات ليلة فى
الفضاء يتم النسيم فقصده فقير من فقراء البلدة وهو متكئ على عكاز فناوله نصيبا من
الصدقة وقال أين دارك أبعيدة أم قريبة عن دارى أريدان تتردد علينا للمسامرة فقال
ليس لى دار لانى غريب وأنا من مصر فاذا رأيت علاوتى على خدمك حتى أصل الى بلدى
بصدقتك فخفق قلب بهرام وأمعن فيه النظر فاذا هو فرهاد فقال أخى أى شئ دهاك
والى هذه الحال أدالك فانا محسوبك بهرام فصار يبكى ويقبل يديه ويقول سيدى لما
أنعمت على بالدنانير أخذت متاعك ومتاعى وقصدى ان أتاجرلك وآتيك بالارباح وأنت
فى راحتك لا كافئ حسن معروفك فاشارت على النحوسة بان اشترى قندا وافصده به
صنه الان ربحه فيها كثير فاشتريته وحملته حتى وصلناها فهدر السيل علينا ليلا ومازال
يهدر حتى اذاب جميع السكر وكان الوسق عشرين بعيرا فذاب عن آخره وكنت لم أدر
حرارة الادبار وطال ما اسأتك بقولى نحوستك من عدم ادراكك وكسادك من شر
حماقتك وذاك الغرور وتخيلى بانى لم أذق حسرة النكول أبدا وقد قطعت اسهم
الندامة وريد عزمى فاقبل بحق صداقتك عذرى ثم لما طلع النهار طالبنى الاعراب باجرة

الدواب ليرجعوا الى قطنهم فاعطيتهم ما كان معي فلم يقنعهم باجرتهم فاخذوا ملابسي وملابس الحرم ثم ضربوني ضربا موجعا وتركوني بالبادية عريانا فصرت أجوب الفيافي كالمعتوه وأتمثل بقول التيمورية حيث قالت

لا تفرح من سعد بانا * فالبدر سيكسف احيانا
والدهر كثير اماما نا * وابات الغائم منتبها
لا المال لقيت ولا الجاه * ان لاقت فوزك عيناه
والحجة ماقال الله * تلك الايام نداولها

فلما صرت أسأل الناس في القوت سمعت بذكر احسانك على أمثالي فقصدتك ولم أدر انك سيدي وصديقي ومرشدي المخلص الحقيقي قال بهرام أخي لم يكن لي شيء الا ولك فيه حق حيث امددتني بالقرض أولا وثانيا ولم أوفك به الى الآن فهون على نفسك مالقيت ولا تقنط من رحمة الله وأنا أذكرك أيضا ماقالته التيمورية في هذا المعنى

لا تجزع لخطوب طالت * لا تفزع لامور حالت
فاذا حالت واذا هالت * فبعزته ليسهلها
فاثبت طوعا واعزم صبرا * واسمع قولا يشفي الصدرا
اني معكم أسمع وأرى * فاذا عظمت فالله لها

ثم أخذه ودخل الى محله والبسه لباسا حسنا واعطاه مالا جزيلا وافشة ثمينة وقال عزيزي استبضع بما شئت واشحن سفينة وسر على حدتك حتى تصل الى بلدك فشكر فضله وحمل الافشة والمال وخرج قاصدا بلده وأما بهرام فمكث ما مكث ثم عاد الى الشين لوجود منزله بها فلما دخله وبات تلك الليلة بالسفينة قام صباحا وتهيأ بالملابس وقال اقصد الملك واسر بمعاهرته وان لم يعرفني وركب وتوجه الى القلعة فاذا بالحزن يسحب اذياله على بابها فارتجفت فرائصه وسأل عن الخبر فقيل له ان ابنة الملك معتوهة منذ أربعة شهور وقد أعيا الاطباء داؤها والوالد الزوج أشرف على الهلاك من الحزن فتذكر بهرام تلك الثمرة التي أعطاها له رب الحديقة فدخل بلا دستور واجرى العمل على حسب تعريفه فناقت الصبية لوقتها وعقلت وحسن ادراكها فاخذ الوالد الزوج يعانقانه ويقولان يا له من صنع بديع ثم التفت عقيل الى مولاه وقال تأمل عزيزي في هذه الاسرار ومن عناية القادر الجبار كيف يسعف بلا تدبير وكد ولا يحتاج مع فضله لسفر وجد وتذكر سعيه في سالف الايام منذ كان مقرونا بالادبار في كل مرام فلما سقى غيث الارادة أغصان سعوده وتقاطر ند العناية على زهرات مقصوده فاح بنفحات الكرم زهرها النامي ومحى دابر الادبار بحسن توفيقه السامي قال ممدوح جل وعلا مقدر الخير والشر المحيط للبحر والبر وقد شاهدت سناء سره المكنون وخفي لطفه المصون فيما حل بنفسي ورأيته رأي العين حقا وصدقا بلا مين ولست

الآن ممن يجزع من الشدائد بعد ان صار حديثي من حقه الرقم في الجرائد ولا انس عواطف نصحك التي داوا ني عقارها وهدتني في ظلمة الجهل أقمارها لكني لما رأيت هذه الامتعة تعلقت روحي العليله لرؤية تلك الحليله فان منحتني بالسماح يا حياة الارواح أرجوك في العزيمة الى ايران لاعلم من خبرها ماشان ومازان قال عقيل علام الغرض علي يا نور البصر والعبد مطوع ارادتك في الاقامة والسفر انما أرى المسافة بعيده وأيام السفر عديده والوسق ثقيل الاحمال فاملي منك الامهال الى ان احتال في نقود توصلنا الى تلك البقاع حيث ان المال حبس في ذلك المتاع قال ممدوح آراؤك منيره وخيرتك هي الخيره قال عقيل نقصد الشاه عميلنا ونقترض منه مائة دينار ونرهن عنده شيأ يسيرا من القماش حتى نتداول في البيع والشرا فالقليل بالصدق مع الاقبال يصير كثيرا في مدة يسيره فقاما وتوجها الى بيت التاجر فقيل انه توجه الى خارج البلد لاداء نذره لانه كان آلى على نفسه ان باع ذلك المتاع دون خسارة ان يحيي ثلاث ليال بضريح ولي من أولياء الله في تلك البقعة فقال عقيل مولاي نصير الى ذلك الضريح نتريض في المسافة ونتبرك بالزيارة ونتحدث مع صاحبنا في خلوته ثم قفلا خزينتهما وركبا بعيرهما وعزما على التوجه فسارا يومهما حتى دخل الليل فتركا البعير معقولا وصعدا على شجرة شاهقة خوفا من اللصوص فاذا برجلين حضرا وجلسا تحت شجرتهما وبينهما بدرة يريدان أن يقسماها فتشاجرا في القسمة وهما بالضاربة فطعن أحدهما خصمه فشق بطنه وانهدلت امعاؤه فقبض المجروح على عنق الجارح بقوة فخنقه ووقعا على الارض ميتين وتخلصت البدرة لعقيل ومولاه فنزلا من الشجرة وواراهما بالتراب وأخذا البدرة فاذا فيها ألف دينار فسجد الله شكرا ورجعا الى منزلهما وحملا أحمالهما وسافرا الى ايران فلما دخلاها وقابلتهما الاعاجم فسألهم ممدوح عن حال ملكهم وكيفية مقابلته للفقراء والغرباء قالوا كان سيدا كريما بشوشا حليما انما منذ حل به ما حل لازم العزلة ولم يقابل أحدا والوزراء تقوم بالحكم والسياسة قال ممدوح معاذ الله ما الذي حل به قالوا فرقة قرة عينه وخيبة سره وجهره وهي ابنته التي كان خطبها العادل لولده وعقد ما املاكها عليه بواسطة وزيره مالك فلما حل بهم ما حل وسمعت بفقد العادل وضياع ممدوح بعد فقد أبيه دخلت على أبيها محلولة الشعور مختلة الشعور ووقفت على اقدامه قائلة

أقول عزيزي والدموع هوامع * وقلبي كما ترضى لامرك طائع

مولاي وتاج فرقي ومالك زمام رقي قد لوث الدهر مرآة طالعي بعد الجلا ورمى بجب الاحزان طالعي بعد العلا وصب سراب الحسرة في أكواب عيشي وملا وطلا بسواد الشأمة ناصية اقبالي فلا حول ولا وأثبت بالعدوان شامتي واصابني بالبهتان عين جنايتي والبسني بالرغم ثوب ندامتي وطبع المقدور على جبيني ثم هواني وذلني فالتمس

من رأفتك مسامحتي في العزلة عن الخلق حتى يظهر لي خير من ملك قابي واسترق واسترحم من رأفتك محو اسمي من رقاع الاتراب واثباته في رقيم كل عذراء توارت بالتراب فاذا رد الله ضالتي رجعت لطيب حياتي والاالازال في عزلتي حتى يحسين مماتي فبكى والدها بكاء شديدا وكره أن يكون لها عنيدا فسلم اليها أمرها وأقامت بعزلتها أياما فلما طال المكث تلظى فؤاده فعقد مجلسا وقال قد ثبت بطول المدة موت ممدوح ولاشك فيه فكيف العمل في هذا الحزن الطويل والعزلة مع البكاء والعويل قال الملأ من قومه مادامت في عزلتها الايمحى حزنها فاغلظ عليها بالخروج لانها مادامت في الخلوة لاتنفد حسرتها أبدا ولايخمد لهيبها سرمدا بل يطغى نحيبها ويعلو بين الضلوع لهيبها فتلحق به وتتضاعف حسرتك وتعظم بفراقها ندامتك فالرأي ان تشغلها بالزواج فتنسى ذلك بهذا والاصارت بالحزن جذاذا فقام الملك وركب الى حجرتها ودخل عليها في عزلتها فرأى ذلك القدر كالخيال وقد أسرفت تلك المحاسن على الاضمحلال فتفتت كبده وهملت عبرته وضمها الى صدره وقد تقطعت حبال صبره ثم أجلسها على فخذه وقال ياحبيبة قلبي وموضع حبي قد سامحتك الى الآن ولم أسمع بان من ضل بان فان كان لك والد تدانيه وله عليك حق تراعيه فخلي عقد هذه الهموم وأحيي بامتثالك قلبا مات بطغيان الغموم فكم فرق الموت من أزواج وتسلى الخليل أليفه بالزواج بعدما أقاما في العيش سنوات واوجدا بنين وبنات فاحسني طاعتي واخشي غضبي وبلغيني بحق حقوق أبوتي عليك أربي ولاتردي أمري ولاتأبي ارادتي لراحة سري وقد علمت ما انتخبته لك من سن صغرك من أشرف الاقارب وهو ابن أخي الاحق بك من الاجانب فلما سمعت الصبية ذلك الانتخاب التهب صدرها وتسعر قلبها ولم تجد بدا من اظهار الطاعة حيث انه سألها بحقوق الابوة عدم رد أمره فقالت لاراد لامرك ولاعصيان لقولك غير اني التمس منك الرخصة في امهالي اسبوعين لاتريض بالخروج كل ليلة الى خارج البيت وانتشق النسيم فلعله يعيدني حيا ويقوي بنيتي فالقى الناس ببعض من القابلية التي كنت عليها لانهم اذا رأوا حالتي هذه عزوني على ماحل بي فيزداد كربي ثم لك الامر فاقض ما أنت قاض ففرح والدها فرحا شديدا وقبل عينيها وركب الى قصره فلما مضت المدة ساق اليها موكبا عظيما وزخرف لها هودجا مرصعا ومضى الجماعة به وأقام الوالد في الانتظار فرجع ذلك الهودج خاليا والموكب بالحزن باليا فارتجفت اعضاء الملك وأظلمت عيناه وصاح أين سيدة الركب فتقدم اليه الوزير مع الاسف الكثير وقال قد صنا فوجدنا خادمتها بشوشة في انتظارنا فقلت أعرضي على مولاتنا حضور الموكب وانتظار الوالد فدخلت وغابت برهة وعادت فزعة باكية وقالت بحثت كل البحث فلم أجدها ومنذ أمرها الملك بالتخلي عن العزلة وهي تتريض كل ليلة بالخروج الى البستان الذي بقربنا وتعود وتتركني احفظ الباب وتقول مرادي ان

يترعرع جسمى حتى يسر بى والدى وتارة تخرج قبيل الصبح لاستنشاق الصبا وقد أمرتنى بالامس ان أتهيأ بهذه الملابس وأخرجت هى ملابسا فاخرات وأحضرتها مع بعض من الجواهر وقد خلت الآن فلم أجد ملابس ولا جواهر ولا انسانا فصاح الملك واخبيتاه لحقت بممدوح كما يعلم الله فحيث كانت هذه النكبة منى ليس منها فانا أحق بالعزلة بدلا عنها حتى أراها أو أرى من لقيها ثم التفت الى أرباب دولته وقال أسأتم الاشاره وأتلفتم الاداره فلا طاقة لى بعلاقاتكم ولا رأى لى فى اداراتكم وقد عينت الوزير بالنيابة عنى وعليكم التأمل فى الادارة كما يرضى الله والنظر فى أمر الرعية والسلوك بكل عدل وعنايه ثم دخل معزلا وتوارى فيه وهى تلك الحجرة التى كانت فيها ابنته وتحجب عن الناس فلا يظهر لاحد ولا ينظر لهزل ولا جد فنظر عقيل الى ممدوح فرآه كالغائب فى بعلة البرقان فاسرع بالقيام وعدل عن تلك البقعة حتى لحق بوادغير مسكون وقد التهبت حشاشة ممدوح بالميل والحب وصار يتلظى من الوجد لما سمع ما قالته الصبية لوالدها وما حل بها أخيرا وصار عقيل يلهيه بنوادر تسليه وهو لا يلتفت لها ولا يتسلى بها وانقطع عن الطعام والشراب وعن سماع المساهرة والخطاب فتضاعف كرب عقيل وقلق قلقا شديدا ومع ذلك صار يحمد الله حيث كانت لوعة مولاه حبا ولم تكن كربا من الكروب التى مرت ولا يخفى السامع ان لوعة الحب محصوبة بالتعزل والخلوات فى الرياض وسماع الاوتار وتلاوة الاشعار على حسب قابلية العاشق فيجب على المصاحب ان يتفرس فى حالته ويساهره من عين مراده ان كان فى فراق أو مطل أو بشرى بلقاء أو صد من المحبوب فصار عقيل يعاشيه على حسب شغفه ما استطاع وقد علق ممدوح بالخلوة وتنحى عن المساهرة فشق ذلك على عقيل فتجاهل نفوره منه وقال أعرض على مولاى ما أضرم فؤادى من الحزن وهو انى أرى اعراض المولى عن مسامرتى وتنحيه عنى وذلك لم يكن الا عن زلة بانت منى أو هفوة نقلت اليه عنى قال ممدوح استغفر الله أن يكون ارشادك لى مقرونا بخذلان وحاشا أن يكون سعيك مشوبا بخسران انما أردت راحتك وأحببت استراحتك فطالما اتعبت نفسك بالسهر والسمير قال عقيل وحق عزتك راحتى فى ذلك التعب وقد هجر المولى حديث العبد بن لما هجر عبده قبل ان تتكامل القصة عنده ولم يسمع بنكبة بهرام لما انتقل من شدة الكرب الى لذة الحب وتلقب بلقبه الجديد لانه كان بهرام المنحوس فصار العاشق المأنوس ولا يدرى ان لوعة الحب للمكظوم بشارة هناه وانما اللقب عين مناه قال ممدوح كيف ذلك قال عقيل نعم ما دخل العشق الحقيقى قلبا الا واحياه وأخلاه عن كل ماسواه الا أثر المرض وحسرة فقد الولد فانهما يمحوان ما دون ذلك غير المتكونة منه والناشئة عنه فهو امارة الخلوص الشفاف وعلامة السعادة والعفاف قال ممدوح هذا ان كان ممتنعا بمطلوبه مشاهدا لمرغوبه قال عقيل ان وجد المطلوب دون تعب فلماذا يوصف العاشق بطول النصب

فان لم يذق العاشق مرارة الفراق أنى يدرى حلاوة التلاق فما كابد عاشق فى اليأس حسرة ولا اطفأ بالصبر جمرة الا ومحت زفيره راحات الامانى وانجلى صدره ببشائر القرب والتدانى فاستروحت روح ممدوح وقال على بديهته قال عقيل كنا تركناه بين الزوج والصبية ووالدها فلما عقلت وفاقت اشتهرت فضائل الشيخ وكراماته وأحسن الوالد الزوج جوائزه وانساقت البشائر الى والدها فقدم وأهداه بغال جزيل ورتب له كل عام ألف دينار وملك الشين أيضا مثلها فمكث معهما أياما ثم قصد الرجوع الى أوطانه فسلمه الملك رقاع ضياع أهداها اليه وخرجت الملوك تودعه حتى أقسم عليهم وأعادهم فبينما هما فى التماس الدعاء من الشيخ اذ وقف الموكب فاذا هم بجماعة من الفلاحين يأتون بلص مكتوفا وهم يقولون تم سرورنا ببركة الشيخ قد وجدنا اللص الخائن بعدان هلكنا بحثا عليه طول العام فقال الملك خيبة الله عليه أقاطنا أم غريبا قالوا غريب وقدموه الى الملك وبهرام بين الملكين فاذا به فرهاد فانقبض قلب بهرام وقال أيها الملك السعيد هبه الى ولا تكن على حذر منه لانى على سفر وآخذه معى قال هو لك حيث يمكنني مخالفتك فامر بهرام بحمل وثاقه وأخذه ونزل به الى السفينة وقال أخى لا أقول لك ما الذى حملك وعلمى بنحوستك يكفينى اغما فرج عن نفسك بالحديث وهوّن صدمة ادبارك الخبيث فانه عن قليل يمحى باذن الله وماذلك بعزيز على الله وكفالك بى عبرة لدفع غمك وازالة همك قال فرهاد لا عدمتك شفوقا ولا اضاعت الايام لك حقوقا اعلم سيدى انك لما منت على بالاحسان توجهت شاكر الفضلك ومادحا لسعيك وخلت ان الايام تساعدنى كما كان دهرى يعاودنى ولم أدر أنه بجد وغرنى ثم عنده ومازلت سائر بسفينتى حتى مررت على روضة كنت أعهدها قبل الخسران وطالما ريضت فيها قبل مع الاخوان فخرجت من السفينة وعزمت على الاقامة فيها يومى وليلتى للتنزه وكانت بعيدة عن البحر مسافة قليلة فدخلتها ووجدت فيها بعض الاصحاب فبادرتنا بالطعام والشراب ودارت بيننا الاكواب وطاب الحظ وصفا فقمت أتمشى بين الاشجار فغلبنى العقار وطرحنى على الثرى ومازلت مطروحا وأنا لا أعقل حتى انتصف الليل ورجعت العصبة الى منازلهم وظنوا انى توجهت قبلهم فلما انفك عقالى من قيد السكر تلفت عينا وشمالا فلم أر أحدا فقمت أتخبط فى السير حتى وصلت سفينتى قبل الفجر فاذا أنا بالملاحين مقتولين مطروحين على الساحل ولم أجد بها أحدا فدخلتها فلم أجد بها شيأ من المتاع فعلمت ان اللصوص قتلتهم وأخذوا الاموال وقتلوا الزوجات أيضا ولم ينج منهم الا نحوسة لانها سابادرت بالهرب الى الساحل واختفت بين الاحجار فدهتنى المصيبة وطاش عقلى فلحقتنى النحوسة وقالت عليك بالسرعة وراءهم فلعلك تلقى بهم فتصيح على الخفراء فيقبضوا عليهم ويرد اليك مالك واسلك من هذا الطريق لانهم سارو امن هنا فقصدت الطريق على حسب تعريفها وصرت أجرى

فوقعت فى جب غائر كالبئر وكان فيه مستورا بالتراب فوقعت فيه وأغمى على برهة ثم انتبهت على ضجيج من خارجه فسمعت أصوات رجال فاستغثت بهم فاذا بهم يلعنونى ويسبونى بقولهم لا أنقذك الله أيها الخائن قد أحرمتنا من أرباح حرثنا فى هذا العام فطالما تمثلت بالشيطان حتى وقعت فى جب الطغيان وكم سرقت محصولنا ونهبت أرزاقنا ثم أخرجونى وشدوا وثاقى وساروا بى الى ديوان الحكم فتلاقينا بموكبك السعيد ورأيتنى كما رأيت وكانوا أحدثوا ذلك الجب للص تعوّد على سرقة أرزاقهم فاوقعنى فيه قدرى ولم يق عثرتى حذرى فلو لم يكن ذلك اليوم مقرونا بفضلك بالفلاح لقتلت بظلم الفلاح قال بهرام أخى قد مضى ما مضى وليس لك الا الصبر والرضا فطالما سمعت أنا فى الزمان السالف وتعلم أنت بشرحى الطويل وطالما اجتهدت فى كل مهمة وخاب فى النتيجة أملى الجميل فاجعلنى مرآة لنظرك ونظارة لبصرك وكف نفسك عن الكد والتعب والسعى والنصب حتى ينفك عنك عقد الادبار بارادة مكوّر الليل على النهار فها أنا عازم على مصر فان رأيت ان تكون معى حتى نصل اليها ونجعل ان البضاعة بضاعتك وتدخلنى فيما علمها وتظهر أنت للناس الزهد والتجرد والخلوص والتعبد والحمد لله بيتك مشحون بالخير والجبرة والامتعة الكثيرة فتعتزل عن قبيل وقال حتى يمحى نحوستك المتعال فان رضيت باشارتى فلك الخيار والا فخذ من عندى ما تحب وتختار واعلم انه مع النحوسة عديم الاوعذاب اليمة أليم قال فرها د الامر لله والخير فيما اختاره الله قد سمعت نصحك ورضيت بقولك فاكترى بهرام له سفينة صغيرة ووضع فيها من الزاد ما يوصله وقال عجل أنت قبلى الى البلد وانشر ما اتفقنا عليه وعرفهم ان البضاعة ستحضر مع قيمها ثم ودّعه ورجع الى سفينته فاذا بقافلة تسير على الساحل فامسك بهرام عن السير حتى تمر القافلة فرأى عليه الهودج الذى هو معه سيد الركب وهو من العاج مصفح بالذهب فصار يتأمل فى حسن صنعه وقد رفعت ستوره أيدى النسيم فكأنما أزالت سحابا غشى سنا بدرا فوقع نظر بهرام عليها وناهيك لمع الجباه تحت الطرر ورشق سهام مقل اكتحلت بالحور فيالها نظرة فتتت أكبادا وطعنت بتلك السهام فؤادا فلم يشفق ذلك الوامق من هجوعه الا وجذوة الحب تشتعل بين ضلوعه فرام ان يعيد نظره ويمتع بذلك الحسن بصره فرأى الهودج قبل ارتداد الطرف اليه وصب الحرمان لهيب اللهف عليه فغاب بهرام عن وجوده ولم يدر أعلى الماء هو أم على التراب أم حمله الهوى على قطع السحاب وصار يذرى المدامع يمينا وشمالا ونطق بالقريض ارتجالا فقال

يا ناظرى لما أرسلتما سحرا * بالرغم عنى الى الانسان انسانا
أوقعتما فى لظى قلبى فاحرقه * وكان قبل الهوى العذرى ريانا
قيدتماه ولم تعلم جنايته * بحبل أشجانه ظلما وعدوانا

أربعماه بظلم عند قولكما * هذا الغرام فعش بالعشق وهانا
فيالها لحظة أضنت جوانحه * وليت تكرارها قد نال امكانا

فلما قضى من الشعر أمله رجع لسكونه واستغفر ربه ودخل السفينة قائلا كيف أهجع فى السفينة بقلب كله الغرام وحكم عليه باللوعة الهيام فاز أى ان تسير السفينة كما هى فى البحر وأحتال فى استحضار دواب وأسير أنا على البر فلعلى ألحق بتلك القافلة التى مرت كلمح البصر وجعلتنى وديعة بين الارق والسهر فوقع فى الافكار كيف يعرض حاله على الجماعة ولاى داع يترك السفينة ويسير على البر بقافلته فصار يتقلب فى فراش الحيرة والحب ولا يرى لجراحه مرهما فى الطب فلحظته السعادة وقالت وقاك الله شر الدهشة وكفاك بأس الوحشة مالى أراك مشغول البال والخاطر أتخفى عنى ما جاش بالصدر وتصون سرا قد ضعف عن حمله الفؤاد ونطق بسره العدم والسهاد قال مولاتى أريد ان أسافر برا لخفة المسير لأحظى بالوطن فى وقت يسير قالت وما أدى الى ذلك فلم يجد بدا من اظهار أمره اليها فقص الخبر عليها مع بسط أكف الاعتذار فضحكت وقالت لا تعدل أيم السعيد عن الطريق واعلم بان الامل تحت جناح التوفيق فامتثل بهرام لامرها وعدل عن مانواه وصار يسامر الصبر على وجه المياه وكانت أشواقه تشاكل الامواج فتارة تعلو وتارة تسفل وطيف الصبية يغازله بين النوم واليقظة ويغدو ويروح ذاك القوام فى كل لحظه وهو يرى ان الوصال محال وبينه وبين ذلك أهوال وكان ممدوح يلقى فى هذا الحديث راحه فصار يبسط لتلقى درره الكف والراحة ويقتطف منه أثمار التبصر فى القول والعمل ويترقب للعواقب ليجنى اطابة الامل وعقيل يعقل ذلك من وجهه فيتحفه بما يقوى العزم فى حديثه لان أول ما على النديم من الواجبات ان تكون مسامرته موافقة لما كنه الضمير ومطابقة لما حازه الخاطر والخطير والاثقل على المنادم كل ما رواه وأمل الطبيعة بما أبداه ولو كان حديثه مشوبا بفصاحة حسان وصحبا كنبا هدهد سليمان فما زال ممدوح يتمتع براحة حديث عقيل ويروح قلبه بسماع حديث تلك الاشواق ويسكن لوعته بحكاية ذاك المشتاق وعقيل يعلم ذلك فيزيد فى بسطه للمقال ويوسع فى فضائل الصبر فى كل حال ويقول ما زال بهرام يكابد من الشوق ما يكابد ولم ينحرف يوما عن امتثال أمر الصبر ولا يعاند حتى وصلوا الى وطنهم المعتاد وحيت السلامة سعادته وأحسن الاقبال رجعته وأقبلت الاخوان عليه من كل جانب وهنؤه بمنة الرحمن وغنيمة العود الى الاوطان فبادرهم بهرام بحديث صاحبه المبدد وبسط ماله من الورع والزهد وعدد وذكر انه قد جعله قيما على ماله بالنيابة عنه فى الاخذ والعطا وستر ما كان بامتن غطا فقالوا سبحان من أمده بهذه المنة السنيه والمرتبة العليه فنحمده مقلب القلوب وعلام الغيوب كما والله نحمل من الاسف

ما أثقلنا على نكبته التى حلت بداره فى غيبته قال بهرام معاذ الله وما هذه النكبة قالوا التهمت داره ذات ليلة فاحترقت من الرأس الى الاساس ولا يخفى انه قد نقل كل متاعه فيها قبل سفره فاحترق جميعه حتى صار ترابا لكل مداس فلو كان على خلقه القديم لمات أسفا وهلك حرصا ولهفا قال بهرام وأين اقامة عياله الآن قالوا بخان الصدقة ينتظرون ايابه وكل منا يمدهم بما استطاع فاغتم بهرام غما شديدا وبات تلك الليلة متفكرا فى أمره ولم يدر ما الذى عاقه فلما كانت القابلة سار بهرام الى البحر يبحث عليه فاذا به قد م فى أحد السفاين وعليه قميص خلق فقال قد غرقنا ونجوت أنا بنحوستى قال بهرام عجل بها الى الخان وكن أنت معى متنكرا حتى نلحق بالمنزل فبعث بها الى أحد الخانات وأخذه وصار حتى أدخله وألبسه وخرج هو واشترى له منزلا يوافقه فدخلت عليه الناس وأخبرته بما صار فقدم بهرام فوجده قد انفطر من النحيب وقد عرق ثوبه من الصيب فقال كم أقول لك لا تجزع فان المال عندى موجود فخذ ما تشاء واتجر كما تشتهى قال فرها دلا وحق الحكم الذى بهذا حكم لم أخرج عما قلته لهم بل أكون فى حجرة سفليه مادمت حيا ولم أقل لسعى وجهد ما عشت هيا وأعيش بصدقتك مادامت النحوسة قرنى وأستغفر الله على ما كان منى وأحمد الله الذى محا ما بقلبى من الطغيان وأزال بلطفه عنه كل جحود وعصيان فصرت استقل فى العقاب نكبتى وقد رفعت أكف الضراعة بتوبتى من سوء فعلى وشرازتى وتلويث ضميرى بخيانتى لانى منذ عقلت وأنا متسربل بالغرور متقلد بسيف المكائد والشرور فأنا المقر بما جنيت المصر على طلب التوبة وهى حل ما تمنيت فلا تقسنى بك سيدى فى عود الاقبال لانى لم اقتد بك أبدا فى صالح الاعمال وقد شاهدت شفقة ضميرك فى الشدة والرخا وشهدت لك بكل صدق فى الخلوص والاخا * وتذكرت ما قالته التيمورية فى هذا المعنى من طهرت من الغش سريرته تطهرت فى الالسن سيرته (ولها) اذا جرت عليك المقادير فخيام الصبر خير لك من قلاع التدبير (ولها) ليس بعد الصبر طبيب ولا مثل حسن الخلق حبيب وفى هذا المعنى أيضا

اذا لم ترض ادبارا * ولم تصبر ولم تخشع
فهالك السيف والترس * فحارب دهرك الابقع

فاعلم سيدى ان مدار عيشى جعله الله عليك والاجر فى التصدق على راجع على الدوام اليك فدعنى أعيش باحسانك وليس لى دون ذلك حفظ الله متاعك ومالك فخرج بهرام يذرف الدمع على انكساره ورتب له ما يكفيه وعياله وهذا مصير كل متكبر مغرور وعاقبة من ضل سعيه وأمن لمتاع الغرور فصار بهرام يبحث على منزل كبير لكثرة خدمه وماله فمكث فى السفينة اسبوعا والاحباب يجدون فى البحث حتى وجد بيتا كان لاحد الوزراء واسع الرحاب وبه بستان عظيم فاشتراه ونقل اليه متاعه وأعجب

بنضارة منظره ورتب مقاصير الحرم وهما الصداقة والسعادة وكان ذلك البستان كثير الاشجار وبه حديقة رائقة وروضة فائقة فصار يجول فيها ويتأمل فى نواحيها والغرام يسوقه الى الطواف فادرك محلا فى جانب الحديقة وبجواره قصر مشرف عليها وله روشن بديع الصنع فصار يتأمل فيه وهو مفتوح للتروح فجاءت ربة القصر للتفرج على الحديقة فلمحها بهرام فاذا بها صنيته قد أشرفت من شباك البستان والتقى الانسان بالانسان فخال بهرام ان روحه أردفت بروح أخرى وصار يتمتع النظر بذلك الحسن ويتحرى فاسرعت الصبية الرجعة وأرخت الستور فكاد قلب العاشق أن يطير الى الروشن من الوجد والخفقان فأدركه الصبر وساقه الى قصره فمكث فى الاطراق مليا ثم تفكر فى كيفية الاستدلال فقال اخرج الى باب ذلك القصر واسأل عن صاحبه فلعلى أفوز بمرامى وقام يسعى فرأته السعادة فقالت له لا تعجل وتأن قليلا فلم يجد بدا من الاهتمال والصبر يقول له عزيزى اذا دست بساط الهنا فلا تطمع بجلب كل منا فاذا أسرعت السير زلقت واذا قنعت شاكرا ربحت فما أتم اسبوعا بعد ذلك الاهتمال الا وأضافه جاره ونعم الجار وقال سيدى أنا جارك صاحب هذه الدار المطلة على بستانك وقد سررت بجوارك لما سمعت بحسن سيرتك ولى كريمة حليمة عفيفة سليمة وقد قدمت بها من مدينة التوكل عازما على زواجها بصهر صالح يحسن عنصر نتاجها فلم أسمع بأطيب من ثناء سيرتك ولم أر معادلا لطيب سريرتك فان رأيت قبولها فهى نعم الزوجة فى كل مجال الموافقة فى كل حال فغاب بهرام فى لجة الاستغراب عن الجواب لشدة تعجبه من وجدان هذا المنا من دون كدو عنا ثم أدرك نفسه بالفطنة وقال فديتك من سيد أدى لعبده مناه قبل ان يعرض عليه التماسه ورجاه فتمنى بشرف معرفة اسماء تقلدت بها الاشراف قال الجار يا حبيبى هى القناعة وأنا العفاف وأخذا الراحة بالراحة وعقدا عقد القناعة ونثر الفوز درر السرور على الجماعة وعاش بهرام متمتعا بتلك النجوم الزهيرات والدرارى اللامعات فى أطيب عيش بين أصحابه وأحبابه وأشهى حياة بين اخوانه وأترابه وقطع دابر الشدائد بالسعود وتلاشت تلك النوائب ببلوغ المقصود ونسى ما قد سلف حتى كأنه ما رآه ولازم عصبة الابرار ماشاء الله متع الله بحسن العواقب أمة الحبيب وجعل استاذا الصبر لكل مؤمن طبيب قال فانكشفت غمة ممدوح وطليت جراحه بمراهم هذه العبر ودب قلبه عشم الامل وطابت أوقاته وخمدت زفراته وقد انتهت حدود أقطار الاعجام على أحاديث بهرام وقد ما على فضاء واسع الرحاب قد اشتمل على طرق شتى وبه تجتمع الظاعنون ويمكثون حتى يستريحوا ثم يتوجه كل فوج الى طريق قصده فدخل عقيل بسيده ومكثا بينهم وكان بازائهم جبل شاهق والناس تصعد عليه أفواجا ثم يعودون ويصعد غيرهم فسأل عقيل عصبته التى هو بينهم ما بالهم يصعدون وينحدرون

قالوا وجدت هنالك نظارة بذروة الجبل بها تصاوير وعلى دائرتها سطور بحروف لا تقرى ولا تعلم أحروف هى أم نقوش فقال ممدوح قم نصوحى نتفرج عليها قال عقيل حتى تنفد المتفرجون فاعلم خير فلما تخلى الجبل عن صعود الناس قاما وصعدا عليه بكل صعوبة وعنا فاذا بها نظارة من حديد بوسطها زجاجة النظر فتقدم ممدوح ونظر فيها ثم تلا تلك الحروف فاذا هى ألا يا أيها الصاحب * لهذا الشكل والتصوير

أغث أرض العراق تجد * بها ما بتّه التدبير

فلما تلا ممدوح هذا الشعر تأمل فى التصوير الكائن فى جوف النظارة فاذا به هو بعينه ووجد نفسه فى داخل النظارة فارتجف فضمه عقيل فقال دعنى أيها النديم وتأمل فى النظارة فتقدم عقيل فرأى مولاه فى جوفها قال سيدى أما التصوير فهو أنت وأما النقوش فلا أدرى ماهى قال ممدوح هذه الاحرف التى تراها هى من اختراع الوزير مالك لوالدى وكان يكاتبه بها فى المهمات السرية اذا كان بعيدا عنه وكان قد علمنى اياها وحذرنى عن افشاها وقال ان مدار أسرار صون حكومة أبيك منوط بهذه الاحرف فادخرها فى خزينة قلبك ولا تخاطب بها الا والدك وولدك فقال عقيل فديتك أغثنى بالمعانى فقصها عليه فتهلل عقيل وقال مولاى انى لاجد ريح مالك فجعل سيدى بالعزيمة الى العراق وصار ممدوح يقول ليت شعرى أأعيش حتى أرى هذا التدبير وشوق الصبية يلتهب بأحشائه وقد زادت اللوعة لوعة أخرى وهو شغفه برؤية الوزير واطلاعه على صدق التدبير فعاد الى انقطاعه من الزاد فضعف جسمه وصار يقول لا تعشم أيها النديم بتحملى هذه الشدة وحقق فقدى فى هذه المدة لان المسافة بعيدة والافكار بالشغف شديدة قال عقيل مولاى لا تكن عجولا واسمع منى ما أقول ان طول العمر ليس منوطا بكثرة الراحة ولا باستقامة الصحة فطالما انقطع الامل من المصاب وطاب وأبهج بالعافية الآل والاصحاب وطالما أمل المرء بعزم قوّته نيل الامانى فخاب وفجع بفجأة فقده من حضر ومن غاب وكم أبدع الرب حكما عجز عن تعريفها اللسان وكم أبدى عبر لم يحل سرها فى الجنان وأأكد قولى لك وان كنت أعلم بالصواب منى وأدرى بالحقيقة عنى انه كان فى عهد لقمان رجل حراث وله ابنة قد رباها يتيمة ولم يكن له من زينة الدنيا سواها فصار يخدمها بكل حنانة ويجتهد فى كسوتها وطعامها ما استطاع حتى أخذت فى النموّ فقامت بحوائج بيته واستعدت لخدمته فى كل ما يحتاج اليه وكانت هى ربة داره وخبيئة أسراره فلما حلت بمناطق الشباب وصارت تعد من الكعاب اعترتها علة كثيفة مهلكة عنيفة فطرحتها على الوساد فهدم الحزن قوّة والدها وصار يحملها ويدور فى البلدان على الاطباء حتى وصف له لقمان فحملها وصار اليه وطرحها بين

يديه وأكب على قدميه فصار الطبيب يجس في أعضائها ويكشف على داء حشائها
حتى تشخص العلة وعلم انها قاتلة لا محالة فدق الكفوف يأسا حيث لم يجد من المراهم ولا
الجرع ما يؤدي الى الشفا فغاضت عبراته وعلت زفراته وقال لوالدها ان عذر اليأس
أقبح قول مني اليك فوالله لو كانت تفدى لفديتها فعوضك الله خيرا وألهمك سكوتا
وصبرا فانفطر قلب الحراث وذاب كبده من الحزن والياس فحملها ورجع بها الى
بقعته وصار يتقلب في جمر حسرته وكان حرثه بجوار حديقة الوزير فكان يحملها الى
تلك الحديقة ويستحسن لها الجلوس بين الرياض ويطرحها تحت ظل الاشجار ويخدم
حرثه ويمر عليها هرة أو هرتين حتى اذا حان وقت الرواح يأتي ويحملها الى حجرته وكانت
ابنة الوزير تخرج للتريض فتراها على هذه الحال فتقول قاتل الله أباك وفقره الذي
أداك الى هذه الحال حيث لم يقدر يغذيك بشهي الطعام ولم يمتع جسمك بلين الملابس ولم
يسكنك بأعلى المقاصير فلا يزال يطعمك خبز الشعير ويلبسك أخشن اللباس ويرقدك
باسفل المقاعد فوق الحصير حتى أورثك السقام في عنفوان الشباب وصيرك ملقاة على
الارض تدعير بالثبور فليته سلك الى فاحسنت مواساتك في الطعام والثياب وأنقذتك
بتوجهي والتفاتي من قيد العذاب فيتضاعف كرب ابنة الحراث من هذا التعنيف
وتزداد ضربات قلبها من هذا القول العنيف فصارت تلتمس من أبيها انه لا يدخلها
تلك الحديقة ووضيت بانفرادها في حجرتها حتى يتم عمل حرثه ويعود اليها ومكثت أياما
فزادت آلامها لعدم الترويح وذاب قلب الحراث حنانة عليها فصار يحملها ويخرج الى
الصحراء ويرقدها تحت ظل شجرة كبيرة للترويح بالنسيم ثم يعود عند الغروب فيحملها الى
المخدع فاشتدت عليها حرارة المرض ذات يوم فعدلت عن النوم على جنبها واحتالت حتى
استلقت على ظهرها وكشفت صدرها وقد أضربها التعب حيث لا قدرة لها على الحركة
فأحست بقطرات باردة تقطر على صدرها من ندى الشجرة فصارت تتلذذ بها صدرها ثم
تحولت شيأ فشيأ حتى قابلت ذلك التقطير بفمها الشدة عطشها وصارت تتلذذ به لانه
كان باردا فشعرت بسكون الضربات فنامت برهة ثم انتبهت وبها غثيان شديد وصارت
تقذف ما في جوفها من الطرفين حتى لم يبق به سوى الامعاء فغابت عن شعورها فلم
تدرك بحاسة من حواسها فجاء والدها عند الغروب ووجدها في هذه الحالة لا حراك
بها فلم يشك انها ماتت فكره ان يحملها بهذا التلويث الكريه فبحث على ماء فوجد ماء يهدر
من خلف صخرة كبيرة وهو حار فجاء وحملها اليه وجردها وطرحها تحت مصبه وغسلها
غسلا جيدا ولفها في ردائه وحملها الى البيت وألبسها ثوبا نظيفا وصار يحثو التراب على
رأسه لفقدها حتى لمع الفجر فتحركت الصبية وفتحت عينيها فرأته بهذه الحالة فقالت
مالي أراك مغبر الثياب وصارت يداك كالاكرياب من الدماء فقال من ثقل النوم فقالت
أيوجد عندنا شيء للقوت قال لم يكن لدينا سوى قليل خرنوب أخضر وجدته بالامس على

شجرة وقليل من ماء الشعير قالت نعم الغذاء فأتاها بما فأكلت من ذلك الخرنوب ثم شربت من الماء حتى اكتفت ونامت نومة عظيمة حتى غربت الشمس وجاء أبوها وقدم لها باقي الخرنوب وماء الشعير فقالت ساعدني في الجلوس فأجلسها وتهلل بالفرح لانها لم تجلس منذ شهور فاستوت وأكلت ذلك الزاد وأحست بخفة جسمها فصار أبوها يحملها الى ظل تلك الشجرة ولكنها لم تجد بها ذلك التقطير فأقامت اسبوعا الا وهي تمشي على اقدامها وأخذ شفاؤها في النمو يوما فيوما الى ان صارت أحسن مما كانت فكانت ذات يوم ذاهبة الى حرثها مع أبيها فصادف الطريق من تحت قصر الوزير فاذا بجارية تنادي من الطاقة ادخلي يا حراثة لنا أيام نبحث على بقعتك ولم نجدها فدخلت الابنة ومكث الوالد ينتظرها بالباب فأخذتها الجارية وصعدت بها الى القصر وأدخلتها على ابنة الوزير فاذا بها تتلوى على قطعة حصير وقد تنحت عن السرير والفراش الحرير وتجردت عن الخز والكشمير من حرارة تلك العلة التي قد كانت بابنة الحراث فنادتها بصوت منخفض عزيزتي بالذي شفاكي ان تصفي لي ذلك الدواء الذي كان سببا لشفاكي لان اعتراضي عليك صيرني الى ما ترى فتأسفت الحراثة وقالت شفاني الله على قطرات شجرة بالفضاء الغربي فلتبعث السيدة مع أبي من يجد في البحث ويأتي بذلك التقطير فصاحت الجواري على الخصيان وخرجوا الى الحراث بأواني الذهب والفضة حتى وصلوا الى تلك الشجرة وصعد الحراث عليها للبحث فأخبرهم الحراث بذلك وصعدت الخصيان وحققت ما قاله ورجعوا خائبين ومكثت ابنة الوزير أياما ثم ماتت بما هي فيه من الاصابة ولم تفدها سطوة والدها وكثرة سعادتها فسبحان من لا يعجزه شيء في كل حال وهو الكبير المتعال فرأى ثعبانا عظيما قد انحصر بين أفنانها ومات فعلم الحراث انه أراد ان يعربقوة فانحصر بين غصنين ولم يتمكن من المرور ولا من الرجوع فمات منحصرا وكانت تلك القطرات هي اعابه وهي تقطر من فمه وهو في سكرات الموت مما يكابده من الاختناق فصار ذلك السم بقدرة القادر دريا قاتلة الصبية لان القادر اذا أراد قضى المراد فانشرح صدر ممدوح وغابت أفكاره المؤدية الى الفتور وترك اليأس والتعبث بالامل حتى دخل العراق ومكث بها أياما يدور بين الازقة والخانات ولم يسمع بذكر شيء يستدل به على مرامه ولم ير اشارة ترشده على وجود مالك فراجعه القلق وضاق صدر عقيل لما رأى مولاه وقد أضر به الانتظار والجوى ولوعة الوجد والهوى فقال يوما لعقيل ان لم يغثني الله بمنيتي شربت كأس منيتي لاني كنت هائما بدخول العراق كأني سأتي بها المرضى ما لقيته الصبية من الدرياق وقد ضاق علي الحال ويئست من الحياة وعلمت ان ما لكلام يكن موجودا وسولت لي نفسي انه بت التدبير فلحقه اديباري فبادره بالفقد قبل ان ألقاه فليتني ألحق به قال عقيل مولاي اذا اشتد الكرب هان ولك البشارة في هذا الاسبوع لاني رأيت رؤيا تدل على السعادة ولكن لا أفسرها حتى تتفسر بنفسها وصار عقيل

يقتحم محافل الرجال و يقول قد أعيانى ضعف ولدى ولم أجد له عرافا فقالوا عليك بذى اللوح قال ومن هو قالوا راهب فى صومعة وهو منجم حاذق فجاء الى سيده وقال سمعت بذكر منجم وأملى ان تزوره فيأخذ لناطالعا فقال ممدوح أمثلك من يرتكن الى قول النصارى ماهو الا دجال جعل هذه الحرفة فخا لصيد النقود قال عقيل نتسلى بقوله برهة وماذا علينا لو دفعنا له درهمين وضحكنا عليه ساعة بهما قال ممدوح قم بنا اليه فقاما وصارا يسألان على حجرته حتى استدلا عليها وكانت عادة عقيل اذا دخل بندرا يعصب عينى ممدوح بعصابة يسدلها من أعلى جبينه حتى تتوارى عيناه و ينظر من تحتها حذرا من ان يعرفه أحد و يخبر به الاخصام فيلحقوه بمكرهم فازالا سائرين حتى دخلا على الراهب وقد وضع صليبا كبيرا على باب صومعته فتبسم ممدوح وقال بالهام من اشارة قامت بكل بشارة قال عقيل نعم وحقك انى لم أسمع هذا القول منك أبدا فسبحان الناطق على كل لسان وان كنت هازئا بقولك فتقدمت جنود الراهب بالصلبان على صدورهم فسألهم عقيل عن كيفية استخراجه قالوا يقرع على اسم الطالب حتى يخرج بيد صاحبه فيتناوله كتاب القرعة وكانوا نحو عشرة رجال غلاظ شداد فدخل عقيل وتلاه مولاه فاذا الراهب جالس على حصير وكتابه بيمينه فحياه وجلسا أمامه فناولهما مخلاة فيها ماينوف عن ألف اسم من أسماء الرجال والنساء وقال اعرف اسمك ياولدى فصار الراهب يجر الاوراق من مخلاة أخرى فيها أسماء الكواكب والافلاك وممدوح يسحب من مخلاة الاسماء وكان يطيل النظر فى اللوح الذى بصدر الراهب وعقيل يستغرب ذلك منه حتى نفذت الاسماء باسرها فقال الراهب ألم تجد اسمك فى هذه الاسماء قال ممدوح لا والذى فرق الاديان لم يكن هنا اغا أراه فوق اللوح الذى بصدرك قال الراهب وما الذى رأيته فى اللوح قال أنا ممدوح قال الراهب وأنا عبدك مالك وضمه الى صدره وبهت عقيل برهة طويلة ثم كشف الوزير عنه عصابته وهو يقول

أبدر خلته أم وجه حبى * انفح المسك عطر ربع قلبى
أم الايام اهدتنى بروح * على روحى فعشت بدون طب
فراقك والذى أهداك حيا * لعينى قد ضنا قلبى ولبى
أعز الله ليلا فيه بدرى * تجلى نيرا من لطف ربى

عزيزى فديتك من مصون جعل الله منة لقائه على عبده أكبر احسان بعد ما تقلب ذاك العبد فى دثار الحسرة والهوان عزيزى وحق حقوق أبيك ما أهملت فى الخدمة يوما ولا تخيلت عن ملاحظة التدبير ساعة من حين ما دهيت بخطاب ذينك الخائنين ولا صدقت ان الختام ختم بينان العادل اغا الوقت لا يسع الحديث وواجبات الشكر قد وجبت تأديتها على المملوك لان الليل قد انتصف وأحب راحتك فتفضل مصحوبا بالسلامة الى مأوى استراحتك وانى آتيك صباحا لاعرض قصتى على أعتابك فلعلى أفوز

بالالتفات وأحظى من تسعينك لتدبيرى بالعنايات قال ممدوح أيها الشفيق وعزة سرورى بملاقاتك وحبورى بمناجاتك انى لم أطق ان أفارقك لانى كنت أرى هذا الوجه البشوش بازاء أبى فلما سمح الزمان بمرآته تخيل لى ان العادل امامى وأنا بين النيرين فلا تحرمنى من رؤيتك بحق شفقتك قال الوزير وعزتك ان فراقك الآن عندى أشد من غمرة السكرات لكل مشرك بالذات انما لم يكن عندى قصر ولا فراش يليق لنومك فيه ولا استعداد طعام يسوغ لى ان آتيك به فقهقه عقيل وقال يصح لى ان أقول دهشت أيها الوزير فكم بات مولاك على الثرى وتغذى بخبز الشعير فدق الوزير كفيه وقال الامر منه واليه أظن ذلك قبل ان يلقاك وتلقاه قال عقيل وحقك قبل ذلك وبعده قال الوزير لا تسمعنى ذلك الحديث الا وصولا تابعون الله مستوى على تخت قلعة بغداد فاخشى ان تنفجر حشاشتى قبل ان أفوز بالمراد ثم قاموا الى البحر وتوضؤا وأدوا واجبات الشكر وقال تكرم أيها الملك السعيد فى السير الى مخدع وزيرك ومشوا حتى لحقوا بذيل الجبل ففتح باب مغار صغير له دهاليز منحدرة وعند انتهاء الدهليز وجد أرضا فسيحة محشورة بالمهمات وبها ما ينوف عن مائة رجل فنادى الوزير بأعلى صوته البشر البشر يا رجال العادل قد قدم رب الخلافة عليكم فها سلطانكم ممدوح يبدى السلام عليكم فسجدت الرجال شكرا لله وحيوا بالخلافة اياه وفرش كل منهم ثوبه وعباه حتى ارتفع الفراش عن الارض وقال الوزير اجلس يا نور العين فجلس الملك واصطفت الرجال أمامه على أقدامهم والوزير والنديم على مقاعد من الاحجار حتى طلع النهار فرام الوزير أن يطعم مولاه فلم يجد سوى الخبز والماء لانه منذ لاقى ذلك الخطاب عند ما فارق مدينة العجم آلى على نفسه أن لا يذوق سواهما ولولا خوفه على انحطاط التدبيرات جوعا قال ممدوح شفيقى انى لم أطق ان أذوق شيأ لتغذيتى بمسرة لقائك ولو كنت على سماط أبى فمكث ممدوح والوزير فى أهنى محادثة ثلاثة أيام بلياليها فقال عقيل مولاى أترك متاعنا بالخان وليس لنا من نعتمد عليه قال الوزير ان رأى المولى أن نذهب معافى غد لارى الدنيا أهى كما كانت أعلها أم تغيرت لانى منذ خرجت من ايران لم أحضر بمحفل ولا برزت الى سوق فيه رجال ولا زقاق ولا تسامرت فى غير التدبير مع الرفاق قال ممدوح نعم الرأى فنادى الوزير على رجاله وأمر أن يتشكل كل عشرة بزى واحد ويخرجوا من المغار عشرة عشرة وينتشروا فى المدينة وتشكل الوزير بهيئة مغربى وخرج مع السيد والنديم وأحكما قفل المغار ووضعت العشرة الاخيرة عليه صخرة فسدت بابه وصاروا الى الخان حتى دخلوا حجرتهم وجلسوا سويا فقال الوزير اسمع مولاى ما أقول مرادى أن أعلم حد ميل الرجال الينا وأختبر حالة العمال أهم مازالوا على شغف الى العادل أم مالت قلوبهم الى الاخسام فقام الوزير ولبس ملابسه الغريبة وصار الى عامل العراق فاستقبله وعظمه وسأله عن كيفيته فقال انى سياح فى حب الله أجوب البلاد وأعبد رب العباد

قال العامل أرشدني بنصحك قال الوزير أول الرشد اطاعتك للملك فهو ولي أمرك
فتغرغرت عينا العامل وقال كيف يطاع اذا أمر ولي الامر بالظلم قال من أين تعلم انه ظلم
وللملوك سياسة يحسبها الجاهل ظلما قال العامل لما عرفت من عدل العادل السابق
فقال الوزير لا بدّ أن ابنه مقتبس من عدل أبيه لان الولد سر أبيه قال العامل وأين
ذاك الولد ليته باق قال الوزير أمات قال لا ولكن لا ندري أين هو أمات في غيبته أم لم
يزل حيا قال سأسعى بالجد في تلاوة كلامه القديم وآتيك بخبره ولكن هذا قولك وما قول
باقي الرجال فلعله أحسن اليهم وأساءك قال العامل اعلم ان صدور العباد حجر أسرار
العباد وحقك ما من أحد من رجال العادل الا وهو مفؤد بحسرته يتقلى من ظلم
الملكين في جمرته قال الوزير لا تتفكر فأنا أجتهد في البحث على وجود ذاك الولد الطاهر
واعتقد انه حي باق فقرت عيناه وظهر سروره وقبل يديه في الحال وقام الوزير من عنده
مستبشرا مسرورا ورجع الى مولاه وأعلمه بالخبر وقال سيدي اعلم بشغفك على اقدام
نيل ملكك فهل لك في الاستراحة أسبوعا لأتحقق اطمئناني عليك ثم نباشر العزيمة على
بغداد لاتمام المراد فأجابه ممدوح على وفق رغبته فسامره عقيل في غيبة ممدوح وقال
اعلم سيدي انه منذ رأى متاع عرسه وسمع من الاعاجم كذا وكذا وقص عليه الامر مختصرا
وهو مشغوف بحبها مشغول بالوقوف على حالها فأملى أن تعده بحديث ليتسلى به
قال الوزير نعم ما أشرت فلما كان الليل قال الوزير أريد أن أعرض على أعتاب مولاي
حديث وزيره ومناهج تدبيره قال ممدوح وأنا أشتهي أن أسمع ذاك في طيب هذه
الاوقات بكل شوق من الفقير الى القطمير ومن الصغير والكبير والجليل والحقير
فتقدّم الوزير واستفتح بالصلاة على الحبيب وقال اعلم سيدي أيدك الله بنصره ان أول
تدبير سياستي لولي نعمتي والدك كانت تلك الحروف التي علمتك بها ثم افتتاح مخزن أرضي
بارض خزينته التي بداخل قصر نومه وهو ممتد الى الكوفة لاذخار ما بقي بعد مصاريف
الحكومة ومنتخبات غنائم الغزوات مع ذخائر الاجداد من أنواع الجوهر والدرر
بشرط انه لم يطلع أحد على هذا الامر الا أنا وهو وعالم الاسرار وأما الخزينة التي كانت
تحت حيازة دشنام فليس بها الا الاموال التي لا تستغني عنها المملكة وما بها من الامتعة
كالموجود في أكف الناس وكافة الامراء والوكلاء لا تعلم الا بها كذلك خزينة السلاح
التي بها غدور والاسلحة التي هي عديمة الوجود كانت في الخزينة السرية وفي علمك
السامي طبيب الملك خبير وهو أصدق عبد في الصدق والامانة وأما ما كنت تراه من
ميله الى ذينك الخائنين فهو بتعليمي له لانه كان جاسوسا مني عليهما لاقف على كنه
ضميرهما فلما كنت بايران وجاءني ذلك الاعلان الاسود وقالا فيه انك فتنت باحد
بنات الافرنج وأبقيت معها الى بلادها وأمراني فيه أن أتوجه الى تلك البلاد للبحث
عليك فاني لما تلوته ولقيت ما لقيت من الفجع والفزع راجعت نفسي وتخليت عن

الذهول وتفطنت فيه فلم أصدق ان هذا قول مولاى وأمره وعن لى انه مات وان هذه مكيدة دشنام وغدور فأرسلت من معى الى بغداد على حسب الامر وكنت لاحقا بهم فى حالة التنكر وأقصى مرامى استدلالى على وجودك وكيف استقامتك فلما دخلت صرت أدور بالليل وأختفى بالنهار خوفا أن يعرفنى أحد بالذات أو الصوت ولست أخشى على نفسى وحقك من الهلاك لكنى أريد بقاءها فلعلها تتوجه بخدمة فيها لنجدتك ونفعك فكنت ذات ليلة أدور كالمعتوه لاستراق السمع فسمعت أنينا فاتبعت الصوت فاذا اثنان من الزنج موثقان بين الصخور وقد تشرحت أجسامهما من الضرب وهما يتلظيان من العطش فبادرت اليهما بالماء وسقيتهما حتى دريا وغسلت وجوههما وحللت وثاقهما وكنت ملتحفا بثوب فشققته نصفين ولففتهما به فاستراحا وتكلما فقالا الى اين مولانا بنفسك جزاك الله عنا خيرا قبل أن يراك أحد فاذا رأوك قتلوك ولا شك فقلت وما جريرتكما التى أدت لما أنتما عليه قالا قد أمرنا القيمان بقتل مولاك لهما فدسرق أمتعتهما وقتلا غلاما لهما وقالا انتظرانا بسفح الجبل حتى نأتيكما به فلما أتيانا به سلماه الينا وقالا افعلا كما أمرنا كما نخرج جنابه الى صحراء المقابر لنقتله ونواريه فى أحد القبور فتأملنا فيه فاذا هو فى أحسن صورة وجمال ولم ترض نفوسنا بقتله فقلنا له لما خنت سيدك وتجاسرت على هذه الجناية فأطرق مليا وقال النفس والشيطان غلبا على فافعلا كما أمرتما فلما سمعنا عذوبة لسانه لم يهن علينا قتله فتركناه وبحثنا على ذئب وقتلناه وجئنا بدمه وقلنا للفتى اذهب بروحك وأسرع بالخروج من أقطار بغداد واياك أن يراك أحد فنقتل نحن وأنت ثم أتينا بذلك الدم اليهما فأتحفانا بملابس ونعال حمر وكنا ذات يوم نتكلم فى شأنه سرا فسمعنا أحد غلمانهما فوشى بنا وقال انهما لم يقتلاه فأحضرانا ثم قيدانا وقررانا بعذاب شديد ونحن مصران على القول بانا قتلناه فأخرجانا من بغداد وأبعدانا عن الناس وأمر اعمالهما بعذابنا حتى نقر أو نموت وكل يوم يأتوننا ويضربوننا ونحن مولعون عطاشا كما رأيت حتى أدركتنا أنت فتأملت فى القصة فلم أشك ان ذلك الفتى سيدى فقلت لعل الله جعل هذين العبدين سببا لنفعى فأول بشارتهما اطلاق سيدى حيا فاجتهدت فى انقاذهما وسعيت فى خلاصهما وقلت عسى أن يحسنا جزاء صنعى معهما فيكونا متمكا لاستدلالى على أملى فقلت لهما انى اتخذتكما ابنين لى وسأسعى فى نجاتكما بروحى وصرت أحمل الواحد حتى أبعده عن المكان فأطرحه وألحقه بالثانى حتى أدنيه منه ثم أحمل الاول وهكذا حتى وصلت لقرب فوهة ذلك المخزن الارضى فاحتميتهما بين الصخور وأتيت باب المخزن وأزلت التراب عنه وفتحته وسددت الباب الذى منه الطريق الموصل الى خزينة القصر بأحجار ثم جئت اليهما وقلت وجدت حفيرة أظنها كانت دارا قديمة وعلت عليها الارض فأنا أواريكما فيها وأعالجكما حتى يمن الله بالشفاء فصارا يدعوان لى بكل جهد ويشكران فضلى ولم تساعدهما الانفاس الا بالصعوبة ثم حملتهما

واحدا بعد واحد حتى أنزلتهما فيه وصرت أخدمهما باحضار الطعام والشراب وأعالج
جراحاتهما بالمراهم حتى شفيا وصارا يترقبان خدمة آمرهما بها فقلت لهما انى قدمت
بغداد أرجو احسان الملكين فكيف علمكما بأخلاقهما فى المنة فقالا الكفوف وقالا انهما
وحقك ليسا بملكين قطع الله دابرهما بل هما قيمان لخزائن الملك العادل وكان له ولد واحد
فلما تمرض أقامهما فى الحكم بالنيابة عنه وسلمهما ولده فلما توفى توليا مكانه وطغيا وتجبرا
وأبعدا ولده عن الناس ولم ندر حاله قلت وأنتما لمن كنتما قالا كنا حراثين بضياع الوزير
مالك فلو كان مولانا بارضنا لم يتملكا أمر مملكتنا فطاب خاطرى بسماع هذا القول فقلت
حسبنا الله ونعم الوكيل لو كان يمكننا غدرهما وتسليم الملك لولده لكان أحسن صنع فدقا
صدريهما وقالا لو تمكنا منهما لصيرناهما جذاذا فهما اللذان أمرا بصلبنا وضربنا حتى
الغلام الذى لم نقتله كان غلامهما فاستبشرت بهذا التصادق وقلت أن أول سعى نجح
بشارتى بحياتك وبغض الناس لهما فبادرت بأول التدبير وتوكلت على الرب القدير
وقلت لهما انه قد وصف لى أحد الاجاويد وهو شخص يسمى خبير فهل تعرفانه أوزير
هو أم أمير قالا نعرفه هو كان طبيب الملك ولما حل بالعادل ما حل بلى بعلة التقاعد وهو
الآن لا يخرج من بيته فقلت فى نفسى فيه قولان اما أن يكون حقا قد تمرض بفجعة
بفقد مولاه واما أن يكون تمرضه تصنعا لبعده عنهما حيث مات الكبير وغاب من العبيد
الصغير فليت شعرى ما صحة الخبر فقمت من عندهما وجلست بعيدا وصرت كانى أبكى
وأتأوه فقدما على وقبلا أقدامى وصارا يبكيان حنانة على ويقولان جعلنا فداك ما الذى
أبكاك قلت قد أوحشتنى أهلى وعيالى ولم أجد الى الرجعة سبيلا الا بالمساعدة قالا وكيف
تكون المساعدة قلت بايصال رقعتى بطلب الاحسان الى ذلك الطبيب قالا نحن نوصلها
على أعيننا ولو نقتل فداءك ولا ناقلت انى أريد أن أرسل أحدكما متنكرا لاجل أن لا يعرفه
أحد قالا نعم دونك وما تريد فأحضرت ملابس النساء وألبست أحدهما وكان أجردا
فلبس وعصب رأسه وحنى يديه واكتحل وتطوق بالخرز وأسلمته الرقعة بخطى وسألته
عن حاله أتصنعا أم حقا ثم ربطت رجل العبد بخرق مدهنة وأمرته أن يعرج عرجا
شديدا واكتريت له بعيرا وأركبته اياه وناولته الرقعة فصار مع الركبان حتى دخل بغداد
ودخل على بيت خبير وجلس على بابه يئن ويبكى من ألم رجله وهو متكئ على عكازين
مطروح على الباب وهو يقول ادركونى يا أهل الدار واقصدوا الاجر والثواب فسمعه
خبير وكان كثير الحنانة على المرضى فأمر بادخاله فأدخلوه فجلس بجانب الحائط يدعو لهم
ويتأوه على حسب ما علمته فأحضره خبير أمامه وقال حلى عن كراعك يا جارية قال العبد
لم أقدر ألمسها فتقرب منه خبير وأراد أن يحلها فأمسك العبد احدى يديه وغمزه فيها فعلم
خبير انها غمزة فقال أعندك ألم فى الركبة قال نعم عندى قال خبير فسلمنى ذلك العضو
فسلمه العبد الرقعة مدسوسة قال الوزير وصرت أنا يا مولاى أتقلب فى دثار الانتظار

حتى قدم العبد على وفى يده مخصة دنانير وقال لى بيشاشة هاك الذهب وهو يقول كلما احتجت اليه فاعلمه به يحضر لك قلت وما الذى رأيته منه قال سيد أديب لكنه يرجف وتصدر دموعه بلا داع قلت كيف ذلك قال تقدم لان يحل رجلى واتكأت على يده كما أوصيتنى قال أعندك ألم قلت عندى فارتجف فلما ناولته الرقعة دساو فتحها وتلاها زادت رجفته ودموعه وصار يكرر تلاوتها مرة ويشمها ويقبلها ويقول لفشاطى بالثواب ثم وضعها فوق صدره وغطاها باللابس وجد فى اكرامى وكتب هذه وناولنى الدنانير وقال عجل بالسير وكلما أراده فأنا حاضر لتأديته فتلوت كتابه وقد بسط فيه يوم فقدموا لنا وكيفية لحده وحسرته على عدم علمه بمستقرك لانه أراد أن يقيم معك واستأذنهما بذلك فلم يرضيا وغطيا عليه أمرك فكتبت له رقعة وبشرته بحياتك لانى لما دهيت بذلك الامر المتصنع من الخائنين ورجعت الى الكوفة متنكرا وكنت أسهر بالغارات وأبيت ليلى أنهى فقد الملك وفقدك حيا ويغلب على الظن ان الخائنان ألحقاك به فغلب على النوم ذات ليلة فرأيت كأنى فى البستان المعهود الذى دفن فيه سيدى وهو جالس يخاطبنى وأنا أمامه فقال أى مالك ما هذا العويل وما الفائدة العائدة عليك منه أترضى خيبة أملى فيك وما أعددتك الا لمثل هذا اليوم فهذا وقت ضربة تدبيرك وقد جعلك الله سند الولدى من بعدى فاترك بحق عليك ما لا يفيد واسلك سبيل ما منه تستفيد واسع يا وزيرى بتدبير رأيك الصائب وساعد بساعد السعى فى المطالب ولا تندهش بمصيبة فقد العادل واجتهد كما عودتنى بصدق القلب والقالب واعلم بان الملك عائد لممدوح بعون الملك القادر الجبار مكور الليل على النهار فلست جاهلا بصدمات المحن ونازلات الفتن فالادبار سبع سنوات ثم يقرن بالمنن ويقبل الاقبال بما اشتهيت من الزمن فقمت من نومى وصوته فى الصماخ فحمدت الله الذى من على بهذه البشارة وأنمر وعلمت انه فى دار الحق لا ينطق الا بالحق فثبت جنانى ونطق بالخير لسانى فبشرت خبيرا بحياتك معتمدا على هذه الرؤيا وقلت له تكفيك هذه البشارة اغا أعرفك ان حديث التدبير الذى هممت به لا تسعه الرقاع فأملى أن تتزيا بزى النساء وتحضر الى وأخذ العبد الرقعة وسار حتى أوصلها له وانتظرت مسافة الغياب والاياب ثم حضر العبد ومعه الطبيب فأخذته ودخلت به المخزن وأجريت نخبة الاحباب ثم قلت له يا صديق الخير هذا وقت السعى والصداقة قال أنا بين يديك قلت عندى المال وأملى الرجال وأرى ان هذا الامر لا يتم الا بمساعدتك لانك فى هذا وسيلتى وستصدق بسعيك عند حسن الختام حيلتى قال روحى تحت قدميك ولسان طوعى يقول لبيك فقلت أول السعى تظهر شفاءك وتخبر شفاء ثم وغدوربذلك ثم تذهب اليهما وتزداد فى اظهار التغضب عليهما والحنانة اليهما وتعرفهما ان أسباب مرضك شدة حذرك عليهما من مكايد رجال العادل وتقول انك تمسى وتصبح فى فكر تدبير حيلة لامنك عليهما حتى ألهمك الله حسن الختام فى التدبير فلما

انشرح صدري بلطف عاقبة أمري زال عني المرض وصممت على دمار هؤلاء الرجال
بالتدريج بحيث لا يعلم بي أحد فلما تم الامر الى هنا تحضر الى كل أسبوع لتخابر بما سار
ونتحدث بما تراه فتهلل وجه خبير وودع الوزير وصار الى منزله وباكر القيمين باخبار
صحته وحضر بعد يومين لديهما بكل بشاشة وقبل أيديهما وجلس أمامهما يبث سروره
فسر به وسألاه عن أسباب مرضه فقال أحمد الله الذي متعني بهذا الادراك وألهمني هذا
التدبير حتى أمنت عليكما من كل سوء قالا وما الذي كنت تخشاه وكيف أمنت قال علينا
بالخلوة فدخلا معه قال خبير في علم سيدي خلوص ودي القديم وحسن صداقتي اليهما
قالا نعم قال أسباب عتي حذري عليكما من مكايد رجال العادل فكنت دائما مشغول
الفكر أتأمل في معرض ازالتهما عنكما شيأ فشيأ بشرط أن لا يدري أحد بما حل بهم
ولا يشيع أمرهم فكنت ذريعة لذلك فانحسر وأدتني الحسرة الى التقاعد فلما حان
الوقت من الله علي وألهمني مارست وطابت نفسي وشفيت من علتي وأملي الاسعاف
بالتجهيل فسر الرجلان وقالا وكيف ذلك قال أحضرت من النباتات المرقدة خلاصة
وكانت تلك الخلاصة سما يمتد مرضه سبعة أيام في صفة الحمى ولا محالة عن الموت بعد
السبعة أيام فالذين أعهدهم من المبغضين لكما أدسهم فيموتون واحدا بعد واحد باحسن
طريقة ولم يشعر بهم أحد حتى ينقطعوا عن آخرهم وتطهر المملكة من بغيهم هذا ما على
وأما ما عليكما أن تزيدا مرتبات عيالهم ومعاشاتهم لتأييد دفع الشبهة ويكون غسل تلك
الرجال ودفنهم بعهدتي وذلك ليلا للستر على الامر لان شعائر السم تظهر بعد الموت ببرهة
قليلة أيضا وتكون اللحادون من طرفي وانى سأشيع في غد ظهور الحمى وأعلن بمنع
الاغذية الحارة قال الوزير فسر برأيه وأجازه بتحف جليلة فلما كانت الغداة أشاع
خبير ظهور الحمى وأعلن أمره ونهيه وأمر الملكان ان كل من أصيب بها لا يعالجه الا خبير
وكلما احتاج اليه العليل يكون من الخزينة بمعرفة خبير حتى التجهيز والتكفين واللحد
ورتباله أربعة أنفار ينتخبهم هو كما يريد وكان من ضمنهم هذين العبدين اللذين أنقذتهما
فصار خبير يأتي لمن يعلم صداقته ويريه الامر بخطى فيطير فرحا ويخبره بالحيلة فيرقد من
ساعته وخبير يستولي معالجته حتى يقضي عليه ظاهرا فيأتيهما ويقول أراحكما الله من
فلان فيفرحان ويأمران بتجهيزه كما تقرر وكان خبير يقد الاكفان بازاء أنوفهم للتنفس
فلما يصلون الى اللحد يتقدم العبدان وينزلان في القبر ويلاقيانهم وينزعان أكفانهم
ويسقيانهم وكان الطبيب أمر بعدم سد القبر الى الغداة اذ ربما ترد أرواحهم اليهم فلما
تنصرف الناس يخرجون من القبور وقد أحضرت لهم الدواب فيركب الرجل مع
العبدين حتى يوصلاه الى وصار الامر على ذلك حتى قدم على عشرون رجلا فشرعنا في
حفر المخبا الى العراق والرجال يتسللون علينا بمعرفة خبير حتى بلغ القدر ألف رجل
فكنت أشكل كل عشرة بشكل وأخرجهم للرياضة وكلما وصل حفر المخبا الى بندر

أجعل له بابا فيه من عند الجبل أو داخل ارمان وأطلق فى ذلك البندر مائة رجل كل عشرة بشكل يخرجون عشرة بعد عشرة وأقلدهم بالاسلحة الحادة وأسلم المفتاح لقيمهم وكنت أخرجت صندوق مال من الخزينة وجعلته عندى وكلما امتد الجبل أخذته معى حتى وصلنا الى هذا البندر وقد تداركت للقوم ما يكفيهم من الاسلحة وهممت باستنشاق زهر حديقتى واجتناء ثمرة سعيى لدواتى فجردت فكرى وخلصت ذهنى لتصوّر كيفية البحث على سعادتك ولم يسعنى فعل ذلك ظاهرا لانى أخشى الاشاعة فيسمع الخائنان ويسعيان بالبحث عليك فرتبت تلك النظارة ونقشت عليها الاحرف التى لا يعرف أحد أن يقرأها غيرك ووضعتها بين مسالك الثغور ونصبتها فوق ذلك الجبل وتضرعت الى أوجدك أن يمنحنى بوجودك قريبا لاجعلك بجراح قلبى طبيبا وها قد أجاب المنان دعوتى وأنحفنى ببدر عزى ودواتى قال ممدوح سأشكر همتك ما هب النسيم وناح قمرى على غصن قويم لكنى أعلمك يا ذخيرة والدى انى قصدت التجارة لاشغل نفسى بالاخذ والعطاء فصادفنى متاع بوران المعدل فاقتنيها فلما رأيت العقد والسوار تحرك عندى لاعج التذكار فأحببت أن أستدل على خبرها فسافرت الى ايران فلما قابلت الاعاجم سألهم النديم عن حال الملك فاجابوه بحديثها وقص عليه ما سمعه منهم فرادى أن أستدل على خبرها بتفوذك وأعلم أماتت وقضى نحبها أم مازالت بقيد الهوان يزداد كربها فان كانت ماتت فانا لله وان كانت بقيد الحياة فنسعى فى لم شملها والتوكل على الله قال الوزير عزيزى لا توهم فكرك بموتها وحقق انها على قيد الحياة وستفوز بقربها فى أقرب وقت فى أشرف الاوقات ألم تر نفحات السعد قد بانت لك بلطف ربك فكل فوز بعونه لاحق بك واعلم ان خروجها من حيازة أبيها صيانة لها من مس كف غيرك لانها لو مكثت عنده كما تقرر لزوجها بابن أخيه فلا غرو ان غيبتها عن وطنها صيانة لها حتى ينتهى زمن ادبارك وتلك محنة قد عمتها لانها فى عصمتك فادبار الرجل واقباله لاحق بعرسه وهذا دليل على خلوص صداقتها فى الالفة لان الزوجة ان لم تكن تقية الخلوص لانكثرت بضيم الزوج ولا بغمه ولا تشاركه فى همه فاذا نال نعمة أحبته وتمتعت بها وان أصابته نقمة همت بفراقه وتنحت عنها وقد زالت سيدى تلك المحن وانمحك عقال الطالع فقد كان الادبار يعقبنا فى كل نية فدفعته يد الاقبال واهدتنا كل أمنية وتحقق لنا مثل التيمورية وهو

يد الادبار ألقتنى * بجب اليأس واخترات
فغارت كف اقبالى * ولى من وقعتى نشلت
وارقتنى بقدرته * وجازتها بما فعلت

فادفع عنك سيدى ما يهمك من الفكر وقدم أمر الخبا ونحن نتوكل على الله فى العزيمة على بغداد فرجالنا تصير من باطن الخبا ونحن على حدتنا نسير من الخارج فى زى

الدراويش ونقوم على كل بندر حلنا به نسترق الاخبار ونأمر الرجال بانتظارنا في
الكوفة ويخرجون عشرة عشرة بخلع مختلفة فان تحصلنا على خبرها حصل المقصود
والا فلا بد لك من حسن اهتمام بعد نفاذ المملكة وتخلصها من أكف الانذال فلما غلك
تختنا ونقهر خصمنا تستريح أذهاننا لك على ان أجد البحث عليها وأغيب ولا أحضر
الا بيشارة وجودها قال عمدوحنهم ما أشرت به من القول الصائب انما يكون في شريف
علمك اني لم أتهنى بشيء من ذلك المكث حتى أحظى بوجود من رضيت بالذل وتركت
عزها لاجلي فان وجدت تم سروري والا فحظي بملك أبي وتخلص تختي من الاخصام
يكفيني وأتقلد بشعائر الرهبان في طرق الزواج وأعيش محرومًا من البنين والبنات الى
الممات والملك بعدي لصاحبه مع علمي بان كل أديب يلومني على سوء تدبيري حيث اني
أقطع النسل من أجل صبية لم ترني ولم أرها ولكن لا حيلة لي في قضاء الله وقدره قال
الوزير مولاي ان في خزائن غيب الباري مالا يخطر على البال من النعم وقد رأيت من
تلك الغرائب نبذا تحقق لديك قولي فصم على الخير حتى تلقاه وأنت بالخير ثم نهض به
الوزير الى السوق واشترى خلع الدروشة وأمر الرجال ان تتأهب الى الرحيل بالزاد
وما حضر من الاسلحة وكل رجل يحمل زاده وسلاحه على حسب طاقته وكان فيهم
مستشار العادل وهو الآن أمير الجيش الممدوحي وبادر الوزير بنقل أمتعة العروس
الى فوهة المخبا وسلمها اليه وهو داخل خمسة صناديق ورتب له عشرة رجال تحمله
خمسة بعد خمسة وقال للامير اذا وصلت الكوفة فصف الصناديق في فسح المخبا فتقلد
الامير بتلك الخدمة وودع بعضهم بعضا وساروا على بركة الله وتوكل السيد والوزير
والنديم على صاحب اللطف القديم وعادوا الى المدينة واشتروا بعيرين وركب الوزير
والسيد على واحد والنديم والزاد على الثاني فكانوا كلما دخلوا بندرا ينسابان مالك
لاستراق الاخبار والنديم يمكث لمسامرة المولى حتى قرب الدخول الى بغداد فدخلوا
ذات يوم بندرا عظيما وكان الدخول عند الغروب فأناخوا أظمائهم وشدوا خيامهم
وكانت ليلة البدر وكان الفضاء فسيحا وكلما مر من القوافل ليلا يبيت به للاستراحة
فاحتاطت بهم الركبان وجلسوا معا وانفرد بساط المسامرة فقال أحد رجال القوافل
جزى عني زاهد هذا القطر خيرا الاني نلت بدعائه كلما أملته قال الوزير وأين هو قال في
صومعة بهذا الجبل وهو أشهب اللحية نوراني الصفة مقبول الدعوة بلغ من العمر ما ينيف
على المائة وهو لا يقابل الناس الا فردا فردا فلما سمع الوزير هذه الشهرة الحسنة أخذ
مولاه والنديم وصعدوا اليه ليدعو لهم بحسن خاتمة التدبير وتسهيل كل أمر عسير حتى
وصلوا الى متربع صومعته وكان الزحام كثيرا فانتظروا حتى انتهى ذلك وصفا المزار فتقدم
ممدوح ودخل عليه وصار الوزير والنديم ينتظرانه بباب الصومعة فوجد الشيخ في
المراقبة واضعا رأسه على ركبته والنور يلوح من لحيته فجلس الفتى امامه جاثيا على

ركبتيه حتى أفاق من حاله وتحدثا فطال المكث وغاب على مالك وعقيل حتى ضجرا
وقرب الفجر فلم يسعهما الا الدخول فدخلا عليهما فاذا الشيخ والفتى مطروحان على
الثرى لا يعقلان ففرت عقولهما وكادا ان يهلكا فزعا على مولاهما والشيخ وقعت
قلنسوته وانحل رداؤه الملتحف به وانتزعت لحيته ووقعت بجانبه وانهدلت على الارض
الذوائب والتوت على الاصداغ من الزلف العقارب وانكشف الصدر ولمعت الثديان
في ضوء القمر وظهر جمال القد وسواد الحور وقد الصق الخدود بالخدود والراحة
بالراحة والتم الشمل ببرهة كانت سببا لكل راحة فلم يشكا انها بوران المعهوده
والبغية المقصوده فبادر الوزير غطاها بالرداء وأخرج النديم زجاجة عطريه وأنشق
مولاه ثم الصبيه فأفاقا لوقتهما وتوارت السيدة بالازار وجلس الفتى شاخصا لها
فتقدما الرجلان وقبلا الارض أمامهما وهنآهما بالشمل والملاقاة وبسطا الراحات
بالدعوات لاتمام المسرات وكان ممدوح صامتا وتلجلج لسانه من شدة الفرح ومفاجأة
المراد والصبية تتوارى خجلا من الرجال فتقدم الوزير وأخذ بساعد مولاه وأقامه من
الارض وخرج به الى خارج الصومعة وأقعده على حجر فتمكن من النطق فقال قد بلغني
الله بفضله أقصى مرامي وصدق بكرمه كل ما بسطتموه من الحديث أمامي انما كيف
يكون تخلص هذه المصونة من أكف الناس وزعيم البلدة قد رتب لها كل ما تحتاج اليه
وهو يزورها ويتبرك بدعائها وكافة من ببلده فقال الوزير سيدي البسها ملابسي
وخذها وتوجه أنت والنديم وانتظروني ثلاثة أيام فلبست الفتاة ملابس الوزير ولبس
هو ملابسها وتوجهوا بها الى منزلهم وجلس الوزير مكانها فلما كان الليل قدمت الناس
من كل فج والشيخ لم يأذن بدخول أحد فلما قرب الفجر خرج الشيخ عليهم وهو يقول
اخواني وأصدقائي كنت أدعو لكم من صميم قلبي وأرجو لكم ما رمتموه من فضل ربي
فأنا اليوم ألتمس منكم الدعاء بحسن الخاتمة لقد حان وقت الرحيل الى السفر الطويل
وبعت الفنا بالبقا وتخلصت من دار الشقا ومازال يمثل هذا الحديث يتكلم حتى
جرح القلوب وكلم والناس تبكي من وعظه وفراقه حتى بزغت الشمس قال أوصيكم سادتي
اذا جئتم في الليلة القابلة ورأيتموني قد تجردت من الحياة وتأهبت للقاء عالم الخفيات
ان تحملوني من فضلكم الى ذيل الجبل وتضعوني فوق الصخرة التي هنالك وتمضوا في
حفظ بارئكم الى المنازل وتعودوا الي في الليلة التي تليها فان وجدتم جيفتي فألحدوها
وتكلفوا المشقة لاجل الثواب وان لم تجدوها فاسألكم تلاوة المثاني والدعاء بالمغفرة
ومني السلام عليكم ثم دخل صومعته فلما حان الليل قدمت الافواج فوجدوه ميتا
فحملوه ووضعوه على تلك الصخرة ورجعوا ينعونه ويبكون حتى أقبلت الليلة الثانية
فحضروا ولم يجدوه فجدوا في التلاوة والاستغفار وصيروا تلك الصخرة مزارا وقالوا
قد تولت الاقطاب تجهيزه ولم يحتج الينا وأما الوزير فزال راقدا حتى انصرفت الناس

فقام والتحف بردائه وقدم على مولاه فوجد النديم والسيد يتحدثان والسيدة داخل
الحجرة فحكى لهم مادبره للخلاص فاستحسنه السيد وصار يثنى عليه فلما سمعت السيدة
حسن هذا التدبير قالت أود أيها الوزير ان تشمنى بمثل هذا التدبير لتكشف هوان
سياحتى وتحط عنى الذل والعار لدى آل بلدتى قال على العين فلتأمر السيدة كما تريد
والعبد فى طبق المرام على الوسع يزيد قالت اعلم أيها الوزير انه لما بلغنى انتقال الملك الى
دار البقاء ثم غياب هذا السيد المحفوظ دخلت على والدى وأبديت ما أبديت كما بلغكم وقلت
أنعاها حتى ألحق بهما فهم والدى بزواجى كما تقرر بابن عمى وكان توقفه عن طلبى لعلمه
بانى أكرهه وكان يقول سأتركها حتى تكبر عن وقت الزفاف فترضى به فلما قدمت
ومن الله على بخلاصى منه صار يتلطى من شغفه فلما أسعفه الفلك بما حل بنا أجاز من
بشره بالفى دينار وصار يوعد أمراء المملكة باجزل انعام ان ساعدوه على زواجى فلما
سألهم والدى على سبيل الاستشارة بادروا بقولهم لم يسلها الا الزواج وأمره ان يغلظ
على به وقد كان فلما حان الميعاد أخذت المتاع الذى أتيت به أنت وخرجت متنكرة من
ذلك اليوم وجدت فى المسير وعزمت على بغداد حتى قدمت الى هنا فبلغنى ان قمماه
قد استوليا على ملكه ولم يسألا عن مولاهما الذى أمدهما بالنيابة عنه وسلمهما ولده
ولم يعتنا عنه وأشيع انه أبق مع احدى بنات الافرنج فلم يرج عندى ذلك الخبر وقلت
وحقهما انها المكيدة أشاعاها المنافقان طمعا فى تخلص الملك لهما فلم يمكننى دخول بغداد
ولم يرضنى فراق تربتها حيث انها منشأ مالكى فتشكلت بالزهاد لاتحصل على القوت
وكنت أدعو لهما بخلوص وانكسار فيقبل ربى دعوتى وكنت ادخلهم واحدا بعد واحد
لامرهم باظهار سرهم فلعلى أقع على خبر أو أثر وكان فكرى يحدثنى انه اذا وجد وساقه
الرب الى لاشك فى حصول الاغماء لى فاذا حصل ذلك افتضحت بين الناس وقد كان
ما تخيلته فاحمد الله الذى أمدنى برؤية من كان يرغب ان يرانى وارغب أنا ان أراه ففكرى
الآن كيف أتوصل الى بلادى بشرفى وأدخل قلعة أبى بصيانتى ثم يبعثنى هو الى هذا
العزيز بسيادتى ولاغرو ان كان أبى سيرمينى بكل فحش ويلوث عرضى بكل عار قال
الوزير وحقك انى لادبر حيلة يعجز عن فهمها الاريب ويضل عن ادراكها النجيب
ثم التفت الى مولاه وقال توجه سيدى أنت الى الكوفة وهاك مفتاح المخبا فافتحه
ليلا وانتظر الرجال فاذا قدموا مرهم بالخروج عشرة فعشرة وكل عشرة بشكل حتى
ينتشروا فى البلد بالتدريج وأنا أوصل هذه المصونة الى والدها ثم أعود ويتم التدبير
كما نشتهى بعون المعبود وتوجه الوزير وبوران الى ايران والنديم ومولاه الى
بغداد ومازال الوزير حتى قطع البقاع وقرب من الاعاجم فاشترى بالونا وجعل له
جناحين وارجلا ومنقارا كبيرا وصيره فى هيئة طير كبير فلما دخل مدينة الحكم سأل
من بوران عن جبل بالقرب من قلعة أبيها فعرفته ان الجبل الذى يعشون فى ظله ممتدا

الى القلعة و بظهره فضاء كبير يجتمع فيه الامراء والوزراء كل ليلة جمعة للتداول فى
الاستشارة فى كل أمر يهمهم و يقربه محل اعتزال والدها التى كانت هى به فاخذها
الوزير واختفيا تحت ذيل ذاك الجبل حتى حان الليل وكانت ليلة الجمعة وانتظر حتى
تكامل المجلس وعمد الى البالون وشحنه بالنفس وقال للصبية اذا ارتفعت أنابه فتعلقى
برجله فلما ارتفع قبضت على ساقيه وعلا بهما من وراء الجبل حتى فات ذروته وصعد فرأته
الاعاجم كأنه ظلة فصاحت الصبية واى واى اى غوث راناواى شيذر توانا وهذه كلمة
تقولها الاعاجم حين ما ترمى بهول فجأة ✽ قالت المؤلفة هذا وكانت تدعونى ربة
المعالى وكنز اللآلى وأعنى بها والدة صاحب السمو اسمعيل باشا الخديو السابق تغمدها
الله برحمته ومحاها فسيح جنته بالقصر العالى للترجمة عند حضور أقارب ملوك العجم
فكنت أسمع هاته اللفظة من أفواههن وهى كلمة تقال عند مفاجأتهن بشئ ثم اوكنت
أقيم معهن على قدر اقامتهن وأتسامر معهن وأستفسر عن عوائدهن وأخلاقهن ✽ ثم
ان الوزير تنزل بتلك الهيئة على جانب الجبل الثانى وهو مما يقابلهم حتى لحقت بوران
بالارض فتخلت عن البالون فارتفع هو بما لونه وانحدر الى ظهر الجبل وأسرع كأنه سائر
الى محله فاندهشت الاعاجم ورأوا الصبية قد جلست فى البقعة التى نزلت بها وصاروا
يتقربون منها مع الخوف والحذر لجهلهم بها فلما قربوا منها رأوا المعان الجوهر فأرادوا
ان يتأملوا فقامت بسرعة وانحدرت من الشاهق وفرت الى بستان أبيها وصاحت يا أبتى
أدركنى يا أبتى أدركنى فسمع والدها صوتها وخرج من عزلته ولحق بالبستان بدون نعال
فرأى ابنته والقوم يهرعون اليها فحماها كالطفل حتى دخل بها الحجرة وصار يقبلها
ويقول أبوران أنت وأنا يقظان أم نائم وهى تقول والدى وعزيزى ليت شعرى ما الذى
تخيلته حين مارميت بفقدى فلما تحقق انها هى أمر الزمرة بالجلوس فجلسوا أفواجا
أفواجا خارج الحجرة فقالت بوران أعرض على آعتابك باسبب حياتى ثم على مسامع عصبة
أمرائك ووزرائك انك لما أمرتنى بترك العزلة ومضت المدة وعلمت اليوم الذى تروم
حضورى فيه لبست ثيابى وجوهرى وتأهبت للحضور وخرجت الى الروضة لانشق
النسيم على حسب عادتى منذ أمرت بترك العزلة وصعدت على كثب لاقابل الهواء
والتحفت بازارى حذرا من تأثير الهواء فاذا أنا بظلة أظلتنى ولم أدر ماهى فدهشت من
روعى ولم أشعر الا بشئ احتملنى وارتفعت عن الارض فغبت عن نفسى وسار بى ماشاء
ثم فطنت فاذا أنا باقطار لم أعرفها وصار ينزل حتى أحسست بالارض كما رأت عصبتك
فألقانى على الارض ونزل يشرب فاذا به طير كبير ورأيت بجانبى عظاما كثيرة فعلمت ان
ذاك الطير يأتى بالذى اختطفه ويأكله هناك هو وقبيله وكانت الشمس قد بزغت
فامطت الازار عنى فلمعت الجواهر فلما رآها ذاك الطير فر هاربا وتخيل انها نار فقمت
وتواريت تحت الصخور وكنت كلما أريد ان أتقوت أخرج الى الشمس فتهرب الطيور

والوحوش من بقعتى وأتناول من أثمار الاشجار اليابسة والرطبة حتى اكتفى وصرت على هذا النسق فلما أعيانى المكث ولم أر أحدا يفقدنى عزمت على قتل نفسى وكل أفكارى كانت فى تخيلك وتخيل رعايالك لانك ربما ترمينى بالفحش فكنت أصبر وروحى عن الموت وأرجو الله فى انقاذى ليثبت براءتى لديك ويشهد بطهارة عرضى كل من بين يديك فلما يئست من العود صممت على القتل فخرجت واغتسلت ولبست جوهرى وتأزرت وجلست فى بقعة الوحوش أنطق بالشهادتين فاذا أنا بذالك الطير اختطفنى وعلا وكنت بين يديه أرجو الموت قبل نزول الارض حذرا ان تكون تراته بارض عامرة وتحتاط بى الناس فأفتضح فساقه لطف الله الى تربتى وبقعة تختى ودواتى فلما تأملت وجدت محل عزلتى ولم يخف على بستان ولى نعمتى فلما عرفت أرضى ورأيت قومى وعصبتى أحسست ان كل وريد من وريد جسمى ينطق بالشكر والحمد فأسرعت بالدخول الى الروضة وصرت أنادى يا أبتى وهذه قصتى وداعى غيبتى وقول بوران كان على حسب تعليم الوزير فخرج الملك وأمر بدق فسطاط الوليمة وخرجت السيدة بموكب عظيم فى الغداة حتى دخلت قصرها واستأذنت والدها فى الاستراحة سنة حتى يترعرع جسمها ثم ترف على ابن عمها وذلك كان انتظار التمام حسن تدبير الوزير ولما أوصلها المشار اليه ورجع الى بغداد ودخل الكوفة على مولاه وجده هو والرجال فسر به وفرحت الرجال وقص الخبر عليه كما جرى واستراح من سفره ثلاثة أيام

الفصل الخامس

ولما كان الرابع نادى على خبير وقال أخى هذا وقت السعى والتدبير وما بقى الا القليل وهو الوجه الكبير أنت تعرف تلك الخزينة المعهودة قال خبير نعم حق المعرفة قال الوزير انى رأيت من حسن التدبير ان تأمرهم بالمبيت فى قاعتها ومعهم كل من يثقون به من رجالهم وأنت أيضا معهم وتضع لهم خلاصة من النباتات المرقدة فى الشراب من دون ان يشعر بك أحد قال على الرأس والعين وقام خبير من ساعته متوكلا على الله فى اجراء ما تقلده وقال للوزير مهلتى منك أسبوع وأحسن الختام ليلة الجمعة ثم التفت الوزير الى الرجال وقال أين مقر رئيس الجيش الآن قالوا بالقشلاق الجديد تجاه القلعة فسمى عشرة من رجاله ونادى عليهم فحضروا فشكل كل واحد منهم بشكل وتشكل هو بزى المغاربة وقصد التوجه الى بغداد برجاله ظاهرا والباقى من داخل المخبا حتى دخل المدينة وطرق بالجيش وكتابه بيمينه وتوجه نحو الامير ونادى هل من صاحب حاجة هل من طالب حالة فتقدم اليه أحد العساكر وقال أخى سر هذا الحديث فقال لم أسره قال مرادى ان أمضى بك الى رجل رئيس تظهر له ضميرا فان سمعك أحد لم أقدر آخذك اليه قال قد أمسكت فخذنى فاخذه العسكرى وأدخله حجرة

وقال

وقال انتظرني وغاب وآب برجل وكان الرئيس فعرفه الوزير فارخى عصابته ولفلف
لحيته وكان الرجل من مستحفظين القلعة من المتقدمين عند العادل وهم ثلاثة اخوة
نخرج أحدهم بحيلة الموت وكان الثاني بعساكر الكوفة فلما سار أخوه أعلمه بدسيسة
الوزير فخرج على وجهه وظنوا انه أبق فتقدم الامير الى المغربي وقال افتح كتابك
وأسمعني خطابك فلعل فيه ما يحيي ميت قلبي فاستقبل الوزير القبلة وصار يتلو الفرقان
العظيم ثم فتح كتابه وصار ينظر فيه ويستغرب فقال الامير ما داعي استغرابك قال أرى
ان لك اثنين من عنصرك أحدهما مات امامك وليس هو بميت بل هو حي قال الامير أمر
غريب قال الوزير والثاني أبق ظاهرا وليس هو بآبق بل هو مع أخيه وأرى ان طالعك
كان عاليا مع أكبر نامس بلدك ففقد وانحطت همتك حزنا عليه وان من عنصره فتى بين فوج
من الرجال والرجلان اللذان غاباعنك هما بميته فغاضت دموع الرجل وقال أين ذلك العزيز
الذي هو من عنصر ذلك الجليل قال الوزير بين رجاله وقد قرب وقت اجتماعك به فاستجفت
فراقص الامير طربا وقال حقق سيدي النظر فصار الوزير يقلب أوراقه ويزيد فيما يؤكد
قوله عنده فدعى باحد الرجال وقال اذهب الى فلان وفلان وأتني بهما فسار الرجل وأتى
بهما بعد قليل فاذا أحدهما كاتب سر الوزير وأبوه مستشار الجيش الخفي والثاني صهر
عقيل فتقدما وأضمرا ضميرهما وفتح لهما وصار يقول لهما على حسب معرفته ثم قال لصهر
عقيل ان الرجل الذي كان سند الملك وغاب عنك قدم أرضك مع ملك عالي المقام وسيجتمع
عليك في أقرب وقت باهني مقصود فهاجت الرجال طربا وقالوا اللهم صدق قوله ثم
أكرموه غاية الاكرام وأضافوه فلما كانت الليلة الثانية جمع من عساكره فوق
الثلاثين رجلا وصار وا يتقاءلون والوزير يحكي لهم باحق القول كما يعهدهم وقد رأى
من حالتهم ما أثبت صدقهم عنده فلما كانت الليلة الثالثة قالوا له أيها السعيد قد ضل منا
فتى ونريد تحقيق أمره فدع الجميع وتحرى استخراجه وكانوا يعنون ممدوح ففهم
الملحوظ وقال ابن من فيكم قالوا ليس له أب فنظر في كتابه وقال انكم تخفوا عني صحة أمره
ولم تأمنوني فالله على كل خائن فقالوا نستغفر الله ياشيخنا انا لو علمنا ما بنا العذر تنا قال
لا حاجة لي بايضاحكم واعتزل بكتابه برهة وصار يتأمل ثم التفت اليهم وقال مرادكم
السؤال عن ابن العادل ممدوح قال فلم تملك الرجال أنفسها على الكتمان وقالوا نعم قال
لكم البشرى بقدومه ويحتاج الحال الى جمع كثير ممن وثقتم من الرجال فاستبشروا قائلين
امهلنا الى القابلة فلما كانت القابلة قالوا شيخنا كثر اللغم باطيام ونخشى اتضاح الامر قال
فرقوهم الى الفضاء الشرقي بين الكثبان وكانوا أكثر من ألف رجل وخرج الشيخ وجنوده
العشرة حتى صار بين الرجال وهم محتاطون به وكان الوزير قد لبس كسوة رسمه هو
ورجاله فقال يامعشر الاخوان قد أمدكم الله بشارة تعمل المحبوب كثوب يوسف حين
قدم على يعقوب وهو ابن العادل ممدوح قد دخل أرضكم وهاوزيره والده يبشر

جمعكم ثم خلع كسوته الظاهرة فعرفته الرجال وانكبت على أقدامه فقال أمسكوا عن
الهيضة حتى يتم الامر فجلسوا على بطيح الارض امام الوزير بكل أدب وهو يقول الله
معيني ومعينكم وأنا قادم على الكوفة لان الملك فى انتظارى فخذوا اسلحتكم وأعينونى
بقوّة وأروني فضائل العزم والمروءة وكونوا ليلة الجمعة على استحضار كامل واخرجوا
نصف الليل واحتاطوا بسور القلعة واعلموا انى بها والملك وعقيل وكل من مات من عندكم
بالحمى بمعرفة خبيركلهم أحياء لم ينقص منهم أحد ثم أسدل ثوبه وقصد الكوفة وعرض
الامر على سيده فتقدم الملك وبسمل ونزل اللغم والرجال يقفونه وساروا فى جوف اللغم
حتى وصلوا الى مقرهم وأما خبير فانه لما قدم من عند الوزير مكث يومه وليلته يدور فوق
الاسطح كلما علم الوزير دون طعام وشراب وكان قوته فى جيبه والملكان يرسلان من
يسأل منه الخبر فيقول حتى أعلم قسط الخبر فلما كان اليوم صعد الشنام وغدو اليه
وقالا قد أهنا أمرك فما الداعى لاقامتك هنا وهو يريهم انه فى غاية الاضطراب فقال
حفظكما الله انى رأيت فى الهواء دليلا على مهب ريح السام فرادى ان أتحقق وقت
هبوبه ان كان ليلا أو نهارا فامنع سيادتكما عن الخروج وآمركما بالخلوة أنتم ومن تثقون
به حتى يمضى الاسبوع الذى يهب فيه وتأمرا رجالكما أن يكثوا فى بيوتهم والصواب أن
يكونوا جميعكما وكافة الاهالى لا تخرج الى البرية وان عطلت أشغالها فى هذه المدة فلا بأس
لان وقاء النفوس أهم من كل شئ فنزلت الملوك وأشاعت هذا الامر وتجنبت الرجال عن
الخروج وهم ادخر خبير اعتكافهم عن الازقة الخارجة لتسهيل تدبير الوزير ومداراة
أمره عن أعين أصدقائهما فلما كانت ليلة الخميس نزل من دورانه وقال اجمعوا من تثقوا
بصداقته من الاكابر والامراء ثم انجال الملوك والحرم أيضا فليدخلوا القلعة فالسام ان
لم يثر فى هذه الليلة ويومها يثور فى القابلة ولا شك فاجتمعوا جميعا بالقلعة والباقى
مكث فى البيوت الا رجال ممدوح خرجت مخفيات لعلمها بالتدبير وكانت الاسواق
خالية وباتوا تلك الليلة يرجفون حتى مضت يومها فما كانت ليلة الجمعة الا وهم فى غاية
الضبط والربط وقد قام خبير وقفل مناظر القلعة كافة وشد أبوابها بالوثاق الشديد
وأدخل الخفر داخلها فكان حصارهم بالحيلة أكبر حصار وهو يقول طوبى له من
حبس حسنت عواقبه بوجود شمل ساداتى ومعاينة من هم عين أملى وحياتى وما
زال يحكم الاقفال حتى صار الحصن كجب مظلم وما زال يحدثهم بشائر النجاة ودق طبول
الهناء حتى اشتد الليل قال احضروا الاشربة المبردة وقد أعددنا تاياسمى درياق السموم
فاذا ذر على الشراب يمنع كل حاسة من الشعور فحضرت القنانى وقام هو لادارة الاكواب
وصار يسقيهم حتى تكامل العدد وهم يقولون زد فلانا وفلانا فيقول لهم وفى الغداة ان
شاء الله أدور لاخذ جائزتى عند حسن الختام ثم قال للكين انهضا الى الفراش وأمر الناس
بالسرعة الى النوم فقاموا الى مضاجعهم وكل من أحس بادير الوسادة وقع كالقتيل

فامرت برهة حتى نام الجميع فقام خبير وتوكل على الخبير وقد سلمه الوزير مفتاح باب المخبا الذي بالخزينة فدخل الخزينة وفتح المخبا ودق برجله ثلاث مرات وكان الوزير تحت الباب ينظر هذه الاشارة فرقى على المعارج والرجال يقفونه ورفع باب المخبا وخرج الى الخزينة ومنها الى القاعة حتى امتلأت من الرجال فخرج هو باربعة أنفار والطبيب يؤمه حتى أدخله مرقد الملكين فتقدمت الرجال وكبلوهما بالحديد وشدوا وثاقهما وهما كالاموات لاحس لهما ثم طافوا على من بالقلعة بالاوثقة حتى وصلوا الباب القلعة ففتحوا أبوابها وخرج الوزير فاذا بالجيش قد احتاط بها فلما رأوه رفعوا أصواتهم بدعوات النصر وبسطوا راحات الابتهال وصاحوا بالشكر لذي الجلال فامرهم برفع رايات العادل ونكسوا كل راية كانت بسمة هذين الملكين فصارت العساكر تنكس راية وتنصب أخرى حتى أحيطت القلعة برايات العادل فنادى الوزير على المستشار وضباط الجيش وصعد الى القاعة المعهودة وأخرج علم النصر المرصع من المخبا ونصبه على منبره فوق قبة القلعة وكان دشنام وغدور يبحثان عليه وينهران الجند والجند لا يدرون مكانه لان وراثة سلالة العادل كانت مسطرة عليه بالدر وكان كلما استولى ملك يجدده ويزيد في رونقه ويجعل له علامة باسمه كما يريد ثم أخرج الوزير زخرف تخت العادل وزخرف الايوان على حسب نسقه القديم وأحضر التاج والسيف المعدّ لايام النصر ومقابلات الملوك من المخبا وطالما تحسر القيمان على عدم وجود هذه الذخائر فلما تهلل صبح السعود بنور المراد دخل الوزير على مولاه وكان بخزينة المخبا مع النديم فاخذه الى خلوة المحفل وعطره بالعنبر والعود وألبسه كسوة رسم الخلافة وكلله بالتاج وقلده بسيف النصر والاقبال وجلس على تخت ملوكيته وصفت العلماء عن يمينه والامراء عن يساره فامر باحضار تختي القيمين فاكبهما الوزير على الارض في آخر المجلس مقابلا لمولاه وقال احضروهما فاسرعت الرجال وأتوا بهما محمولين فامر أن يلقوهما على مقلوبي تختهما ثم أمر الوزير بحضور رجالهما المقربين وصفوهم امامهما بقيودهم وأغلالهم وعمرت مدافع النصر وطبول العود وأمر الوزير بان ضرب المدافع ودق الطبول يكونان في نفس واحد فاتحد ذلك في دفعة واحدة فهاجت بغداد باسرها فجأة ولم تدر الناس ما الخبر لان الرجال والعلماء الحاضرين من آل المخباة وعصبة الخفاء فكرت الناس تجاه القلعة مع الشمس فرأوا علم العادل ورايته وأعلام الانذال ورايتهم منكوسين فصاحت الرجال أهلا بهذا العلم أهلا برايات المنا أهلا باشارات الهنا ثم هرولوا الى الدخول حتى انشحنت القلعة بالرجال ومابقي قاموا على أبوابها فرأوا الملك على تخته بتاجه وسيفه والوزير عن يمينه والنديم عن يساره فانكبوا على الارض وصاروا يمرغون وجوههم قائلين أغثنا بعدلك يا عادل لان ممدوحا كان أكثر شبها بابيه ولم ينقص سوى لحيته فاشار اليهم الوزير بالصمت فامسكوا عن الحديث وراق المحفل

فنادى الوزير يا عباد الله هذا الملك ممدوح خليفة خليفتكم قدرده الله عليكم وهو في أحسن خلق في العدل والانصاف فكونوا مطمئنين في تهذيب أخلاقه واعلموا أن ما سبق منه من أفعال السوء ليست منه بل كانت من نفاق هذين المنافقين وقد حاق مكرهما بهما فصفقت الرجال معلنين بالحمد حتى غلب الصفيق على صوت المدافع ثم التفت الى خبير وقال بادر أيها الطبيب القوم بالايقاظ فراق المحفل وجلست الرجال على مراتبهم وقام خبير وأخرج قدحا من جيبه فيه سموط وأخذ منه بين أصبعيه وصار اليهما وأمر رجاله أن يأخذوا مثله ويشقوا تلك الجنائز دفعة واحدة فأنشقوهم وكان دشنام أول مستيقظ ففتح عينيه وصار يلتفت يمينا وشمالا ويقول من دهشته مخاطبا لنفسه أيها الملك دشنام ما أشأم هذا المنام يا أبا السعد السعيد ما هذا الوثاق الشديد معاذ الله أن يستولي على التخت هذا الطريد الذليل وحاشا الله ان يقوم بجانبه مالك وعقيل وأما غدور فقد وقفت انسانا عينيه بوجه ممدوح وهو يقول أيها الملك غدور ما أردى هذا المنام المنظور أقام يوم النشور وبعث الله من في القبور يا أبا ممدوح النجيب ما هذا الوثاق المصيب أستغفر الله ان أقول هو ممدوح الهالك أعوذ بالله ان أقول هذا عقيل ومالك فأمر الوزير رجال محفله ان ينادوا عليهما بقولهم فجأة اختنقا بالكم أيها الخائنان ولا قيا ويلكما أيها الظالمان فهذه عاقبة المنافقين ولعنة الله على الكافرين فلما صاحت الناس طرافز عوا فزعة عظيمة وصفق أغلب الرجال الموثوقين فقال الوزير رافعا صوته اعلموا أيها الناس ان من سمى اسمه العادل قد عمنا بعدله وأعاد دولة العادل لولده بكرمه وفضله وسلم الحق الحق لمن هو به أحق وحاق المكر السيئ بأهله وتحقق وقد رفع العزيز هذا الملك أعلام سعده وبخته وسر السلطان ابن السلطان بتاجه وتخته فهو الذي قدر وهدى وحف بعنايته من اهتدى وعاقب الظالم بجرع كؤس الردى وبشر الصابرين وقهر العدا قبل النشور والندا وقال في تنزيله أيحسب الانسان أن يترك سدى فهذا خليفتكم ممدوح خلاصة سلالة الملوك قد تمسك بالعروة الوثقى في العدل والسلوك وتقلد بالعهد وبايعته المسلمون وتتوج بالفوز وصار خليفة الملك المصون فليبتهل بالحمد من كان اليه مشوقا فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم عند ذلك توجه الملك بالتفاته الى حضار محفله وقال أسألكم بعدل أبي وجدي ان تبسطوا ما القيتموه من ظلم الخائنين بعد أبي وبعدي فسالت مدامع القوم كالمهراق وهدر كالسيل من الآماق وقالوا أخذ هذان الكلبان ضياعنا وغصبا متاعنا ونهبا ما انتخبناه من القصور وأسكنا ظلما بالخيام فوق الجسور فاذا أردنا شرح جور ما لاقته النفوس لا تكاد تسعه الطروس فحمد الله الذي أبهجنا بعيشتنا ومن علينا بغاية منيتنا وقد حت رؤية خليفتنا كلما القيناه وصرنا كأننا ما القينا شيأ مما القيناه فقال الملك كل ما فاتكم مردود عليكم وكل ما أخذ منكم سيرجع اليكم فما

قوله

قولك أيها الوزير اصدع بالحق الجدير قال مولاى حتى يتم بالسعود هذا اليوم المشهود وتحضر فى الغداة كل ما ملكه هذين النذلين وكل من كانت له حاجة من الضياع أو العقارات ترد اليه بالسلام وتسلم أوراقها لصاحبها الاصلى ويعرضها على الاعتاب السنيه ونضرب لهذا الحزب الطاغى خيمة واسعة وتساق العصبة اليها بازاء القلعة العامرة ويحبسون فيها بهذه الاوثقة الشديدة ونرتب لهم من العبيد من يناوبهم القوت حذرا أن يموتوا جوعا وأما بخيت ومحبوب وهما العبدان المعهودان فيكونان لتعذيب هذين الخائنين لانهما طالما عذباهما فى المدة السابقة كما يعهد الملك ثم ان كل خصم يستلم متاعه من خصمه وكيفية التسليم ان يسحب الخصم بوثاقه الى محل الحاجة قريبا كان أو بعيدا ماشيا ويسمع بالامر من يكون حاضرا ويستلم أوراقه امام الخصم والحاضرين ويرجع الموثق بوثاقه الى خيمته وأما الحرم والاطفال فتساق الى خانقاه الجبل ويقدر الملك أقواتهم وتصرف من باب الصدقة حتى ترد الحقوق لاصحابها وانبت الرأى على ذلك وأمر الوزير بكتابه بكتبان الامر على هذه الصفة فلما سمعت الرجال هذا القول صارت تتلطى فلما كانت الغداة صبوا الى الخيمة واستقروا قليلا ثم أخذوا التسليم الحقوق على حسب ما تقرر وقد تهدد زخرفة المدينة ورفعت رايات البشر والزينة ومكثت الزينة سبعة أيام ولما كان اليوم الثامن قدم الوزير على ديوان الحكم وقال أبشر يومك بالسعود والسرور والحظ الموفور وهو انى عازم على ايران لجلب العروس يوم الجمعة ان شاء الله فاستبشرت الرعية وبسطوا الاكف بدوام العمار فلما كان يوم الجمعة تأهب الوزير بموكبه للسفر وخرجت أكابر بغداد تشيعه والطبول تضرب والموكب يسعى حتى وصلوا الى مسافة بعيدة ثم أمر الوزير بالرجوع ثم بالاستعداد لمقابلة العروس على حسب مارتبه من المواكب والزخرف لواجبات الوليمة فودعوه ورجعوا وأقبلوا على الملك فاخرج ذلك المتاع بألاى عظيم من القلعة وأدخله قصر العروس وهو أحد القصور الاربعة التى أعدهم العادل لزفاف ولده وانساقت نساء العصاة الى التكية وهو القصر الرابع ومازالت الناس مهتمة فى الاستعداد حتى أقبلت بشائر قدوم العروس من ايران فى أهنى الاوقات وامتلأ القطر بالمسرات فخرجت أكابر الدولة للمقابلة بهمة سعيدة وحيت وجوه القادمين بعود حياة جديدة فقدم الوزير قائد الزمام هودج المصونة وفيه الدرة المكنونة ونطق بالحمد كل لسان وصفق لصفاء الحظ كل جنان وذبح على باب قصرها ما ينوف عن ألف من النعم الحسان ونثرت بذلك الفضاء بنادق الذهب والجمان وصفت النفوس بفسيح قصر العروس وتقدم الهودج بستوره المكللة بسيدة العصر الى باب القصر فرفعت ستوره واتضح سروره وصعدت السيدة قصرها وهو فردوسى الصفات عدنى النفحات فامتلأ بالنور وصفقت فى ارجائه أجنحة الحبور وطربت الفرق بالحور وانتشرت الاتراب فى القصور ولمعت

مصابيح الزجاجة بزيت الحظ الموفور وارتفع سنا مشكاة تلك الليلة الى الآفاق فتلا عطارد آية نور على نور وقد أدى الصلاة رب الزفاف بمزار أبيه ثم سار بموكب بارباب دولته وذويه والوزير والنديم ينثران بنادق اللجين والاكسير حتى التفت شمس الرفعة بالبدر المنير وباتا يديران كؤس المراد السكريه ويتداولان أقداح الوداد العبقريه ويمتع كل منهما انسانه بانسانه ويوارى شهادة الحب بقلبه ولسانه ولم تخف الاهداب تلك الليلة بفتور الكرى وقالت الارواح للسنة دعنى أسمع وأرى حتى سطع النير الاعظم على النيرين وهنت الشمس بدر الدولة وقرة العين فتأهب الملك لرسوم التخت والتاج وطلع مضاهيا للبدر فى اللمعان بعدما استودع ريحانته لحب من أنشاها وعوذها باسم من براها وكان الجم فى انتظاره لاسيما وزير رشاده ونديم مراده وطبيب فؤاده فأقبل عليهم بابهج صباحة تجلو صدا الاكباد وصافح مصافحة تجلت عن الاعياد وعرضت على أعتابه مراسم التبريك سرا وجهرا وقدمت الرقاع نظما ونثرا ثم استقرت أرباب الدولة على مراتبهم وقد انساقت لهم التحف من السيدة ولاقوا بكل سرور ذلك الاتحاف وسعوا بكل حبور لتقبيل الاطراف وحمدوا الله الذى رد عليهم تلك الخلاصة النقية وأعاد خليفة الدولة العادلية ومحا شعائر الظلم بسنا الناصية الممدوحية وداوى حراقة القلوب بمراهم المساعى المالكية والخدم العقلية فتوجه الخليفة نحو رعاياه والبشر يلوح من ناصيته ويسطع من ثناياه وقال أحمد عزيزا أعاد على عزتى ومحا برأفته مصائب محنتى وردنى كريما بعد غربتى واهانتى وأقرنى على تخت اقبالى ودولتى فاقول وان كنت خليفة عليكم لكنى أظهر ما كنه الضمير اليكم بان هؤلاء الثلاثة عماد رفعتى وبروح دوام عزى وسعادتى وقد سلمتهم زمام العدل والوعاية والانصاف والوقاية وقد شهدت كشهادة أبى لهم بحسن الادارة قبل وجودى وجاريتهم كما جاراهم فى كل ارادة قبل ادراكى لمقصودى فهم أحق بالطاعة منى ومن انحرف عنها فقد انحرف عنى ثم قال منشدا وأنشا مفردا

رفعت بآفاق المنا راياتى ✻ وسما سنا التأييد من مشكاتى
ونجوم سعدى أشرقت وتلألأت ✻ وتلا عطارد رقعتى آياتى
أبدى السعود كمال نير دولتى ✻ بارادة الوهاب منشى ذاتى
واشتاقنى عزى كشوقى للمنا ✻ مذ كنت ألقى لاعج اللوعات
قلدت سيف الصبر كى بحرازه ✻ أسطو على محن الزمان العاتى
حتى قطعت به حبائل محنتى ✻ وسلكت نهج الرشد فى طياتى
ولكم أسال مدامعى فى فدفد ✻ فبدت عقيقا مذ جرت عبراتى
كم غرنى زمنى وخلت سرابه ✻ ماء لما ألقاه من غفلاتى
ولكم ثنى الدهر الخؤون مطيتى ✻ وأناخها فى موطن الزفرات

وأنا المقر بما جنيت وليس لى * عذر سوى أسفى على هفواتى
فلأشكرن شدائدا لو لم تكن * ما كنت أدرى زلتى لسماتى

ثم التفت الى المحتفلين قائلا جل من قال وبشر الصابرين فان من صبر ظفر وها حكايتى لديكم عبرة فان اعتبر فعليكم اخوانى بالتقوى والصبر والرضا والتسليم فى الامور لما جرى به القضا ولا تعدلوا عن سبل الهدى واعلموا بأنكم لا تتركون سدى فلا يغرنكم المال والجاه وانفردوا لما خلقكم له الله وتهيؤا للوقوف يوم العرض فهو الذى يدبر الامر من السماء الى الارض فأحسنوا الخلوص فى التوكل عليه فان الامر منه واليه (وأختم) قولى بالصلاة على حبيبه شفيع المذنبين وامام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين محمد المصطفى رسول رب العالمين عليه أزكى صلاة المصلين وأسنى سلام المسلمين أمدنا الله بشفاعته والمسلمين وهدانا بامامته والمؤمنين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم آمين آمين

انى بسطت الراحتين لكل من * يتلو كتابى سائلا من فضله
اهداء روحى بالمثانى مع الرجا * من خالق غفران ذنبى بعفوه

قد تم بحمد الملك المتعال طبع كتاب نتائج الاحوال تأليف ذات الفخر والمجد الغنية براعتها عن المدح والحمد ربة العفاف والادب المشهور السيدة عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور لازالت منازل الفضائل بنتائج فكرها عامره وأندية المحاسن بثنائها عاطره فلقد جمعت من الفضل قليله وكثيره ونظمت فى هذا الكتاب فرائد تزهو على الشمس المنيره وقد تم طبعه الزاهى الزاهر ووضعه الانيق الباهى الباهر بالمطبعة ذات الاتقان والتحرير المجاورة للعارف بربه القطب الدردير ادارة ذى المفاخر والوفا حضرة محمد أفندى مصطفى وذلك فى أوائل جمادى الآخره سنة ١٣٠٥ من هجرة ذى المعالى الفاخره على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعلى آله فى كل بدء وختام